



" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره، والصلاة والسلام على رسوله رافع الشك، ومدحض الشرك وماحق الافك " الذى جاهد فى الله حق جهاده " فأحق الله به الحق وأبطل الباطل .

وبعد : فقد كان الحافز لاختيار موضوع رسالتي " المعوقون للدعوة الإسلامية فى عهد النبوه وموقف الاسلام منهم " أهدافا منها :

أولا : رغبتى فى اختيار موضوع يتعلق بالعقيدة والدعوة، والتعرف على المعوقات التى اعترضت سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيفية التغلب عليها، لأضعها أمام الدعاة لتكون لهم فيها القدوة الحسنى، والاسوه المثلى .

ثانيا : لقد سجلت الآيات القرآنية والأحاديث النبويه موقف الاسلام من خصومه، وموقفهم منه منذ أول يوم صدع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد، وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

ثالثا : سجلت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القوليه والعملية مواقف أعداء الإسلام العدائيه من الدعوه الإسلاميه، وصورت نفسية المسلمين وخصومهم، وما دار بينهم طوال تاريخ الدعوة .

رابعا : فى الحياة الخير، والشر، والحق والباطل، والهدى والضلال والإيمان والكفر، وهذه القوى المتقابله لها اتباع من بنى الإنسان منذ خلق الله البشريه، واقتضت سنته تعالى أن يحتدم الصراع بينها، وأن يكون للحق من ينصره لدرء الفساد وإزالة العقبات والمعوقات التى تعترض طريق الدعاة إلى الله، فالحق إذا لم تكن له قوه تحميه تضافرت جهود الباطل عليه لآخام جذوته، واستئصال شأفته مصداقا لقوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .) (1)

وقد شاء الله ان يجعل حمايته للإيمان والهدى والحق بالجهد في سبيله فاستنفر المؤمنون لنصرة دينه، حتى يحشدوا طاقاتهم للمعركة انتصارا لعقيدتهم ، فان الحق لا ينتصر وحده ، إنما ينتصر بإزالة المعوقين من طريق الدعاه، والصادين عن سبيل الله .

ولذا فقد رأيت من واجبي أن أبين هؤلاء حتى يعرفهم المؤمنون المجاهدون على حقيقتهم ويتمكنوا من القضاء عليهم .

خامسا : ان هذا الموضوع جدير بدراسة علمية متأنية متعمقه ، لانه موضوع جديد لم يتناوله أحد من الباحثين من قبل في دراسة مستقلة متخصصة شامله تستوعب جوانبه المختلفة . . ولأنه موضوع الساعة وكل ساعه لأن الصراع بين الخير والشر دائم مستمر حتى قيام الساعة ، ومهمة الانبياء والعلماء هداية الناس الى الخير ، ومهمة الشياطين وأعداء الدين هي صد الناس عن الخير وإيقاعهم في الشر.

فالدعاة يدعون ، وشياطين الانس والجن يصدون ، كما قال تعالى :
(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا .) (١)

ولهذه الأسباب وكثير غيرها ، رأيت . أن من واجبي ، وواجب الباحثين والدارسين بذل الجهود المستمرة ، للكشف عن أعداء الدين ووسائلهم الخبيثة في نشر الفساد والإلحاد ، والصد عن سبيل الله ، وبيان موقفهم من الدين ، وموقف الدين منهم ، حتى يكون الجميع على بينه من الأمر .

وقد اقتضى موضوع الرسالة وأهدافها أن يكون منهج البحث فيها ممثلا في تمهيد وبابين وخاتمه .

أما التمهيد : فقد جعلته لبيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهج دراسته .

ووزعت الرسالة بعد ذلك على بابين ، جعلت الباب الأول منهما لدراسة " عناصر الدعوه الأساسية " وكان لابد من تقديم هذا الباب ، لأنه

بمثابة الأساس الذي يعتمد عليه البحث كله ، فهو الأصل وماعداه الفرع .
وقد قسمت هذا الباب الى ستة فصول :

جعلت الفصل الاول : لدراسة الإيمان بالله عز وجل ، وتكلمت فيه عن توحيد الربوبية ، والالوهية ، والأسماء والصفات ، ثم ذكرت الأدلة الكونية على وجوده ووحدانيته .

أما الفصل الثاني : فقد جعلته (للإيمان بالملائكة والجن) وقمت فيه بتبيان ماهية الملائكة ، وصفاتهم الخلقية والخلقية ، ووظائفهم وما اختصاصهم الله تعالى به دون غيرهم من المخلوقات ، ثم المفاضلة بينهم وبين البشر ، وعرضت آراء العلماء في ذلك ، ثم بينت أثر الإيمان بهم .

وتحدثت أيضا عن الجن وصفاتهم ، وبأنهم مكلفون كالنفس وليس لهم فضل على غيرهم .

أما الفصل الثالث : فقد جعلته لدراسة (الإيمان بالكتب) وقد ذكرت فيه الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله ، وما أصابها من تحريف وتزييف وتبديل وتغيير ، وبينت كيف تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم من كل ما أصاب غيره من الكتب تحقيقا لقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) (١)

ثم رأيت أن أتكلم عن ظاهرة الوحي وأنواعه ، وجمع القرآن وكتابه .

أما الفصل الرابع : فقد جعلته لدراسة (الإيمان بالرسول) .

وقد قمت فيه بتعريف الرسول ، والتفريق بينه وبين النبي ، ووجوب الإيمان بالرسول دون تفريق بين أحد منهم ، ووظائفهم وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم وصفاتهم ، ثم ذكرت أولي العزم منهم ، وما استأزوا به على سائر الأنبياء ثم تحدثت عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وما اختصه الله به ، وفضله على غيره ، وآراء العلماء في ذلك .

أما الفصل الخامس : فقد جعلته للحديث عن (الإيمان باليوم الآخر)

ومعنى الإيمان به ، والأدله على وقوعه ، وأثر الإيمان به على صلاح الأعمال
ثم ذكرت فتنة القبر ، وعذابه ونعيمه ، ثم البعث ، والنشر والحشر ،
والعرض ، والحساب والصراط والشفاعة ، والجنة أو النار .

أما الفصل السادس : القضاء والقدر .

فقد قمت فى هذا الفصل بتعريفه ووجوب الإيمان به ، ومراتبه ، ورأى العلماء
فى أفعال الناس ، ثم ذكرت مسألة احتجاج الناس بالقدر ، وبيّنت أثر
الإيمان بالقدر فى حياة الناس .

أما الباب الثانى : من أبواب هذه الرسالة : فقد جعلته للحديث عن

((المعوقين للدعوة الإسلاميه ، وموقف الإسلام منهم)) .

وقد قسمت هذا الفصل الى أحد عشر فصلا .

الفصل الاول : الوثنيون وعقائدهم .

وقد تحدثت فى هذا الفصل عن عقائد الوثنيين الباطله ، وأول من أدخل
الوثنيه الى الجزيره العربيه .

أما الفصل الثانى :

فقد تحدثت فيه عن موقف الوثنيين من الإسلام .

وقد استعرضت فيه صدهم عن سبيل الله كثيرا وموقفهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، واضطهادهم له ، وتعذيبهم للذين آمنوا معه .

أما الفصل الثالث : فكان للرد على الوثنيين .

فقد بينت فى هذا الفصل طريقه القرآن فى محاجة المشركين والرد عليهم
بالدليل الناصع ، والبرهان القاطع .

الفصل الرابع : اليهوديه .

وقد ذكرت فى هذا الفصل سبب تسميتهم ، وعقائدهم المحرفه ، وكتبهم
المزيفه .

الفصل الخامس : موقف اليهود من الاسلام .

وقد ذكرت فيه وسائل اليهود الخبيثة ، وأفعالهم الماكره ، وكيفية مقابلتهم للرسالة والرسول وما لاقاه هو والذين آمنوا معه من مؤامرات وكيد ودس .

الفصل السادس : تحدثت فيه عن موقف الاسلام من عقائد اليهود
والرد على شبهاتهم ، وضلالاتهم ، وانحرافاتهم .

أما الفصل السابع : فقد تحدثت فيه عن النصارى وعقائدهم المحرقة ،
وأناجيلهم ، وما جاء فيها من تحريف وتزييف وتبديل .

أما الفصل الثامن : فكان للحديث عن (موقف النصارى من الإسلام) .

وقد تحدثت فيه عن مواقفهم العدائية من الإسلام والمسلمين ، ووسائل
كيدهم وصددهم عن سبيل الله .

أما الفصل التاسع : فقد جعلته للحديث عن (موقف الإسلام من النصارى)
وكيفية الرد على عقائدهم المحرفة ، وعلى شبهاتهم وانحرافاتهم .

وأما الفصل العاشر : فقد تحدثت فيه عن (المنافقين) .

الذين يشكلون خطورة كبيرة على الدعوة ، ويعدون من أكثر المعوقين ، والمشيطين
والمخذلين عن اتباع الطريق المستقيم ، بما يكونونه من كفر باطن ، ويظهرونه
من إسلام كاذب ، فكان عداؤهم أشد وأنكى ، وتعويقهم أبعد أثراً
وأكثر خطراً .

أما الفصل الحادي عشر : فكان للحديث عن موقف القرآن من المنافقين
وكيفية فضح عقائدهم ، وكشف أعيابهم ، وأساليبهم في الصد عن سبيل الله
وايذاء من آمن بالله .

وأخيراً جاءت الخاتمة : تحمل الغاية من هذا البحث وفيها سجلت الفكرة
التي تعبر تعبيراً جامعاً عن (المعوقين للدعوة الإسلامية في عهد النبوة
وموقف الإسلام منهم) والتي جاءت نتيجة وثمرة لهذه الدراسة
التفصيلية .

هذا وقد سرت في دراستي لهذا الموضوع على هدي الطريقة العلمية الموضوعية، لا الاستهوائية العاطفية، حيث حاولت تأصيل الموضوعات بالاعتماد على الآيات القرآنية، أولاً والأحاديث النبوية ثانياً، ثم إلى عبارات المفسرين المعتمدين، فكنت أسعى لتبيان الحقيقة بحسب الظفر بالدليل الصحيح دون التعصب لرأى معين، ولا تحميل للنص فوق ما لا يحتمل، فقد كان همي إيراد النصوص الصحيحة، والأدلة الواضحة، دون أن أقحم نفسى فيها، حتى يستطيع القارئ أن يتبين الحسب دون أدنى جهد وإحاء مباشر أو غير مباشر.

ولذا فقد كان المصحف الشريف هو المصدر الأول لهذا البحث الذى اعتمد عليه ودار حوله ومعه، ثم تنوعت بعد ذلك مصادر الرسائل ومراجعتها من كتب للتفسير القديم والحديث، وعلوم القرآن، ومن كتب الحديث والفقه وغيرها.

والحق، أنني قد بذلت قصارى جهدى فى هذا البحث الصعب، والذى تكلفت فى سبيل إخراجه على هذه الصورة الكثير من العناء. فإذا كان البحث فى فرع من فروع المعرفة صعباً، فهو فى هذا البحث أشد صعوبة إذ يدور كله حول العقيدة والدعوة، وما أدراك ما العقيدة؟ وإفالخطأ فيها غير محتمل من غير المتخصصين فما بالك فيمن يتصدى للحصول على أعلى الدرجات العلمية فى جزئية منهما؟ وما زاد فى صعوبة هذا البحث المنهج العلمى، والتجرد الموضوعى الذى التزمت به، وتنوع الموضوع، وتعدد جوانبه، وكثرة الاختلافات حوله.

وما كان لى أن أصل الى ما وصلت اليه لولا توفيق الله أولاً، ومساعدة أستاذى المشرف الدكتور / بركات عبدالفتاح دويدار ثانياً، فقد منحنى من فضله، وعلمه، ووقته الكثير، وكان لارشاداته، وتوجيهاته، وتشجيعه لى ما دفعنى لاستكمال جوانب بحثى، واجتياز الصعوبات، وإزالة المعوقات. فاليه والى كل من أسهم فى توجيهي وارشادي والاطلاع على رسالتى لمناقشتى فيها أتوجه بخالص شكري وعظيم تقديري، ودعواتى بأن يجزيهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

(٧)

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لخدمة كتابه، وسنة رسوله،
وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع الذى بذلته لنشر دعوته ولإعلاء
كلمته. انه سميع قريب مجيب الدعاء، وماتوفيقى الا بالله عليه
توكلت واليه أنيب .

سميره محمد عمر جمجوم

الباب الأول

الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَعَنَاصِرُهَا الْأَسَاسِيَّةُ

الفصل الأول

الإيمان بالله عز وجل

الفصل الأولالإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله عز وجل هو أساس العقيدة الإسلامية ، وروح الدين الإسلامي ، وهو روح كل الأديان الإلهية فهو الأصل وكل أركان العقيدة مضافه إليه ، وتابعه له ، فالقرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان يجمع على الإيمان بالله أولها وأصلها . قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .) (١)

وقال : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين .) (٢)

وقال : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا .) (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام ردا على جبريل حين جاءه في صورة إعرابي يسأله عن الإيمان (أن تؤمن بالله وملائكته ، ورسوله ، وكتبه ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .) (٤)

فالإيمان بالله عز وجل يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بوحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

وجود الله

إن وجوده تعالى من الحقائق البديهية التي لا تحتاج إلى براهين وأدلة لأن وجوده أظهر من النهار جلاء أو وضوحا ، والذين أنكروا وجوده قلّة قليلة في كل عصر ومعظمهم من الذين جرفتهم الشهوات والتيارات والأهواء ، فبرروا فسادهم ، وانحرفهم بإنكار الله عز وجل ، حتى لا يحاسبهم أحد على أفعالهم السيئة . لذلك لم تكن مهمة الأنبياء جميعا إثبات وجود الله ،

(١) البقرة آية ٢٨٥ . (٢) البقرة آية ١٧٧ (٣) النساء آية ١٣٦ .

(٤) رواه ابن ماجه ج١ ص ٢٤ تحقيق فؤاد عبد الباقي . ومسلسلهم

وإنما كانت مهمتهم إخلاص التوحيد ونقاؤه من الشرك ، وأفراد الله بالعبودية وحده دون سواه ، وأول ما كان يدعو إليه كل رسول هو : (أن اعبدوا الله) مالكم من اله غيره . (١) و (اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢)

فالإيمان بالله عز وجل هو : شعور فطري فطر الله الناس جميعا وجبلهم عليه بالأدلة الآتية :

أولا : طريق الفطرة :

تعريف الفطرة :

هي الخلقة التي خلق الله عليها المولود في رحم أمه . (٣)
وخلق الله كل مولود على الفطرة اى على الإسلام .

ومن العلماء الذين يقولون بالفطرة ابن تيمية فيقول : (ان العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية ، وأعظمها فى الفطرة الإقرار بالخالق) (٤)
والله قد فطر الخلق على معرفته والإيمان به :

قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .) (٥)

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : أنه تعالى استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ، ومليكهم ، وأنه لا إله الا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك ، وجبلهم عليه . قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . (٦) (٧) . ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : (فسدد وجهك

(١) الأعراف آية ٥٩ - ٥٦ - ٧٣ (٢) النحل آية ٣٦ .

(٣) القاموس المحيط ، تأليف محى الدين بن يعقوب الفيروز آبادى ج ١ - ٢ ص ١١٤ .

(٤) الفتاوى ج ١٦ ص ٣٣٦ طبعة مكتبة الرباط - المغرب .

(٥) الأعراف آية ١٧٢

(٦) الروم آية ٣٠

(٧) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٦١ .

واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفيه ملة إبراهيم الذى
هداك الله لها وكلمها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك
السليمه التى فطر الله الخلق عليها، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته
وتوحيده وأنه لا إله غيره . (١)

ويقول الرازي فى تفسير آية (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذريرتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .) وهذا قول
أصحاب النظر وأرباب المعقولات (انه تعالى أخرج الذريه، وهم الأولاد من
أصلاب آبائهم، وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفه، فأخرجها الله تعالى
فى أرحام الأمهات، وجعلها علقه، ثم مضغة، ثم جعلهم بشرا سويا
وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بماركب فيهم من دلائل وحدانيته،
وعجائب خلقه وغرائب صنعه . فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى،
وان لم يكن هناك قول باللسان ولذلك تظائر منها قوله تعالى : (فقال لها
وللأرض إئتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين .) (٢) .

ويقول الرازي فى تفسير قوله تعالى : (فطرت الله) أى ألزم فطرة الله
وهى التوحيد فان الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم :
(ألست بربكم فقالوا بلى .) (٣) .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة،
ثم يقول : اقرأوا فطره الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم)

وقال : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعا هل تحسبون فيها من جدعاء . ثم يقول :
واقراءوا إن شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .)
(٤)

ولكون الإيمان بالله مغروسا فى النفس تجده هو الذى يظهر عند الشده يبين
ذلك قول الله تعالى : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم
فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرجوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم

(١) تفسير ابن كثير ج ٣، ص ٤٣٢ . (٢) تفسير الرازي ج ٤، ص ٣١٤،
الطبعة الثانية، المطبعة العامرة، الشرفيه عام ١٣٢٤ .

(٣) تفسير الرازي، جز ٢٥، ص ١١٩ - ١٢٠ . (٤) صحيح مسلم جز ١٦،
باب القدر ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لكن أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين . (١) .

وقال : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه .) (٢) .

وقال : (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون .) (٣) .

وقد أجمع الباحثون في تاريخ الأمم والأديان والحضارات على أن الفطرة حقيقه ثابتة ، فقد وجدوا الانسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ، ويؤمن بالله حتى قال أحد المؤرخين : (لقد وجدت في التاريخ مدنا بلا قصور ، ولا مصانع ، ولا حصون ولكن لم توجد مدن بلا معابد .) (٤) .

كما يظهر ذلك من سلك الرسل مع قومهم أنهم لم يدعوهم إلى الإقرار بوجود الله وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده .

قال تعالى : (أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٥) .

وخاطبوهم خطاب من لاشبهة عندهم في الإقرار بوجود الله تعالى وليس في حاجة للإستدلال عليه .

قال تعالى : (قالت رسلهم أفبي الله شك فاطر السموات والارض) (٦) .

كما يتبين من سلك العرب حين نزول القرآن الكريم أنهم كانوا يؤمنون بوجود الله ، لذلك عجبوا حينما دعاهم إلى عبادة الله وحده ، وقالوا : (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشيء عجاب .) (٧)

(١) - يونس آية ٢٢ .

(٢) - الاسراء آية ٦٧ .

(٣) - الانعام آية ٦٤

(٤) - الايمان والحياء - يوسف قرضاوى ص ٩٩ .

(٥) - الاعراف آية ٥٩

(٦) - ابراهيم آية ١٠

(٧) - ص آية ٥

ولم ينكر وجود الله إلا قلة قليلة منهم واجههم القرآن بأمرين وهى :
 أ - نفى العلم عنهم وقصور الحجة لديهم حين قالوا : (ما هى الاحياتنا
 الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .) (١) .
 ب - مطالبتهم بالدليل على اعتقادهم الفاسد ودعواهم الباطلة بأنهم
 خلقوا من غير شئ .

فرد الله عليهم بقوله تعالى : (وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون) (٢)
 ب - مطالبتهم بالدليل على اعتقادهم الفاسد ودعواهم الباطلة بأنهم
 خلقوا من غير شئ .

فقال تعالى : (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون .) (٣) .
 والرسول صلوات الله عليهم وسلامه كما يقول ابن تيمية : بعثوا لتكميل الفطره
 وتقريرها .
 عن عياض بن حمار رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول
 الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاءً فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم
 ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً .)
 فالإقرار بالخالق سبحانه وتعالى والإعتراف بوجود موجود واجب الوجود
 قديم أزلي كما أنه مركز في الفطره مستقر في القلوب فيراه نبيه وأدلتسه
 متعددة جدا . (٤) .

ومن الأدلة الكثيره التي وردت في القرآن الكريم نختار دليلين هما :

١ - دليل العناية .

٢ - دليل الاختراع .

يقول ابن تيمية عن ابن رشد : (يجب على من أراد أن يعرف الله تعالى
 المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات ، وأما دلالة الاختراع
 فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ، ووجود السموات ، وهذه
 الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوه في جميع فطر الناس .

(١) ، (٢) الجاثية آية ٢٤

(٣) الطور آية ٣٥ .

(٤) - درء تعارض العقل والنقل جزء ٣ صفحة ٧٠ - ٧٢ .

أحدهما : أن هذه الموجودات مخترعه ، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات ، كما قال تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له .) (١) .

فإننا نرى أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن ههنا موجداً للحياة ومنعماً بها وهو الله تبارك وتعالى وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما ههنا وسخره لنا ، والسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة .

وأما الأصل الثاني : فهو أن كل مخترع فله مخترع ، فيتضح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له ، ومن هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات .

وكذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله تعالى حق معرفته أن يعترف بجواهر الأشياء ليقف على الإختراع الحقيقي في جميع الموجودات ، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الإختراع ، ولهذا أشار تعالى وتقدس بقوله : (أولم ينظروا هي ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) (٢) . وكذلك من تتبع معنى الحكمه في موجود موجود عن معرفة السبب الذي من أجله خلق الغاية المقصوده به كان وقوفه على دليل العناية أتم فهذان الدليلان هما دليلا الشرع .

ويرى ابن رشد أن دليل العناية يبين على أصليين :

أحدهما : أن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان .
الثاني : أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك يريد اذليس ممكن أن تكون هذه الموافقة بالإتفاق . (٣)

الآيات التي تتضمن دليل العناية ، مثل قوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا للجبال أوتادا الى قوله ألقافا .) (٤) . وقوله : (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا الى قوله أو أراد شكورا) (٥) .

(١) - الحج آية ٧٣

(٢) - الاعراف آية ١٨٥ (٣) مناهج الادله في عقائد العله ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) - النبا آية ٦ - ١٦ (٥) - الفرقان آية ٦١ - ٦٢ .

وقوله : (فليُنظر الإنسان إلى طعامه) (١) . ومثل هذا في القرآن كثير .
الآيات التي تضمنت دلالة الإختراع مثل قوله : (فليُنظر الإنسان مما خلق
خلق من ماء دافق) (٢) . وقوله : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) (٣) .
وقوله : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له .) (٤) . وقوله حكاية عن إبراهيم
(إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) (٥) .

أما الآيات التي تجمع بين الدالتين فهي كثيرة، بل هي الأكثر مثل
قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء
ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون .) (٦)
وقال : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (٧) .
وقوله : (ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار .) (٨) .

إننا لو نظرنا إلى جميع المخلوقات لوجدناها تهدف إلى غاية معينة
وهي ليست وليدة الصدفة إنما هي من لدن حكيم خبير . (٩) .

هذا هو بيان ابن رشد لمنهج القرآن في الاستدلال على وجود الله
سبحانه وتعالى وقد رواه ابن تيمية مظهرا رضاه ولكنه يرى فيه بعض التقصير
الذي بينه بقوله : (ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن في الجملة، وإن كان
في ضمنه مواضع قصر فيها . . . حيث لم يستقص .) (١٠) .

(١) - عبس آية ٢٤ . (٢) - الطارق آية ٥ (٣) - الغاشية آية ١٧

(٤) - الحج آية ٧٣ (٥) - الانعام آية ٧٩ .

(٦) - البقرة آية ٢١ - ٢٢ .

(٧) - يس آية ٣٣ .

(٨) - آل عمران آية ١٩١ .

(٩) ، (١٠) - راجع كتاب نقض تأسيس الجبرمية - تأليف ابن تيمية تصحيح

وتكميل محمد بن عبد الرحمن قاسم صفحة ١٧٢ - ١٧٦ ،

جزء ١ .

إذ أحيان تفسد الفطرة تكون أدلة القرآن هي الهادية (وقد نصب الله الأدلة وأزاح بها العله ووسع من وجوها ، وكثر من عدد هـا فهي على اختلاف مراتبها في الوضوح والغموض معروضة للإستدلال بها والإستشهاد بمواضعها ، فلا أحد يعقل من آحاد الناس إلا وله في جليها مستدل ، وفي وضحا مستشهد وإن كان نزل فهمه عن دقيقتها ولطيفها فالواجب على كل من الناس أن يبذل وسعه فيه ، ويبلغ جهده في دركـه فإن الله تعالى يقول : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (١) ، (٢) .

والذي يقرأ بتفهم ما جاء في القرآن الكريم لا يحتاج الى غيره في معرفة اصول العقيدة . (فكل ما يحتاج الناس الى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعدرا ان هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسـل الذين بينوه وبلغوه .) (٣) .

نحن إذا لانحتاج بعد ما جاء في كتاب الله الى شيء آخر ولكن مع هذا تأتي برأي العلم الحديث من وجود الله سبحانه وتعالى وسنرى أن هـذه الأدلة التي جاءت عن العلماء المحدثين ما هي إلا تعبير عما جاء في القرآن الكريم وإن كان بأسلوب آخر فأدلة القرآن هي سمعيه وعقليه .

ثالثا : منهج العلماء المحدثين في الإستدلال على وجود الله .

يقول بول كلارنس ابرسولد استاذ الطبيعة الحيويه : (إننا نستطيع أن نصل الى أن الله تعالى يتصف بالعقل والحكمة والاراده وعلى ذلك فان لله وجودا ذاتيا ، وهو الذي تتجلى قدرته في كل شيء ، وبرغم أننا نعجز عن ادراكه إدراكا ماديا أو وصفه وصفا ماديا فهناك ما لا يحصى من الأدله على وجوده ، تعالى ، وتدل أياديه في خلقه على أنه العليم الذي لانهاية لعلمه الحكيم الذي لا حدود لحكمته القوى الى أقصى حدود القوه .) (٤) .

(١) نقض تأسيس الجهميه جزء ١ ، ص ١٧٧

(٢) العنكبوت آيه ٦٩

(٣) درء تعارض العقل والنقل جزء ١ ، صفحة ٢٧ . (٤) الله يتجلى في عصر العلم صفحة ٣٧ .

ويقول جورج ايرل دافيز عالم الطبيعة: (إن التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون هو ذاته شاهد على وجود الله فمن جزئيات بسيطته ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محدوده تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشري عن الاحاطه بمدى ابداعها ، وقد حملت كل ذره من ذرات هذا الكون ، بل كل مادون الذره مما لا يدركه حس ولا يتصوره صغره عقل قوانينها وسننها وما ينبغي لها أن تقوم به أو تخضع له .

هذه أدله كافية ولكن هنالك ما هو أشد إعجازا وأكثر دلالة على وجود الله ، فمن تلك الجزئيات البسيطة لم تنشأ النجوم والكواكب فحسب بل نشأت كذلك أنواع متطورة من الأحياء ، بل كائنات تستطيع أن تفكر وأن تبتكر وتخلق أشياء جميلة بل هي تبحث عن أسرار الحياه والوجود .
إن كل ذره من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء الماديه تعجز عن خلق نفسها . (١)

أصدرت الكنيسة المسيحيه في كيرالا جنوبي الهند كتيباً بعنوان :

(الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله) .

واعتقد أن هذه الكلمات هي أفضل عنوان لهذا الباب .

(إن أكبر دليل على وجود الإله هو مخلوقه ، هذا الذي نجده أمامنا ، وأوثق ما علمنا من حقائق الطبيعه يدعونا إلى الايمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلهاً واحداً ، ونحن لانستطيع أن نفهم أنفسنا وأن نفسرها بله الكون كـ - مجردين من الايمان بوجود الإله .

ان وجود الكون ، والنظام العجيب الذي اشتمل عليه ، وأسراره الدقيقه لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه قد خلقتة قوة وأن هذه القوة عقل لا حسدود له ، وأنها ليست بقوه عمياء . (٢) .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٣) .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، ص ٤١

(٢) الاسلام يتحدث ، تأليف ، وحيد خان ، ص ٥٣

(٣) فصلت آية ٥٣ .

التوحيد

إن توحيد الله هو الذى دعا اليه جميع الأنبياء والرسل ، وهو أقوى وحدة جامعة بين رسالات الله إلى خلقه .

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (١) يقول ابن تيمية : (إن الذى شرع لنا : هو الذى وصى به الرسل ، وهو الاثم بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه .) (٢) .

وقال سبحانه : (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله ، إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (٣) .

وقال أيضا : (وإلى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره ان أنتم الا مفترون .) (٤) .

وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره هو الذى أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب .) (٥) .

وقال : (وإلى مديين أخاهم شعيبا قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط .) (٦) .

وقال عن إبراهيم : (قال يل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين .) (٧) .

(١) الشورى آية ١٣ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) هود آية ٢٥ - ٢٦ .

(٤) هود آية ٥٠ .

(٥) هود آية ٦١ .

(٦) هود آية ٨٤ .

(٧) الأنبياء آية ٥٦ .

وقال عن موسى : (قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .) (١) .

وقال عز وجل : (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنتم عليهم شهيذا ، ما مدت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد .) (٢) .

وقال جل وعلا : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .) (٣) .

هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم تبين أن دعوة جميع الرسل والأنبياء هي توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وهو دليل واضح على وحدة دين الله ووحدة اتجاه جميع الرسل والأنبياء .

فالتوحيد هو أول ما يدخل به الانسان في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا . وإذا رجعنا إلى الفطرة في وجود الله نجدها كذلك في التوحيد قال تعالى : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) (٤) . فحين الشده يذهب عن خاطر الانسان كل معبود ويبقى في نفسه الله وحده .

أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

- ١ - توحيد الربوبية .
- ٢ - توحيد الألوهية .
- ٣ - توحيد الأسماء والصفات .

(١) الشعراء آية ٢٣ - ٢٤ .

(٢) العائدة آية ١١٦ - ١١٧ .

(٣) الانبياء آية ٢٥ .

(٤) الاسراء آية ٦٧ .

توحيد الربوبية .

وهو الإقرار بأن الله عز وجل خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال وهو حق لا ريب فيه ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من البشر بل القلوب مبطورة على الإقرار به كما قال تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض .) (١) . وقال : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن الله .) (٢) .

فلو نظرنا إلى الكون وما فيه من نظام وإحكام بديع ولا حظنا عدم الاضطراب والفوضى والفساد فيه لم يسعنا إلا الإذعان والإيمان بأن المهيمن والمنظم والموجه له هو واحد لا شريك له ، وحده ، وهذا المعنى هو ما نسميه (بصفة الوجدانية) أو (توحيد الربوبية) أي أن الله واحد لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير والملك والرزق وغير ذلك من الصفات التي يدل عليها اسم الرب .

وقد وصف الله نفسه بأنه واحد لا شريك له قال تعالى : (قل هو الله أحد .) (٣) .

وقال تعالى يعلم الرسول أن يقول للمشركين : (قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار . رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار .) (٤) كما أقام سبحانه وتعالى الدليل العقلي على وحدانيته . فقال : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يشركون ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون .) (٥) .

وفي هذا النص دليل على نفي الآلهة المشاركة لله عز وجل .

(١) إبراهيم آية ١١

(٢) لقمان آية ٢٥

(٣) الاخلاص آية ١

(٤) ص آية ٦٥ - ٦٦

(٥) الانبياء آية ٢١ - ٢٢ .

ومعنى قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض . هم ينشرون) أى اذا كانوا غير قادرين على أن يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فأبى عقل يجور اتخاذهم آلهة وذلك على سبيل التهكم والتجهيل بهم ومعنى قوله : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قال اهل النجوى الا ههنا بمعنى غير أبى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما شئىء غير الواحد الذي فطرهما لفسدت ولا يجوز أن يكون بمعنى الاستثناء . (١)

فلو تعددت الآلهة فى الكون لفسد نظام السموات والأرض واختل تماسكهما القائم على وحدة النظام وهذا ما يسمى بدليل التمانع ، وهو : (أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته فإما أن يحصل مرادها ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما . والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث ممتنع ، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويستلزم عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون إلهها ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للإلهية . (٢)

يقول شارح الطحاوية : (وتام الكلام على هذا الأصل معروف فى موضعه وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذى قرره هو توحيد الإلهية الذى بينه القرآن ودعت اليه الرسل عليهم السلام وليس الأمر كذلك ، بل التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له . (٣) .

وقال تعالى : (قل لو كان مع آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .) (٤) .

(١) تفسير الرازى ج ٦ ، ص ٩٢

(٢) ، (٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٤) الاسراء آيه ٤٢ - ٤٣ .

يقول ابن كثير : (يقول الله تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى لو كان الأمر كما يقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربى فاعبدوه أنتم وحده كما يعبدونه من تدعون من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطه بينكم وبينه فإنه لا يحب ذلك ولا يرضى بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمه وقد سها فقال :

(سبحانه وتعالى عما يقولون) أى هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى (علوا كبيرا) أى تعاليا كبيرا ، بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . (١) .

من هذا يتبين لنا أنه لو كان مع الله آلهة أخرى تحكم وتتصرف وتحياى وتميت وترزق وتشفي ومن أجل ذلك يعبدها المخلوقات لأدت هذه الآلهة إلى منافسة ومنازعة ومقاتلة إله العرش الذى يعترفون أنه الرب الخالق ، ولا ينكرون وجوده وقدرته ، وإنما يشركون معه آلهة أخرى . وبما أن الآلهة لم تتخذ السبيل لمنازعة إله العرش ورضيت بضعفها وإلهيتها المزعومة فى الأرض فدل ذلك على بطلانها ، وفسادها وعدم ألوهيتها ، وإثبات الربوبية والألوهية لله عز وجل .

قال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . (٢) .

وهذا النص دليل على نفي الآلهة المتعددة .

يقول ابن كثير : (إن الله تعالى ينزه نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك فى الملك والتصرف ، والعبادة ، ولو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض فى غاية الكمال (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض . (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤١ .

(٢) المؤمنون آية ٩١ (٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

ويقول الرازي : (أنه سبحانه ذكر الدليل المعتمد بقوله (إذا لذهب كل
 إليه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) والمعنى لانفرد كل واحد من
 الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميـزا
 عن ملك الآخر ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا
 مما لكم متميزه وهم متغالبون وحيث لم تروا أثر التمايز في الممالك
 والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء) (١)

إذاً لو كان مع الله خالق آخر لجمع كل إله خالق مخلوقاته ، وذهب
 متصرفاً مستقلاً ثم علا بعضهم على بعض ، ونفذ إرادته وان تعارضت مع
 الآخرين فيؤدي ذلك إلى التنازع وغلبة القوى على الضعيف ، ومن ثم يقال
 أن الضعيف لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً ، وبما أن ذلك غير واقع فوجب
 أن يكون الله واحداً لا شريك له في الألوهية والربوبية وفي الأسماء والصفات
 وهدى القائل : وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

الأدلة على وحدانية الله من خلال الكون والإنسان والنبات والحيوان .

١ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الكون .

قال تعالى : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات
 والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .) (٢) .

يقول ابن كثير في تفسيره : (يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمه وحامدا
 لها على خلقه السموات والأرض قرار العباده . وجعل الظلمات والنور
 منفعه لعباده في ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لكونه
 أشرف ، ومع هذا كله كفر به عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا لله
 صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا) . (٣)

وفي هذه الآيات رد على الشنوية الذين يقولون بأصلين (النور والظلمه) ويرون
 أن النور أصل الخير والظلمه أصل الشر فهنا يخبرنا تعالى أن كلا من
 النور والظلمه مخلوقان لله .

(١) تفسير الرازي ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ .

(٢) الانعام آية ١

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ١٢٣ .

وقال تعالى : (قل لمن مافى السموات والأرض قل لله .) (١) .

يخبر الله عز وجل بأنه مالك السموات والأرض ومن فيهما فكل مافى الكون هو ملك لله عز وجل وهو مالكة وحده لا شريك له .

وقال تعالى : (وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطمع ولا يطمع .) (٢)

يقول ابن كثير (ان كل دابة فى السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره لا إله إلا هو السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وضمايرهم وسرائرهم ثم قال للرسول عليه الصلاة والسلام : (قل أغير الله اتخذوا وليا فاطر السموات والأرض والمعنى لا أتخذ وليا إلا الله وحده لا شريك له فانه فاطر السموات والأرض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق ، وهو الززاق لخلقه من غير احتياج لهم .) (٣) .

وقال تعالى : (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون .) (٤) .

يخبر الله تعالى أنه خالق الضياء والظلام ، فهو سبحانه يخلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضئ الوجود ، ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ويجئ النهار بضياءه وإشراقه ، فيبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه ، وجعل الليل ساجيا مظلمًا لتسكن فيه الأشياء ، والشمس والقمر يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها فى الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولًا وقصرًا فالجميع جار بتقدير العزيز الذى لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شئ ، فلا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وهو الذى جعل النجوم زينته

(١) الانعام آية ١٢

(٢) الانعام آية ١٣ - ١٤

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(٤) الانعام آية ٩٦ - ٩٧ .

للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، واللــــه
فصل الآيات وبينها ووضحها لقوم يعرفون الحق ويعقلون ويتجنبون الباطل. (١)

٢ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الانسان .

فاله هو وحده الذى خلقه ويكشف عنه الضر ، ويجلب له النفع ، وهو الذى
يملك أمره ويخضعه لسلطانه ، ويحكم ارادته فهو لا يستطيع أن يخرج عن سنن
الله وأمره وارادته لأن الله هو القاهر الحكيم الخبير .

قال تعالى : (هو الذى خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده ،
ثم أنتم تموتون .) (٢) . وقال : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو
وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير .) (٣) . وقال : (وهو القاهر
فوق عباده وهو الحكيم الخبير .) (٤) .

٣ - الأدلة على وحدانية الله من خلال النبات .

قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل
شئى ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها
قنوان داتيه وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا
إلى شجرة إذا أثمر ويتعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون .) (٥) .

يقول الله عز وجل بأنه هو الذى أنزل من السماء ماءً بقدر مباركا ورزقا للعباد
وإحياءً ، وغيثا للخلائق رحمة من الله بخلقة فأخرج منه شجرا أخضر وزرعا
وخلق فيه الحب والتمر والنخل قريبا فى متناول الأيدى والحدائق من الأعناب
والزيتون والمتشابه فى الورق والشكل والمتخالف فى الثمر والطعم والله عز
وجل يوجه الأنظار لكى يتفكروا فى قدرة الله الذى خلق الوجود من العسدم
فهذه آيات دلائل لقوم يؤمنون بالله عز وجل .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) الانعام آية ٢

(٣) الانعام آية ١٢ .

(٤) الانعام آية ١٨ .

(٥) الانعام آية ٩٩ .

٤ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الحيوان .

قال تعالى : (ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .) (١)

الله عز وجل هو الذي خلق الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ويركبه الانسان وخلق الغنم ليأكل الانسان من لحمه ويشرب من لبنه ويتخذ من صوفه ملابس وفرشا وكذلك البقر فكل هذه الأنعام نعمه من الله لخلقه ، ثم ينهاهم الله عن اتباع طرق الشيطان فلا يستجيبون لوسوسته لأنه عدو واضح العداوة للإنسان يريد له الغواية والضلال حتى يكون معه في جهنم يوم القيامة .

وقال تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم) (٢) .

قال مجاهد : أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها ، وقال قتادة : الطير أمه ، والأنس أمه ، والجن أمه وقال السدي : (إلا أم أمثالكم) أي خلق أمثالكم سواء كان برياً أو بحرياً . (٣)

(١) الانعام آية ١٤٣ .

(٢) الانعام آية ٣٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ص ٢٠٤ ، ص ٢٣١ .

توحيد الألوهية

ومعناه أفراد الله بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة وعدم الاشراك معه فى شىء فى الأرض ولا فى السماء. وهذا التوحيد هو الذى دعت اليه جميع الرسل فهو يتضمن توحيد الربوبية ، فمن كان ربا خالقا رازقا مالكا متصرفا محييا مميتا بيده كل شىء وجب أن يكون إلها واحدا اشريك له .

إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية قال تعالى :
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله .) (١) وقال : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ؟ ليقولن : الله) (٢) .

ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله فى الخلق ، وإنما كانوا يتخذونها شفعا عند الله ويتوسلون بها إليه . قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل : أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٣) .
وقال : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .) (٤) .

إن المشركين لم يعبدوا إلها واحدا وإنما عبدوا آلهة متعددة لكسبي تشفع وتتوسط لهم عند الله ، وهذه الآلهة لا تضر ولا تنفع ، لذلك لم يعتبرهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبية ، واعتبرهم كفارا بشركهم غيره فى العبادة .

والعبادة : إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال مثل : الدعاء ، والخوف ، والحب ، والرجاء ، والنذر ، والذبح ، والتوكل ، والإستعانة ، والإستغاثه الى غير ذلك من العبادات التى يجب أن تكون كلها خالصة لله عز وجل . قال تعالى : (٥)

(١) العنكبوت آية ٦١ (٢) العنكبوت آية ٦٣

(٣) يونس آية ١٨ . (٤) الزمر آية ٣ (٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤ - ٨٤ .

(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين .) (١) .

ومن صرف شيئا من العباده لغير الله ، فقد أشرك مع الله والله اذا شاء يغفر كل الذنوب ما عدا الشرك به . قال تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .) (٢) .

(١) الانعام آيه ٦٢

(٢) النساء آيه ٨٤

توحيد الاسماء والصفات

وهو أن نعتقد ونجزم بأن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص ، وذلك بأن نثبت لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف .
قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .) (١)

وقال : (والله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون .) (٢) .

وقال : (قل ادعوا لله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنی .) (٣)
ولقد وصف الله عز وجل نفسه في القرآن في عدة مواضع بأنه سمیع بصیر ، عليم حكيم ، لطيف خبير قوى عزيز ، وأنه كلم موسى ، واستوى على العرش ويحب المحسنين ورضي عن المؤمنين التي غير ذلك من الصفات الذاتية والفعلية كمجيئه ونزوله واتيانه كما ورد في القرآن والحديث .

وقد أقر الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين في كل العصور بصفات الله سبحانه وتعالى وعدم تأويلها أو تحريفها . (٤)

وكان الامام الشافعي رحمه الله يقول : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله . وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) (٥) .

(١) الشورى آية ١١

(٢) الأعراف آية ١٨٠

(٣) الاسراء آية ١١٠

(٤) الفتاوى لابن تيمية جزء ٣ ، صفحة ٢ - ٤

(٥) الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٥٠ .

الفصل الثاني

الملائكة

الفصل الثاني

الملائكة

معنى الملائكة :

يقول ابن حجر : (الملائكة جمع ملك بفتح اللام ، وقيل مخفف من مالك ، وقيل مشتق من الألوكة ، وهى الرسالة ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصله لاءك ، وقيل أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة .
وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات . (١)

والإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من الإيمان لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته .) (٢)

وعنه صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عن الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالله بالقدر خير وشره .) (٣)

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعى الذى لا يمكن أن يلحقه شك ، ومن ينكر وجود الملائكة يكون كافرا لقوله تعالى : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (٤) .

صفاتهم الخلقية :

أنهم خلقوا قبل آدم كما أخبرنا الله عز وجل بأنه أخبرهم بأنه سيخلق الانسان ويجعله خليفه فى الأرض قال تعالى : (واذ قال ربك للملائكة : إني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون .) (٥)

(١) فتح البارى ، ج٦ ، ص٣٠٦ (٢) البقره آيه ٢٨٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج١ صفحة ١٥٧ .

(٤) النساء آيه ١٣٦ . (٥) البقره آيه ٣٠ .

وأنهم خلقوا من نور قال عليه الصلاة والسلام: (خلقت الملائكة من نور
وخلق الجن من مارح من نار وخلق آدم مما وصف لكم) . (١)

ولهم القدرة في أن يتمثلوا في صورة البشر بإذن الله كما قال تعالى عن جبريل
حين ما تمثل للسيدة مريم في صورة رجل : (وأذكر في الكتاب مريم
إذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا
اليهارو حنا فتمثل لها بشرا سويا) (٢) .

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم الصحابة معنى الإسلام والإيمان
والاحسان وأشرط الساعة . ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه
جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى
عليه أثر السفر ، وأنه جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه
إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع في السؤال (٣) .

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبر الله عز وجل عنها في القرآن . أن لهم
أجنحة يتفاوتون فيها : قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل
الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله
على كل شيء قدير .) (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (أنه رأى جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح) (٥) .
والملائكة تعبد الله وتطيعه ولا تعصيه :

قال تعالى : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .) (٦) . وهم
عباد مكرمون :

قال تعالى : (عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعطون .) (٧) .

(١) أخرجه مسلم في باب الزهد

(٢) مريم آية ١٦ - ١٧

(٣) رواه مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٥٧

(٤) فاطر آية ١ (٥) مسلم كتاب الإيمان

(٦) التحريم آية ٦

(٧) الانبياء آية ٢٦ - ٢٧ .

والملائكة تختلف عن البشر بأنه ليس لها اختيار وإنما طبيعتها الطاعة—
 وعدم العصيان . قال تعالى : (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض
 من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) (١) . وهم خائفون من الله ومن خشيته
 مشفقون :

قال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (٢) . وقال :
 (وهم من خشيته مشفقون) (٣) وهم يتحركون ويصعدون وينزلون :
 قال تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف
 سنة) (٤) . وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) (٥)
 وهم كرام على الله مقربون إليه :

قال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون .) (٦)
 والملائكة تتكلم :

قال تعالى : (هل أتاك حديث ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا
 عليه فقالوا سلاما ، قال : سلام قوم منكرون .) (٧) . وهم ذوو حياء :
 قال عليه السلام : (ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة .) (٨) ويعنى
 بذلك عثمان رضى الله عنه .

والملائكة لا تعلم الغيب الا ما أعلمهم الله عز وجل به :

قال تعالى : (قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .) (٩)

(١) النحل آية ٤٩

(٢) النحل آية ٥٠

(٣) الانبياء آية ٢٨

(٤) المعارج آية ٤

(٥) الشعراء آية ١٩٣ - ١٩٤

(٦) النساء آية ١٧٢

(٧) الذاريات آية ٢٤ - ٢٥

(٨) رواه مسلم فى فضائل عثمان جزء ١٥ صفحة ١٦٨ - ١٦٩ .

(٩) البقرة آية ٣٢

ومن صفات الملائكة :

أنهم يحيون من أحب الله :

قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : انسى أحب فلانا فأحبه . قال : فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء ويقول : ان الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول فى الأرض .) (١) وهم لا يفترون فى عبادة الله عز وجل ولا يكسلون :

قال تعالى : (وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الله والنهار ولا يفترون .) (٢) وقال : (وأنا لنحن الصافون وأنا لنحن المسبحون .) (٣) .

وهم لا يتناكحون ولا يتناسلون ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة .

قال تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتاب شهادةهم ويسألون .) (٤) وقال : أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ، ألا انهم من افكهم ليقولون . ولد الله وانهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين .) (٥)

وقال سعيد بن المسيب : (الملائكة ليسوا ذكورا ولا إناثا ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ، ولا يتوالدون .) (٦)

وظائف الملائكة

للملائكة وظائف عدة كلفهم الله بها ومن أهمها إبلاغ الوحي إلى الرسل الكرام .

قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا .) (٧) .
وقال : (الله يصطفى من الملائكة رسلا .) (٨)

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٠٣ (٢) الأنبياء آية ١٩ - ٢٠

(٣) الصافات آية ١٦٥ - ١٦٦ (٤) الزخرف آية ١٩

(٥) الصافات آية ١٥٠ - ١٥٣ .

(٦) فتح البارى ج ٦ ص ٣٠٦ (٧) فاطر آية ١

(٨) الحج آية ٧٥

ومنهم الحفظة الذين يقومون بحفظ الإنسان وبمراقبة أعماله وتسجيلها :
قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين - يعلمون ما تعملون) (١)
وأخرون يوئيدون الرسل ويشيتونهم :

قال تعالى : (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس .) (٢)
وتتنزل الملائكة على المؤمنين تواسيهم وتبشرهم بالجنة :

قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياءكم
في الحياة الدنيا وفي الآخرة .) (٣) .

والملائكة تنزل بأمر من الله لمشاركة المسلمين المقاتلين في سبيل الله :
قال تعالى : (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من
الملائكة مردفين .) (٤) . ومنهم من يتوفون أهل الأرض ويقبضون روحهم
بأمر من الله .

قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون .) (٥)
وقال : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم
الموت توفته رسلنا وهم لا يقرطون .) (٦) .

ومنهم من يُوَدُّك العبد عند وفاته
قال تعالى : (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق .) (٧) . ومنهم من يستغفرون للمؤمنين :

(١) الانفطار آيه ١٠ - ١٢

(٢) البقره آيه ٨٧

(٣) فصلت آيه ٣٠ - ٣١

(٤) الأنفال آيه ٩

(٥) السجده آيه ١١

(٦) الأنعام آيه ٦١

(٧) الأنفال آيه ٥٠

قال تعالى : (ويستغفرون للذين آمنوا .) (١) .

ومنهم حملة العرش :

قال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .) (٢) .

وقال تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .) (٣) .

ومن الملائكة خزنة الجنة وخزنة النار الذين يستقبلون أهل الجنة بالسلام والدعاء ، ويستقبلون أهل النار بالتأنيب والوعيد .

قال تعالى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .) (٤) . ومنهم من يحضر مجالس العلم والذكر :

قال عليه الصلاة والسلام : (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده .) (٥) .

ومنهم من يكتب رزق الانسان وأجله وعمله ومصيره وهو فى بطن أمه :

(١) غافر آية ٧

(٢) غافر آية ٧

(٣) الزمر آية ٧٥

(٤) الزمر آية ٧١ - ٧٣

(٥) رواه ابن ماجه ج ١ ، ص ٨٢

قال عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون نطفة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع : برزقه ، وأجله ، وشقى أو سعيد) (١) . إلى غير ذلك من الأعمال التي وكلهم الله بها .

يقول ابن القيم : (والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره ، لهم وله شأن آخر ، فانهم موكلون بتخليقه ، ونقله من طور إلى طور ، وتصويره ، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه ، وعمله ، وأجله وشقاوته وسعادته ، وملازمته في جميع أحواله واحصاء أقواله وأفعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره . وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ ، وبعد البعث . وهم الموكلون بعمليات آلات النعيم والعذاب ، وهم المشتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياءه في الدنيا والآخرة ، وهم الذين يورثونه في منامه ما يخافه ليحذره ، وما يحبه ليقوى قلبه ، ويزداد شكراً . وهم الذين يعدونه بالخير ، ويدعونهم إليه وينهونه عن الشر ، ويحذرونهم منه . فهم أولياءه وأنصاره ، وحفظته ومعلموه وناصحوه ، والداعون إليه ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير .

ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم بعثه . وهم الذين يزهدونه في الدنيا ، ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ، ويثبتونه إذا جزع . وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخريته . فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراءه بينه وبين عباده تنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر . (٢) .

عدد الملائكة

وهم كثير لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل : قال تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر .) (٣)

(١) رواه البخاري أول كتاب القدر ج ٧ ص ٢١٠ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) المدثر آية ٣١ .

وقال عليه الصلاة والسلام : (أعطت السماء وحق لها أن تتط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد .) (١) وقال في حديث المعراج : (فرفع لى البيت المعمور فسألت جبريل فقال : (هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك) (٢) . ويجب أن نؤمن بجميع الملائكة سواء الذين ذكرت أسماءهم في القرآن أو السنة أو لم يذكر .

لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته) (٣) .

رؤساء الملائكة

ورؤساء الملائكة ثلاثة وهم جبرائيل ، وميكائيل واسرافيل ، الموكلون بالحياه . فجبرائيل موكل بالوحي الذى به حياة القلوب والأرواح ، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان ، واسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد ماتهم . (٤)

عصمة الملائكة

هل الملائكة معصومون أم غير معصومين . ؟؟
فالذى عليه الجمهور أن الملائكة معصومون وقد خالفهم البعض .
الدليل على عصمة الملائكة :

- ١ - قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .) (٥) .
- وقوله : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .) (٦) فقوله تعالى (ويفعلون ما يؤمرون .) يتناول فعل المأمورات وترك المنهيات عن شئىء مأمور بتركه . (٧)

-
- (١) فتح البارى ، شرح صحيح البخارى جزء ٦ ص ٣٠٦ .
 - (٢) فتح البارى جزء ٦ ، ص ٣٠٣ .
 - (٣) البقره آيه ٢٨٥ . (٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .
 - (٥) النحل آيه ٥٠ (٦) التحريم آيه ٦
 - (٧) تفسير الرازى ج ٢ ، ص ١٦٦

- ٢ - وقوله تعالى : (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (١)
 فهم متوقفون في كل الأمور فلا يفعلون شيئا الا بمقتضى الأمر والوحي (٢) .
- ٣ - وقوله : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (٣) . فهم مشتغلون
 بالعبادة دائما فلا يسأمون ولا يفترون ، ومن كانت حاله هذه لا يعصى . (٤) .

المفاضلة بين الملائكة والبشر

اختلف الناس في ذلك فيذكر شارح الطحاوية : (أنه ينسب الى أهل السنة
 تفضيل الأنبياء وصالحى البشر على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ،
 وأتباع الأشعرى على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من
 يقف ولا يعطى في ذلك قولا .

وحكى عن بعضهم ميلهم الى تفضيل الملائكة ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل
 السنة وبعض الصوفية .

وقالت الشيعة : (إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من
 فضل تفضيلا آخر ولم يقل أحد ممن له قول يوثر أن الملائكة أفضل من بعض
 الأنبياء دون بعض .

وذكر أن أبا حنيفة رضى الله عنه توقف في الجواب عن هذه المسألة . (٥) .
 ان الكفرة والمنافقين غير داخلين في هذه المفاضلة فهم أضل من البهائم
 كما قال تعالى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل .) (٦) .
 وإنما المفاضلة بين صالحى البشر والملائكة .

(١) الأنبياء آية ٢٦ ، ٢٧

(٢) تفسير الرازى ، ج ٢ ، ص ١٦٦

(٣) الأنبياء آية ٢٠

(٤) تفسير الرازى ، ج ٢ ، ص ١٦٦

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨

(٦) الاعراف آية ١٧٩ .

حجة الذين يفضلون صالحى البشر على الملائكة :

الدليل الاول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلولا فضله لما أمروا بالسجود له . قال تعالى : (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر .) (١)

ورد بعضهم أن السجود كان لله عز وجل وآدم كان قبلة لهم ، ولو كان هذا صحيحاً لقال : (اسجدوا الى آدم ، ولما قال : (اسجدوا لآدم) . ولو كان المقصود اتخاذ آدم قبله لما امتنع ابليس عن السجود ولما زعم أنه خير من آدم . صحيح أن سجود الملائكة لآدم طاعة لله وعباده الا أنه تشريف وتكريم وتعظيم لآدم عليه السلام .

الدليل الثانى : قوله حكاية عن ابليس : (رأيته هذا الذى كرمت على .) (٢)

الدليل الثالث : أن الله خلق آدم بيده ، وخلق الملائكة بكلمته والدليل قوله تعالى : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (٣) .

الدليل الرابع : قوله تعالى : (انى جاعل فى الأرض خليفه) (٤) ، فالخليفه يفضل على من ليس خليفه وقد طلبت الملائكة أن يكون الخليفه منهم بدليل قوله تعالى : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) (٥) ^{و نحن نبعث محمدك ونقدس لك} فلولا أن الخلافة درجة عالية لما طلبوها .

الدليل الخامس : تفضيل آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عن علم الأسماء فلم يجيبوا وأترفوا أنهم لا يستطيعون حيث قالوا : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) (٦) . وقد قال تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين

(١) البقره آيه ٣٤

(٢) الاسراء آيه ٦٢

(٣) ص آيه ٧٥

(٤) البقره آيه ٣٠

(٥) البقره آيه ٣٠ (٦) البقره آيه ٣٢

لا يعلمون (١) .

الدليل السادس : (وما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل فإن البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى وهى مفقودة فى الملك .

الدليل السابع : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنه فضل صالحى البشر على الملائكة وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان هذا منكرا لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك .

الدليل الثامن : مباهاة الله بهم الملائكة . قال عليه السلام والسلام : (ان الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم انظروا الى عبادي هؤلاء جاءوونى شعثا غربا) (٢) .

واحتج الذين فضلوا الملائكة بمثل حديث (من ذكرنى فى نفسه ذكرتـــــــــــــه فى نفسى ومن ذكرنى فى ملائكته فى ملائكتهم) .
وبأن بنى آدم فيهم النقص والقصور ، وتقع منهم الزلات والهفوات ، واحتجوا بقوله تعالى : (ولا أقول لكم انى ملك) (٣) ، (٤)

قال الأولون : (انما تكلفنا فى تفضيل صالحى البشر إذا كملوا ، ووصلوا الى غايتهم وأقصى نهايتهم ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ، ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلى ، وحباهم الرحمن بمزيد قربه ، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر الى وجهه الكريم . وقال الآخرون : الشأن فى أنهم صاروا الى حالة يفوقون فيها الملائكة او يساوونهم فيها ؟ فإن ثبت لهم أنهم يصيرون الى حال يفوقون فيهم الملائكة سلم المدعى ، وإلا فلا .) (٥) .

(١) الزمر آيه ٩

(٢) صحيح الجامع ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٣) فتاوى ابن تيميه ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ - ٩٠ .

(٤) الانعام آيه ٥٠ .

(٥) شرح الطحاويه ، ص ٣٤٦ .

وتفضيل البشر على الملائكة أو العكس ، لم يرد في القرآن أو في السننه
لذلك ليس من الواجب على الانسان معرفته ، اذ لو كان واجبا لأخبرنا به
القرآن كما أخبرنا به الرسول عليه السلام ، لذلك لا يجب على المسلمين
أن يطيلوا الجدل في أمور ليست من العقائد القطعية ، بل عليهم
أن يهتموا بعقيدة التوحيد وتنقيتها من الشرك ، ونشر دعوة الله إلى جميع
الأمم .

أثر الإيمان بالملائكة :

وهو زيادة الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته ، إذ وكل الملائكة لحفظ
المؤمنين والدعاء والاستغفار لهم ، والامتناع قدر الاستطاعة عن المعاصي
لعلمه أن الملائكة تراقبه وتسجل أعماله وأقواله ، كما تحت على الإقدام والشجاعة
والجهاد في سبيل الله لعلمه أن الملائكة تؤيده وتساعده وتبشره ، كما يكثُر
من الأعمال الصالحة ليكون ممن تسلم عليهم الملائكة في الجنة ، ويتبعون
عن المعاصي حتى لا توبخه وتعذبه الملائكة في القبر ويوم القيامة ، ثم تساعد
على الصبر ، والاستقامة ، والطمأنينة .

الجِن

من الأمور الغيبية التي أخبرنا عنها القرآن والتي يجب الإيمان بها الجن الذين خلقهم الله كما خلق الإنس لعبادته وطاعته .

قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .) (١) وقد أخبر القرآن عن خلق الجن وعن صفاتهم .

فقد خلق الله الجن من مارج من نار قال تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار .) وخلق الجن من مارج من نار (٢) .

قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من همأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم .) (٣) .

من هنا نعلم أن الله خلق الجن قبل الإنسان . أخذاً من قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل .) أي قبل آدم عليه السلام .

والجن يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون وهم محجوبون عن الأبصار ولهم القدرة على التشكل بأمر الله كما لهم قوة خارقه أمد همبها الله .

يقول الماوردي : (والجن من العالم المعروف يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون وأشخاصهم محجوبه عن الأبصار ولن تميزوا بأفعال وآثار إلا أن يخص الله تعالى رؤيتهم من يشاء وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلهية وما تخيلوه من آثارهم الخفية .) (٤)

والدليل على أن للجن قوة عظيمه خارقه قوله تعالى : (قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين .) (٥) .

(١) الذاريات ٥٦

(٢) الرحمن آيه ١٤ - ١٥

(٣) الحجر آيه ٢٦ - ٢٧

(٤) أعلام النبوه للماوردي ص ١٤١

(٥) النمل آيه ٣٩ .

وذلك حينما سأل سليمان عليه السلام من يأتيه بعرش بلقيس الذى كان فى سبأ فى اليمن إلى بيت المقدس حيث كان سليمان فقال ما رد من الجن : أنا أحضره اليك قبل أن تقوم من مجلسك وأنا قوى على حمله أمين عليه حيث كان من الذهب المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة .

والجن منهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون .

قال تعالى : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .) (١) .

والجن مكلفون كالإنس تماماً :

وإذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى صدقًا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . } (٢) .

هل إبليس كان من الجن ؟ أو انه كان من الملائكة فلما طرده الله صار من الجن . ؟ اختلفت آراء العلماء فى ذلك ، وقد أورد ابن كثير هذه الاختلافات فى تفسيره وهى :

١ - أنه من الجن ، وخانه أصله حيث خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة ، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل فى خطابهم وعصى بالمخالفة ، ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أى على انه خلق من نار كما قال تعالى : (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) (٣) .

(١) الجن آية ١٤ - ١٥

(٢) الأحقاف آية ٢٩ - ٣١

(٣) الأعراف آية ١٢

وقد قال الحسن البصرى : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر .

٢ - قول الضحاك عن ابن عباس : كان إبليس من حيى من أحياء الملائكة يقال : لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة ، وولدت الملائكة من نور غير هذا الحيى قال وولدت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهببت .

٣ - وقيل عن ابن عباس : أن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيله ، وكان له سلطان السماء الدنيا ولسطان الأرض ، وكان ممن سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى بذلك شرفا على أهل السماء فوق من ذلك فى قلبه كبر لا يعلمه الا الله واستخرج الله منه ذلك الكبر حيث أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) .

٤ - وقيل كان من خزان الجنة ، كما يقال للرجل مكي ، ومدني .

٥ - وقيل : كان رئيس ملائكة الدنيا .

٦ - وقيل : كان قبل أن يرتكب المعصية من الملائكة اسمه عزرائيل ، وكان ممن سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما ، فذلك دعاه الى الكبر وكان من حى يسمونه جنا .

٧ - وقيل كان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى الله فسخطه الله ومسخته شيطانا رجيمًا . (١)

سورة البقرة الآية ٢٤ .

ولقد خلق الله الجن وجعل لهم قوة خارقه ، وهذه قدره الخارق عجزت عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، كما عجز الإنس عن ذلك ، ولو تعاونوا الإنس ، والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . (١)

إعتقاد العرب في الجاهلية في الجن :

كان العرب يتخوفون من الجن ويتعوذون منهم ، فلم تنفعهم هذه الاستعاذه بشيء بل زادتهم خوفا على خوفهم ، وفرقا على فرقهم ، ولم تذهب عنهم الضر ولم تنفعهم بل زادتهم ضرا ، وأذى .

قال تعالى : (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (٢) .

يقول ابن كثير : (كانت عادة العرب في الجاهلية يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوء وهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه ، وخفارته ، فلما رأَت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زاد وهم رهقا أي خوفا وارهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم .) قال قتاده : (فزادوهم رهقا) أي اثما وازدادت الجن عليهم جرأة . (٣)

فالجان لا يستطيعون أن يضرُوا أو ينفعوا أحدا الا بأمر الله واذن الله . والرسول عليه السلام أرسل الى الجن : كما أرسل إلى الانس علاوة على ما تقدم يقول تعالى : (قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشدا فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا .

وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيها على الله شططا . وأنا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا .) (٤) .
يأمر الله رسوله أن يخبر قومه بأن الجن استمعوا لقراءة القرآن فآمنوا به وصدقوه واستسلموا له وانقادوا فهو يهدى الى الرشاد والفلاح والنجاح لذلك آمنوا به ولم يشركوا مع الله أحدا .

(١) الاسراء آية ٨٨

(٢) الجن آية ٦

(٣) تفسير ابن كثير جزء ٤ ص ٤٢٨ .

(٤) الجن آية ١ - ٥

وأن الله تعالت قدرته ونعمته على خلقه أن تكون له زوجه وولد فهو منزه عن ذلك ، وأن إبليس السفيه وكل من كان مثله في الكذب والسفه قالوا على الله شططا أي زورا وكذبا حيث نسبوا لله الصاحب والولد ولم تحسب بأن الجن والانس يتفقون في الكذب على الله حيث نسبوا إليه الصاحب والولد ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك .

والجن منهم الصالحون ومنهم الطالحون .

قال تعالى : (وأنا منا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا . (١) .
 وحينما سمعت الجن القرآن آمنت به وبالرسول عليه السلام لأن الذي يؤمن بالله لا يخاف أن ينقص الله من حسناته ولا يزيد عليه سيئات غير سيئاته .
 قال تعالى : (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف تبساً ولا رهقا . (٢) .

والجن قبل الاسلام كانوا يسترقون السمع من السماء ويلقون مما سمعوه الى الكهان فكانوا يأخذون الكلمه ويضيفون اليها أضعا فآ كثره كذبا وبهتاناً ولكن حينما جاء الإسلام وبعث الرسول عليه السلام طردوا من السماء ومن يحاول منهم الآن لسترق السمع يرسل الله عليه شهابا يحرقه ويهلكه .

قال تعالى : (وأنا لمننا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وأنا لاندرى أشترأريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا . (٣)
 يقول ابن كثير : (يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله عليه السلام وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على السنسنة الكهان فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق ، وهذا من لطف الله

(١) الجن آيه ١١

(٢) الجن آيه ١٣ (٣) الجن آيه ١٠

تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز . (١) .

قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .) (٢)
والجن لا تعلم الغيب لان عالم الغيب والشهادة هو الله والدليل على
أن الجن لا تعلم الغيب قصة سليمان عليه السلام حينما مات ولم تعلم الجن
بموته إلا حينما أكلت دودة الأرض عصاه التي كان متكئا عليها وسقط مغشيا
على الأرض حينئذ علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب
الآليم .

قال تعالى : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل
منسأته فلما خربت عينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب

المهين .) (٣) صحاح

فكما تبين لنا بأن الجن خلق من خلق الله منهم المؤمنون ومنهم الكافرون
وبأن الرسول عليه السلام أرسل اليهم كما أرسل إلى البشر فأمن بعضهم
به واتبعه وبأنهم كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام يسترقون السمع
من السماء ولكن بعد بعثة الرسول عليه السلام منعوا من استراق السمع
وحرست السماء بالشهب فمن يحاول الآن منهم استراق السمع يرسل
الله عليه الشهب لهلاكه .

كما علمنا بأن الجن لا يعلمون الغيب ولا يضررون ولا ينفعون إلا بأذن من الله
لذلك لا يجوز الاستعاذه بهم ولا الاستعانة بهم ولا الخوف منهم لأن الاستعاذه
والاستعانة والخوف والضر والنفع يجب أن يكون كله من الله . والله . ومن أشرك
أحدا من مخلوقاته في الأمور الخاصة بالله يكون مشركا والله يغفر الذنوب
كلها ما عدا الشرك بالله .

قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .) (٤)
فلا يجوز الذبح للجن إنما الذبح يجب أن يكون لله ولا تجوز الكهانة والسحر
لأنها كلها كفر وشرك حيث يستعين السحرة والكهان بالجن وهذا لا يجوز

(١) تفسير ابن كثير ، جزء ٤ ص ٤٢٩

(٢) الحجر آية ٩

(٣) سبأ آية ١٤

(٤) النساء آية ٤٨ .

لأن الإِستعانه يجب أن تكون من الله . قال تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ .) (١) .

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

يجب الإيمان بأن الله عز وجل أنزل على رسله كتباً فيها أمره ونهيهِه
ووعده ووعيدهِه وما أرادهِه الله عز وجل من خلقهِه . قال تعالى : (آمن الرسول
بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسلهِه . (١)
وقال : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب) (٢) .

وهذه الكتب هي : التوراة ، وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه
السلام . قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون . (٣)
والتوراه الموجوده الآن ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى بل هي
محرفه ومبدله . ويطلق النصارى على التوراه العهد القديم وهي تتألف من :
التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنيه - يسوع - القضاة - راعوت
صمويل الأول - صمويل الثاني - الملوك الأول - الملوك الثاني أخبار الأيام
الأول - أخبار الأيام الثاني - عزرا - نحميا - استير - أيوب - المزامير -
الأمثال - الجامعه - نشيد الأنشاد - اشعيا - ارميا - مراثي ارميا - حزقيال -
دانيال - هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونا - ميخا - ناحوم - حبقوق -
حجي - زكريا - ملاخي . (٤)

الإنجيل : وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام قال تعالى :
(وقفينا بعيسى ابن مريم وأتينه الإنجيل .) (٥) ويسمى النصارى الإنجيل
العهد الجديد ، وقد حرف وبدل وغير كما حرفت وبدلت التوراه ويتكسون
الإنجيل من : إنجيل متى - ومرقس - لوقا - يوحنا - أعمال الرسل -

(١) البقره آيه ٢٨٥

(٢) الحديد آيه ٢٥

(٣) المائده آيه ٤٤ .

(٤) الكتاب المقدس

(٥) الحديد آيه ٢٧ .

الرسالة الى أهل روميه - الرسالة الأولى الى أهل كورنتوس - الرسالة الثانية الى أهل كورنتوس - الرسالة الى أهل غلاطيه - الرسالة الى افسس - الرسالة الى أهل فيلبى - الرسالة الى أهل كولوسى - الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى - الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى - الرسالة الأولى الى تيموثاوس - الرسالة الثانية الى تيموثاوس - الرسالة الى تبطس - الرسالة الى فليمون - الرسالة الى العبرانيين - رسالة يعقوب - رسالة بطرس الأولى - رسالة بطرس الثانية - رسالة يوحنا الأولى - رسالة يوحنا الثانية - رسالة يوحنا الثالثة - رسالة يهوذا - رؤيا يوحنا (١) .

وجميع الاناجيل لم تكتب فى عهد المسيح - وانما كتبت بعد وفاته بسنين عديدة .

صحف إبراهيم :

إن الله عز وجل أنزل على إبراهيم صحفا وذكرها فى قوله :
(إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) (٢)

ولا يوجد الآن شىء من هذه الصحف ، فقد يكون رفعها الله عز وجل اليه أو أحرقت أو فقدت .

الزبور :

لقد أنزل الله على داود عليه السلام الزبور ذكره الله فى قوله : (وأتينا داود زبوراً) (٣) .

ولا يوجد الآن زبور داود ، فقد يكون ما فعه الله اليه فقد .
وجميع الكتب التى أنزلها الله على رسله لم تحفظ كما حفظ القرآن الكريم والسبب فى ذلك أن كل رسالة تنسخ ماقبلها ، ورسالة سيدنا محمد آخر الرسائل لذلك حفظها الله وحفظ القرآن مما أصاب الكتب السابقه ،
لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٤) .
ولقد أوجب الله عز وجل علينا الايمان بجميع الكتب المنزله على انبيائه ورسله ،

(١) الكتاب المقدس .

(٢) الاعلى آيه ١٨ - ١٩

(٣) النساء آيه ١٦٣ .

(٤) الحجر آيه ٩ .

ومن يكفر بها فقد ضل ضللاً بعيداً . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضللاً بعيداً .) (١)

والإيمان بهذه الكتب لا يوجب العمل بها ، وإنما يجب العمل بما جاء في القرآن الكريم لأنه آخر الكتب السماوية المنزلة من عند الله ، كما أن محمداً عليه السلام آخر الرسل عليهم السلام .

القرآن الكريم :

وهو الكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد عليهما السلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الرشاد وإلى الصراط المستقيم ولقد كان أنزال القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك .

قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .) (٢) .

وقد اختلف العلماء في كيفية إنزال القرآن إلى ثلاثة أقوال : أحدهما : أنه نزل إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة ، أو في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، على حسب الاختلاف في مدة أقامته صلى الله عليه وسلم بمكة .

الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة ، وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة ، وقيل : في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة ، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه أنزله في كل سنة ، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالث : أنه ابتدئ بإنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً من أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الأول أشهر وأصح ، واليه ذهب الأكثرون ، ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة .) (٣)

(١) النساء آية ١٣٦ (٢) البقرة آية ١٨٥ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي جزء ١ ص ٤٠ - ٤١ .

والبرهان للزركشي جزء ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

والقرآن نزل منجماً على الرسول عليه السلام أى مفزقا ، وأول منازل منـه
 (أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم
 الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .) (١)

وآخر منازل من القرآن آية : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى
 كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . (٢)

وحيثما كان ينزل القرآن على الرسول عليه السلام يحفظه ثم تحفظه
 الصحابة ثم يكتب بأمر من الرسول عليه السلام وبمراى منه ، يقول الزرقانى :
 (إن همة الرسول وأصحابه كانت منصرفة أولاً ، إلى جمع القرآن فى القلوب
 لحفظه واستظهاره ضرورة أنه نبي أمى بعثه الله فى الأميين ولكن القرآن
 حظى بأوفى نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلم
 تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه ، ولكن بمقدار
 ما سمحت به وسائل الكتابه وأدواتها فى عصرهم .

فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ كتاباً للوحى ، كلما نزل شىء من
 القرآن أمرهم بكتابته ، مبالغة فى تسجيله وتقييده وزيارة فى التوثق والضبط
 والاحتياط فى كتاب الله تعالى ، حتى تظاهر الكتابه الحفظ ويعاضد
 النقش اللفظ .

وقد كان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابه حيث فيهم أبو بكر ، وعمير
 وعثمان ، وعلى ، ومعاوية ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ،
 وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس وغيرهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يدلهم
 على موضع المكتوب من سورته فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب^(٣) واللخاف^(٤)
 والرقاع^(٥) ، ووقف^(٦) الاديم ، ثم يوضع المكتوب فى بيت الرسول عليه السلام^(٧) .

(١) العلق آية ١ - ٥

(٢) البقره آية ٢٨١ .

(٣) العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل يكشفون الخوص ويكتبون فى الطرف
 العريض .

(٤) اللخاف : صفائح الحجاره .

(٥) الرقاع : جمع رقعه وقد تكون من جلد أو ورق .

(٦) الاديم : الجلد

(٧) مناهل العرفان جزء ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

والقرآن كما تقدم أنزل منجما الا أن الرسول عليه السلام كان يعلم الصحابه عن موضع الآيات والسور من القرآن الكريم .
وقد كان جبريل عليه السلام يراجع مع الرسول عليه السلام القرآن فى كل عام فى شهر رمضان المبارك ، وفى العام الأخير من حياته راجعه مرتين .
يقول السيوطى : (الإجماع والنصوص المترافده على أن ترتيب الآيات توقيفى لاشبهه فى ذلك .) (١)

وقال أبو بكر الأنباري : (أنزل الله القرآن كله الى سماء الدنيا ، ثم فرق فى بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآيه جوابا لمستخبرين ^{ربيعهم} جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السوره ، والآيه ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله من عند النبى صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة وأخرها أفسدها .) (٢) .

كتابة القرآن وجمعه :

لقد كتب القرآن الكريم فى عهد الرسول عليه السلام وبمراى منه حيث كان للوحي كتبه من خيرة الصحابه ، يكتبون كل ما نزل من القرآن وبأمر منه وهو لاء الكتبه لا يفارقون الرسول عليه السلام لافى حله ولا ترحاله كما تقدم .
أما جمع القرآن فقد جمع فى عهد أبي بكر رضى الله عنه .

روى البخاري فى صحيحه : (عن زيد بن ثابت قال : (أرسل الى أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : ان عمر أتانى فقال : إن القتل قد استخريوم اليمامة بقراء القرآن وإننى أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإننى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نعمل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله ان هذا خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، وقد رأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا أتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم ، ففتبع القرآن واجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل

(١) الاتقان فى علوم القرآن جز ١ ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ، جزء ١ ص ٢٦٠

جبل ما كان بأثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، ففتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبه (لقد جاءكم) مع أبى خزيمه الأنصارى الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجد همام أحد غيره فالحقتها فى سورتها ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصه بنت عمر . (١)

وقول زيد : (لم أجد ها مع أحد الا مع أبى خزيمه الانصارى) ليس قيسه اثبات القرآن الواحد ، لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها ، وكذلك غيره من الصحابه ثم نسيها ، فلما سمع ذكره ، وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم . (٢)
وكان زيد لا يكتب شيئاً إلا إذا استشهد عليه من الحفاظ .

لقد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف ، وليس كذلك لما تقدم وهو أن أول من جمعه فى مصحف واحد هو أبو بكر رضى الله عنه .

وانما جمع عثمان رضى الله عنه القراءات الى قراءة واحدة ونسخها فى مصحف واحد وزعه على الأمصار الاسلاميه .

روى البخارى فى صحيحه عن أنس أن حذيفه بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفه إختلافهم فى القراءة وقال حذيفه لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب إختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصه أن ارسلنى اليها لنسخها فى المصاحف ثم نرد ها اليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف . قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن .

(٢) البرهان فى علوم القرآن صفحة ٢٣٤ . جزء ١ .

فانما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان
الصحف الى حفصه ، وأرسل فى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من
القرآن فى كل صحيفه أو مصحف أن يحرق . (١)

عدد سور القرآن الكريم :

ان عدد سور القرآن مائه وأربع عشره سورة كما هى فى المصحف العثمانى ،
أولها الفاتحه ، وآخرها الناس .

وأطول سور القرآن البقره وأقصرها الكوثر . (٢)

والقرآن ينقسم الى مكى ومدنى وللناس فى ذلك ثلاثة أقوال :

أولا : أن المكى ما نزل بمكه قبل الهجره ، والمدنى ما نزل بغدها سواء بمكه
أم بالمدينه ، وهو الأشهر .

ثانيا : أن المكى ما نزل بمكه ولو بعد الهجره ، والمدنى ما نزل بالمدينه
ويدخل فى مكه ضواحيها كمنى ، وعرفات ، والحديبيه ، وفى المدينه ضواحيها
كبدر ، وأحد ، وسلع .

ثالثا : أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكه ، والمدنى ما وقع خطابا لأهل
المدينه . (٣)

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن .

(٢) البرهان جزء ١ ، صفحه ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٣) الاتقان جزء ١ ، صفحه ٩

الْقَصَّةُ الْكَلِيمَةُ

الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

الفصل الرابع

الإيمان بالرسول عليهم السلام

إن من أركان الإيمان أن نؤمن بأن الله بعث رسلا وأنبياء كراما لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات الى النور، فكانت دعوتهم انقاذا للأمم من براثن الشرك والوثنية وتطهيراً، للمجتمع من التحلل والفساد، والفوضى والاضطراب .

قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ^{والله} يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . (١) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : (قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . قال : وكذلك في قراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا .) (٢)

وقد بين الله الحكمة من بعثة الرسل الكرام فقال : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .) (٣) .
(أى يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وأنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنداره ، وبين ما يحبه ويرضاه ، مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر .) (٤)
قال تعالى : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا : (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي .) (٥)

(١) البقرة آية ٢١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٥٠ . وكتاب النبوات لابن تيمية ص ١٧٣ .

(٣) النساء آية ١٦٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ١، ص ٥٨٨ . (٥) طه آية ١٣٤ .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : (لو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبيين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم لعل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا : (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه . (١)

وجعل الله هؤلاء الرسل منقذين لأقوامهم مخرجيهم من الظلمات إلى النور . قال تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور . (٢) . لذلك كان البشر فى حاجة إلى الرسل .

حاجة البشر إلى الرساله

إن الناس فى حاجة إلى رسل يرشدونهم إلى ما فيه الخير والصلاح وإلى ما فيه الشر والضلال ، وأهم النواحي التى تظهر فيها حاجة الناس إلى الرساله ثلاثة هى :
أولا : ما يتصل بالله وصفاته :

إن الإنسان بفطرته يدرك أن له ربا ولكنه بعد ذلك - كما يثبت التاريخ - يضل إذا أراد أن يعرف صفات الله سبحانه وتعالى ، وإذا تعقينا الأمم الضاله ، يظهر لنا هذا بوضوح ، فهناك من يقول : بوحدة الوجود ، ومن يقول بالحلول والاتحاد ، ومن يقول : بالطبيعه ، ومن يقول : بأن لله ولداً ، ومن يجعل الله فى صورة البشر ، ومن يجعل بينه وبين الله واسطه إلى غير ذلك من ضلال البشر الذين يعتمدون على عقولهم القاصرة فى صفات الله سبحانه وتعالى .

ثانياً : ما يتصل باليوم الآخر :

فقد يدرك الإنسان بفطرته أن وراء هذا اليوم يوماً آخر يحاسب فيه الإنسان على عمله لانه يرى أن المظلوم يُظلم ولا يجد من يقتص له ، والظالم يُظلم ، ولا يوجد من يقتص منه ، كما يحدث أن كثيرا من الذين استقاموا

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٧٢

(٢) ابراهيم آيه ٥

فى هذه الحياة الدنيا يظلمون ويموتون دون أن يشعروا بالسعادة ، وأن كثيرا من الطفاه والمتجبرين يعيشون يظلمون ويتجبرون ويطغون والكل خاضع لهم ، ويموتون دون أن يشعروا بالشقاء الذى شعر به المستقيمون . عند ذلك تدرك الفطره السليمه أن الموت لا يمكن أن يكون هو الخاتمه بل لابد من يوم آخر يحاسب فيه الإنسان ، فالإيمان بالله يقتضى الإيمان باليوم الآخر ، والقرآن الكريم قد أشار إلى هذا فى قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ، فقنا عذاب النار .) (١)

فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بعدل الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :
(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .) (٢)

أذن الإيمان باليوم الآخر فطره يوء من به من آمن بالله سبحانه وتعالى ، ولكن تفاصيل هذا اليوم لاتؤخذ إلا من الشرع ، لذا نجد الإضطراب فى وصف اليوم الآخر عند من لم يأخذ صفته من الشرع فهو قد يتصور الحساب على هيئة التناسخ ، وهو أن تخرج الروح لتنتقل من جسد الى جسد لتكفر ما عليها إن كانت مذنبه ، أو لتلحق بأصلها اذا كانت خيره ، ودراسة مذهب الهنود فى التناسخ يوضح ذلك ، وقد يتصور الحساب بنوع من ألم الضمير إن كان سيئا أو راحته إن كان محسنا .

وهناك من أنكر اليوم الآخر نهائيا كما أخبر القرآن الكريم عن قوم من الدهريين الذين يقولون : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .) (٣)

كذلك المتبع لمذاهب الباطنيه يجد إنكار اليوم الآخر واضحا فى مذاهبهم يقول يحيى بن حمزة العلوى : وقد اتفقوا على إنكار اليوم الآخر وأن هذا النظام فى الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الإنسان من نطفه ، والنطفه من انسان أو حصول النبات ، وتولد الحيوان من أجناسها

(١) آل عمران آيه ١٩١

(٢) الجاثيه آيه ٢١

(٣) الجاثيه آيه ٢٤

لا ينصرم أبد الدهر، وان اشادة السموات والأرض لا يتصور انعدامها، ولا زوال أجسامها، وتأولوا القيامة، وقالوا : إنها إشاره ورمز إلى خروج الإسماع، وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع، وربما قالوا : (إن ذلك أدوار الكلية) تبدل فيها أحوال العالم تبديلا كلياً بطوفان أو حصدوث حادث بسبب من الأسباب ، فمعنى القيامة : انقضاء دورنا الذي نحن فيه، ويتلوه دور آخر.

وأما المعاد ، فقد أنكر وأما جاءت به الرسل وصرح به الأنبياء ، ولم يثبتوا الحشر والنشر، واعادة الأجساد ولا الجنة ولا النار على ما وردت به الشريعة ، ونطق به الأنبياء . (١)

٣ - القوانين التي تحكم العالم :

إن الإنسان حينما شرع بنفسه ظهر ظلمه وتخبطه كما حدث في القديم والحديث ، فالهند تقول : بالطبقات ، وكذلك الفرس والعرب في الجاهلية كانوا ينزلون العبيد منزلة لا تتفق مع الإنسانية ، وفي العصر الحديث لازالت التفرقة العنصرية تعم كثيرا من الأمم ولا زال هنا لبرغم ما يدعون من تقدم ومدنيه أن الملونين لا يرتقون إلى رتبة الانسانية التي يجب أن تحترم .

هذه الامور الثلاثة ضللت فيها البشرية فكان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن أرسل الرسل ليبينوا للبشر الحق في هذه المسائل .

والمتتبع لما جاءت به الرسل يجد أنهم قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة في هذه الأمور حتى تحققت السعادة من وصف الله بما يليق له من صفات الكمال والإخبار عن اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء وجنة ونار ووضع القوانين الشرعية وتعليمها ، والتي سوت بين البشر جميعا (٢) . قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .) (٣)

(١) الافحام لافتدة الباطنية الطغاة - تأليف : يحيى بن حمزة العلوي المتوفى سنة ٧٤٥ ، تحقيق فيصل بدير راجعه دكتور سامي على النشار الناشر منشئة المعارف - الاسكندرية .

(٢) الطبعة الثانية من كتاب الوحدانية التي تحت الطبع تأليف : د . بركات دويدار .

(٣) الحجرات آية ١٣

تعريف النبي والرسول

النبي لغة : هو الذى أنبأ عن الله ، فترك همزه . وقيل : وإن أخذت النبي من النبوه والنباوة ، وهى الارتفاع من الأرض ، لارتفاع قدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، وتصغيره نبي والجمع أنبياء . (١)

والنبي شرعا : هو من أنبأه الله بخبر السماء ولم يأمره بتبليغ غيره . (٢)
والرسول لغة : هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم : جاءت الأبل رسلا أى متتابعه . وقال اسحاق النحوى فى قوله عز وجل عن موسى وأخيه (فقولا انا رسول رب العالمين) معناه رسالة رب العالمين أى ذور رسالة رب العالمين . (٣)

والرسول شرعا : هو من أنبأه الله بخبر السماء وأمره أن يبلغه الى غيره . فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا . (٤)
وذكر التفتازانى : (أن الرسول إنسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط أن يكون معه كتاب من عند الله ، أما النبي فانه أعم . (٥) .

أما شيخ الإسلام ابن تيميه فهو يعرف النبي والرسول بتعريف آخر فيقول : النبي : هو الذى ينبئه الله وهو نبي* بما أنبأ الله به ، وهو يعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله .
والأنبياء يأتيتهم وحى من الله بما يفعلونه ، ويأمرون به المؤمنون الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة الواحد يقبلون ما يبلغه

(١) لسان العرب لابن منظور، ص ٣٠٢، ج ١٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧

(٣) لسان العرب ص ٢٨٤، ج ١١

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ .

(٥) العقائد النسفية ص ٣١ .

العلماء عن الرسول ، وكذلك انبياء بنى إسرائيل يأمرون بشريعة التوراه ، وقد يوحى الى أحدهم وحى خاص فى قصة معينة ، ولكن كانوا فى شرع التوراه كالعالم الذى يفهمه الله فى قضية معنى يطابق القرآن .

فالأنبياء ينبئهم الله ، فيخبرهم بأمره ونهيه ، وخبره ، وهم ينبئون المؤمنى بهم بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي .

وأما الرسول : فهو الذى ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به ويرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة الله ، فالرسل هم : الذين يدعون الكفار إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له . (١)

ومما يؤخذ على التعريف المشهور وهو أن النبى ما أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فالواجب أن كل من يعلم علما مأمور بتبليغه ، ويأثم اذا لم يبلغه ، والنبى من باب أولى عليه أن يبلغ ما أوحى اليه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .) (٢) .

وقال : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنذرهم وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون .) (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار .) (٤) .

النبوة هبة من الله :

فهي ليست تدرك بالجد والتعب ، ولا تنال بكثرة العبادة والطاعة ، وإنما هي هبة من الله وفضل لمن يشاء من عباده .
قال تعالى : (يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .) (٥) .

(١) كتاب النبوات ، ص ١٧٣ .

(٢) البقره آيه ١٥٩ .

(٣) آل عمران آيه ١٨٧ (٤) حديث صحيح رواه احمد ، جز ١ ، ١٦٦

رواه ابوداود رقم ٣٦٥٨ (٥) آل عمران آيه ٧٤

وهي اصطفاء واختيار لمن اختاره الله وأهله لحملها ، فهي حمل ثقيل وتكليف عظيم لا يقدر عليه الا أولوالعزم من الرجال ، وهم أهل الجد والاجتهاد قال تعالى : (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .) (١)

والنبوه ليست بالوراثه ولا بالسخلبه والاستعلاء وإنما تكون باصطفاء الله لخيره خلقه الذين يختارهم لحمل رسالته .

قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إنا لله سميع بصير .) (٢) .

وقال : (إنا لله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين .) (٣)
وقال : (وإنيهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .) (٤)

عدد الرسل

لقد أرسل الله رسلا وأنبياء كثيرين . قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .) (٥) وقوله : (وان من أمة الا خلا فيها نذير .) (٦)

ولانستطيع أن نجزم بعدد معين لعدم إخبار الله عنه في القرآن ، وكل ماورد عن عدد هم حديث أبي ذر الغفاري ، وسند ليس بالقوي كما قيل ، ولغظه : (قلت يارسول الله أي الأنبياء كان أول ، قال : آدم ، قلت يارسول^{الله} أنبيي كان ؟ قال : نعم ، نبي مكرم ، قلت : يارسول اللهكم عدد المرسلين ؟ قال : ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا . وفي لفظ كم وفاة عدد الأنبياء ؟ قال : مائة ألف

(١) المزل آيه ٥

(٢) الحج آيه ٧٥

(٣) آل عمران آيه ٣٣

(٤) ص آيه ٤٧

(٥) النحل آيه ٣٦

(٦) فاطر آيه ٢٤ .

وأربعة وعشرون ألفا، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة وعشرون جما غفيرا . (١)
الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن :

وعدد هم خمسة وعشرون وهم : آدم ونوح ، وادريس وصالح وإبراهيم وشعيب
 وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداوود وزكريا وسليمان والياس ويحيى وعيسى
 ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها
 إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم . ووهبنا لـ
 اسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان
 وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى
 وعيسى والياس ، كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكل
 فضلنا على العالمين .) (٢) .

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن : قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم
 هودا .) (٣) . وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا .) (٤) . وقال : (وإلى
 مدين أخاهم شعيبا) (٥) . وقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحا) (٦) .
 وقال : (وإسماعيل وادريس وذو الكفل كل من الصابرين .) (٧) . وقال : (محمد
 رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .) (٨) .

(١) مسند الامام احمد ، ج ٥ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٦ .

(٢) الأنعام الايات ٨٣ - ٨٦ .

(٣) هود آية ٥٠ ، الاعراف آية ٦٥

(٤) هود آية ٦١ ، الاعراف آية ٧٣

(٥) الاعراف آية ٨٥ ، هود آية ٨٤

(٦) آل عمران آية ٣٣

(٧) الأنبياء آية ٨٥

(٨) الفتح آية ٢٩ .

فهو « لا » الرسل والأنبياء يجب الإيمان بهم ورسالتهم ونبوتهم تفصيلا فلو أنكر إنسان نبوة واحد منهم أو رسالته فقد كفر لأن الله أخبر عنهم فسى القرآن :

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله .) (١) .

والواجب على المؤمن الإيمان بجميع الرسل والأنبياء الذين ذكرهم الله وعدم التفريق بين أحد منهم كما فعل اليهود والنصارى حيث آمن اليهود بأنبياء بني اسرائيل وكفروا بعيسى ابن مريم وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، والنصارى آمنوا بكافة الأنبياء وكفروا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كفر الله الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون بالبعض الآخر وتوعدهم بالعذاب المهين ، قال تعالى : (وإن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا .) (٢)

وبما أن الله نسخ جميع الشرائع بشريعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا يلزم المؤمن تجاه أولئك الرسل سوى الإيمان بهم واحترامهم وتعظيمهم ، والرسل والأنبياء الذين لم يقصهم القرآن فالواجب الإيمان بهم أجمالا بلا تفصيل لقوله تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .) (٣) .

(١) البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) النساء آية ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) النساء آية ١٦٤ .

صفات الأنبياء والمرسلين

يجب توفر أربع صفات للرسول جميعهم وهي : التبليغ - الصدق - الفطانه
الامانه - ويستحيل عليهم ضدها .

١ - التبليغ : ومعناه أن يوصل الرسول ما أمره الله بإيصاله إلى من أرسل
اليهم، ويستحيل عليه الكتمان . لأن الكتمان يضيع الفائدة من رسالتهم .
قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل
فما بلغت رسالته .) (١) .

٢ - الصدق : يجب أن نعتقد بصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام وبأنهم
يستحيل عليهم الكذب ، وقد أيدهم الله بالمعجزات التي هي دليل على
صدقهم بأنهم رسل الله الى الخلق ، فلو كان الرسل كاذبين لكانت المعجزه
أيضا كاذبه ، وهي دليل من الله على صدق الرسول ، ولكن الكذب في خبر
الله مستحيل ، ثبت صدقهم فيما يبلغونه عن الله . قال تعالى : (وصدق
الله ورسوله .) (٢) . وقال : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا
منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين .) (٣) .

٣ - الفطانه : وهي حدة العقل والذكاء ، وقوة الفهم ، وسرعة البديهة ،
وحضور الذاكره ، كي يستطيع الرسول تبين الشرائع والأحكام وترسيخ المبادئ
وإزالة الشبه بالافتناع والحجه للمؤمنين ، وإقامة الحجة على الكافرين وإبطال
حججهم ، ويستحيل عليهم البلاده والغفله التي تضيع فائدة الرساله .
قال تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه .) (٤) .

(١) المائدة آيه ٦٧

(٢) الأحزاب آيه ٢٢

(٣) الحاقه آيه ٤٤ - ٤٧

(٤) الانعام آيه ٨٢

وقال : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتسبي هي أحسن .) (١) .

٤ - الأمانة أو العصمة :

يجب للرسول عليهم السلام : الأمانة وهي العصمة ومعناها حفظ ظاهرهم وباطنهم من المعاصي ، ويستحيل عليهم ضدها وهي الخيانة ، فقد حفظ الله ظاهر الأنبياء من الزنا وشرب الخمر والسرقه والكذب ، والربا والظلم إلى غير ذلك من المنهيات التي نهى الله عنها ، وحفظ باطنهم من الشرك والكفر بالله ومن الرياء والحسد والكبر والبطر والحقد وغير ذلك من المحرمات التي حرمها الله عز وجل .

والدليل على وجوب اتصافهم بالعصمة لأنهم لو ارتكبوا المعاصي لاقتدى بهم أتباعهم لأن الله أمر أتباع الرسل باتباع رسلهم قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم .) (٢) . وقال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر .) (٣) . وقال : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (٤) . والسنة كما نعلم هي قول الرسول أو فعله . فكيف يأمر الله باتباع الرسل الذين يرتكبون المعاصي والفواحش :

قال : تعالى : (إن الله لا يأمر بالفحشاء .) (٥)

وقد حفظ الله أنبياءه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي والمنكسرات والمحرمات صغيرها وكبيرها فلم يقع منهم ما يخالف الله عز وجل بخلاف سائر البشر والحكمة من ذلك أنهم قدوة للبشر يجب الاقتداء والتأسي بهم .

(١) النحل آية ١٢٥

(٢) آل عمران آية ٣١

(٣) الاحزاب آية ٢١

(٤) النساء آية ٦٤

(٥) الاعراف آية ٢٨ .

ولقد عصم الله الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم منذ طفولته التي شابه من أفعال الجاهلية حتى أكرمه الله وشرفه بالنبوة فتبخت له العصمة بجملة الرسالة إلى جميع الخلق .

قال ابن هشام : (فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلوه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالتهم حتى بلغ وصار رجلا ، وأفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأفلاق التي تنس الرجال تنزها وتكرها ، حتى ما كان اسمه في قومه إلا (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . (١) .

الآراء في عصمة الأنبياء

اختلف العلماء في عصمة الأنبياء هل هي قبل النبوة أم بعدها ؟ وهل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر . يقول الرازي في تفسيره : (اختلف الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام إلى أقسام : أحدها ما يقع في باب الاعتقاد ، وثانيها ما يقع في باب التبليغ ، وثالثها ما يقع في باب الأحكام والفتيا ورابعها ما يقع في أفعالهم وسيرتهم . أما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند أكثر الأمة وقالت الفضليه من الخوارج أنهم قد وقعت منهم الذنوب والذنوب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا : بوقوع الكفر منهم ، وأجازت الإمامية عليهم إظهار الكفر على سبيل التقية .

أما النوع الثاني : وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ وإلا لارتفع الوثوق بالآداب واتفقوا على أن ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز سهوا ومن الناس من جاوز ذلك سهوا قالوا : لأن الاحتراز غير ممكن . وأما النوع الثالث وهو ما يتعلق بالفتيا ، فأجمعوا على أنه لا يجوز خطوهم فيه على سبيل التعمد وأما على سبيل السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون .

وأما النوع الرابع : وهو الذى يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة اقوال أحدها من جوز عليهم الكبائر على جهة العمد والثانى قول من لا يجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر على جهة العمد الا ما ينفر كالكذب والتطغيف وهذا قول اكثر المعتزله . القول الثالث أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيره ولا بكبيره على جهة العمد البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائى . الرابع أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وإن كان ذلك موضوعا عن أمتهم وذلك لأن معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر وأنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم . الخامس : أنه لا يقع منهم الذنب لا الكبيره ولا الصغيره لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل والخطأ وهو مذهب الرافضه .

واختلف الناس فى وقت العصمه على ثلاثة أقوال :

- ١ - أنهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضه .
 - ٢ - قول من ذهب إلى أن عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوه وهو قول أكثر المعتزله .
 - ٣ - قول من ذهب الى أن ذلك لا يجوز وقت النبوه أما قبل النبوه فجائز وهو قول أكثر أصحابنا وقول أبى الهذيل وأبى على من المعتزله .
- والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوه البتة لا الكبيرة ولا الصغيره ويدل عليه وجوه :

- ١ - لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء كانت فى غاية الشرف والجلال وكل من كان كذلك كان صدور الذنب منه أفحش .
- ٢ - إن إقدامه على الفحش وجب أن لا يكون مقبول الشهاده . لكنه مقبول الشهاده وإلا كان أقل من عدول الأمة وكيف لانقول ذلك وأنه لا معنى للنبوه والرساله .
- ٣ - إنه بتقدير إقدامه على الكبيره يجب زجره عنها وهذا محرم .
- ٤ - لو أتى النبى بالمعصيه وجب الاقتداء به .

- ٥ - لو صدرت منهم معصية لاستحقوا العذاب واللعن من الله عز وجل .
- ٦ - أنهم كانوا يأمرون بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله . أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم .
- ٧ - قوله تعالى : (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .) ينافي صدور الذنب عنهم .
- ٨ - أن الله حكى عن إبليس قوله : (بعزتك لأغويتهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فاستثنى الرُّسُلَ شِئياً عنهم الأئمة .
- ٩ - الرسول أفضل من الملك فوجب أن لا يصدر الذنب من الرسول لانه أفضل من الملك والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . (١)
- أما أكثر علماء المسلمين فيقولون : بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر كما يقول ابن تيمية : (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى أنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر (أبو الحسن الآمدي) إن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابه والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول . . . وأول من نقل عنهم من طوائف الأئمة القول بالعصمة مطلقا وأعظمهم قولا لذلك : الراضه فانهم يقولون : بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل . (٢)
- ورأى ابن تيمية هو الذي اختاره .

هل الانبياء أفضل أم الملائكة ؟

يقول شارح الطحاوية :

((قد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزله تفضيل الملائكة . وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ،

(١) تفسير الرازى ، جزء ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢) الفتاوى جزء ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً . وحكى عن بعضهم تفضيل الملائكة
وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية . وقالت الشيعة :
ان جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة . ومن الناس من فصل تفصيلاً
آخر . ولم يقل أحد ممن له قول يوثق أن الملائكة أفضل من الأنبياء
دون بعض . (١)

وقال الرازي في تفسيره : (احتج القائلون بأن الأنبياء عليهم السلام أفضل
من الملائكة بقوله تعالى بعد ذكر هؤلاء عليهم السلام) وكلاً فضلنا على
العالمين (وذلك لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل
في لفظ العالم الملائكة بقوله تعالى وكلاً فضلنا على العالمين يقتضى كونهم
أفضل من كل العالمين وذلك يقتضى كونهم أفضل من الملائكة . (٢) .

والواجب على المؤمن أن يؤمن بالملائكة والنبين ولا يجب عليه التفضيل
بين أحدهما إذ لو كان هذا من الواجب لبينه الله لنا وأخبر به الرسول
صلى الله عليه وسلم .

أفضل الأنبياء

إن الأنبياء والرسل ليسوا على درجة واحدة من الفضل والمكانة عند
الله . (قال تعالى :) ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض . (٣) .
وقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات . (٤) .

وأفضل الرسل والأنبياء أولوا العزم وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين . قال تعالى فيهم : (فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل . (٥) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) تفسير الرازي ، ج ٤ ، ص ٨٥

(٣) الاسراء آية ٥٥

(٤) البقرة آية ٢٥٣

(٥) الأحقاف آية ٣٥ .

ولقد سماهم الله أولى العزم لأن عزائمهم كانت قوية وابتلاءهم كسان شديدا وجهادهم شاقا مريرا فجميعهم أو ذوا واضطهدوا وشردوا فتحملوا العذاب وصبروا على الشدائد في سبيل الله وابتغاء مرضاته .
قال تعالى عنهم : (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .) (١) .
وأفضلهم جميعا محمد صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله .

الأدلة على أفضلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

- يقول الرازى : ١- (قوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك .) (٢) حيث فرض الله ذكر محمد بذكره في الشهادتين والآذان والإقامة .
- ٢ - قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين .
- ٣ - أنه تعالى قرن طاعته بطاعته فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٤)
- ٤ - معجزة الرسول أفضل المعجزات فوجب أن يكون أفضل من سائر النبيين عليهم السلام .
- ٥ - إن معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام هي القرآن وهي باقية حتى تقوم الساعة بخلاف معجزات غيره من الأنبياء فإنها فانية منقضية .
- ٦ - أنه عليه السلام بعث إلى كل الخلق وذلك يقتضى أن تكون مشقته أكثر فيجب أن يكون أفضل ودليل بعثه إلى جميع الخلق قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس .) (٥) .

(١) آل عمران آية ١٤٦

(٢) الشرح آية ٤

(٣) الأنبياء آية ١٠٧

(٤) النساء آية ٨٠

(٥) سبأ آية ٢٨

- ٧- ان دين محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأديان لأنه خاتمة الأديان ولأنه ناسخ لجميع الأديان قبله فوجب أن يكون الرسول أفضل الأنبياء .
- ٨ - ان أمة محمد أفضل الأمم كما قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . (١) فلزم أن يكون محمد أفضل الأنبياء عليهم السلام .
- ٩ - قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) .
- ١٠ - الله عز وجل نادى الأنبياء والرسل بأسمائهم أما الرسول فناداه بقوله يا أيها النبي - يا أيها الرسول . فدل على فضله عليهم . وإلى غير ذلك من الأدلة التي أوردها الرازي في تفضيل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين والمرسلين . (٢)
- ويقول ابن تيمية : (إن الله أرسل رسله ليقوم الناس بالقسط ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم وقد بين الله له من القسط ما لم يبينه لغيره ، وأقـدره على ما لم يقدر عليه غيره فصار يفعل ويأمر بما لا يأمر به غيره ويفعله .) (٣) .
- وقال : (أفضل الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه خير البرية . وكذلك قال العلماء منهم الربيع بن خيثم قال : (لا أفضل على نبينا أحدا ولا أفضل على إبراهيم بعد نبينا أحدا .) (٤) .
- ويكفينا دليلا على فضله قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون .) (٥) .

(١) آل عمران آية ١١٠

(٢) تفسير الرازي جزء ٢ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٣) الفتاوى ج ٤ ، ص ٤٨

(٤) الفتاوى ج ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠

(٥) صحيح مسلم ج ٥ ، ص ٥٥

محمد صلى الله عليه وسلم

لقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهو فى الأربعين من عمره ليكون للناس بشيرا ونذيرا كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) (١) .

عموم رسالته عليه السلام :

لقد كان كليل رسول يبعث الى قومه خاصة أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد أرسله الله إلى الناس جميعا كما قال تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا .) (٢)

وقوله عليه السلام : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلى : (نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأىما رجل من امتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .) (٣) .

وقد أرسله الله الى الإنس والجن . كما قال تعالى : (وإذ ^{نزل} صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما ولوا إلى قومهم منذرين .) (٤) . وأرسله الله رحمة للعالمين كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .) (٥) .

وكان خاتم النبيين والمرسلين . كما قال تعالى : (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين .) (٦) .

(١) سبأ آيه ٢٨

(٢) الاعراف آيه ١٥٨

(٣) حديث متفق على صحته البخارى جزء ١ ، ص ٣٦٨ - ٣٧١ .

فى التيمم وفى المساجد باب قول النبي (ص) جعلت الى الأرض مسجدا وطهورا وفى مسلم ٥٢١ فى أول كتاب المساجد .

(٤) الأحقاف آيه ٢٩

(٥) الأنبياء آيه ١٠٧

(٦) الأحزاب آيه ٤٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي .) (١)

وقد جعله الله قدوة حسنة للناس ، كما قال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة .) (٢) . وقد أيدته الله بالمعجزات الكثيرة والتي من أعظمها القرآن الكريم وهذه المعجزات دليل على صدقه وعلى أنه نبي من عند الله .

يقول ابن تيمية : (والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه .) (٣) .

وقد تحدى الله الانس والجن أن يأتوا بمثل القرآن فما استطاعوا ، كما قال تعالى : (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين .) (٤) . فما استطاعوا ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور ، كما قال تعالى : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .) (٥) . فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من القرآن فما استطاعوا قال تعالى : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين .) (٦) ولا يزال هذا التحدي قائما حتى تقوم الساعة .

وقد أخبر الله عز وجل فى كتابه بأن الجن والانس لو اجتمعت لا يمكن أن يأتوا بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .) (٧) -

(١) حديث متفق عليه البخارى جزء ٨ - ٤٩٢ فى تفسير سورة الصصف ومسلم ٢٣٥٤ فى الفضائل .

(٢) الأحزاب آية ٢١

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ١٦٥ .

(٤) الطور آية ٣٤ .

(٥) هود آية ١٣

(٦) البقرة آية ٢٣ (٧) الاسراء آية ٨٨

ولقد كان يأتي القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي ، كما كان يوحي الله عز وجل إلى سائر الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .) (١)

وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢) . وقال : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم .) (٣) .

فالوحي : هو الذى عن طريقه يوصل الله الى أنبيائه ورسله ما يريد من علم وحكمه وأمر ونهى وإرشاد وغير ذلك .

ويطلق الوحي فى اللغة على التفهيم ، والإعلام بالشيء فى خفاء سواء كان هذا التفهيم والإعلام بكلام أو كتابه أو اشاره أو رؤيا أو ايحاء وشرعا : الاعلام بالشرع . (٤)

فالوحي بالاشارة كما فى قوله تعالى : (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) (٥)

الوحي بالالهام كما فى قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه .) (٦)

أنواع الوحي :

قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم .) (٧) .

أ - أولا : الوحي عن طريق الالهام فى اليقظة كما قال عليه الصلاة والسلام :

(إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل

رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) (٨) .

(١) النساء آية ١٦٣ .

(٢) الأنبياء آية ٢٥

(٣) الانبياء آية ٧

(٤) فتح البارى ، جزء ١ ، ص ٩

(٥) مريم آية ١١

(٦) القصص آية ٧

(٧) الشورى آية ٥١

(٨) ابن كثير ، جزء ٤ ، ص ١٢١ .

ب - الوحي عن طريق الإلهام فى النوم ، كما كان يأتى الرسول عليه السلام فى النوم . عن عروه بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .) (١) .

ثانيا : تكليم الله نبيه من وراء حجاب :

قال تعالى : (وكلم الله موسى تكليما .) (٢)
وكما كلم الله محمدا عليه السلام حينما أسرى به إلى السماء وفرضت عليه الصلاة .

ثالثا : إرسال رسول من الملائكة لتبليغ كلام الله :

وهذا الرسول هو جبريل عليه السلام ، وقد كان يأتى على هيئة رجل كما جاء فى حديث الايمان .

وقد كان الوحي يأتى الرسول عليه السلام فى بعض الأحيان مثل صلصلة الجرس وهو أشده ، كما قال عليه السلام : (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيغصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعني ما يقول .) (٣)

وقالت عائشة رضى الله عنها : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيغصم عنه وأن يهيمه يتضد عرقا .) (٤) .

وقد كان يظهر جبريل للرسول عليه السلام فى صورته التى خلقه الله عليها وقد سد الأفق وله ستمائة جناح .

قال تعالى : (فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى .) (٥)

(١) صحيح البخارى جزء ١ ، ص ٢ .

(٢) النساء آية ١٦٤ .

(٣) ، (٤) صحيح البخارى ، جزء ١ ، ص ٢ .

(٥) النجم آية ٩ - ١٠ .

وقد سئلت السيدة عائشة عن قول الله تعالى : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ؟ قالت : (ذاك جبريل كان يأتيه في صورة رجل وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق) (١) وقد أيد الله رسوله عليه السلام بالمعجزات كما أيد غيره من الرسل والأنبياء بالمعجزات وهي دليل على صدقهم بأنهم مرسلون من عند الله عز وجل ، ولقد انتهت معجزاتهم بموتهم أما معجزة الرسول عليه السلام فهي باقية حتى تقوم الساعة .

المعجزة

لقد أيد الله رسله وأنبياءه بمعجزات تثبت صدقهم فيما يقولون بأنهم رسل الله إلى خلقه ، وسميت معجزة لعدم إتيان البشر بمثلها لأنها فوق طاقتهم وعلومهم ومعارفهم ، كما أنها مخالفة للسنة والقوانين المعمورة .

تعريف المعجزة :

هي أمر خارق للعادة داعيه إلى الخير والسعادة مقرونه بدعوة النبوه قصد بواظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله . (٢)
وهذا يتفق مع رأي الأشاعرة وأكثر المتكلمين في المعجزة ولكن الإمام ابن تيمية يخالفهم من بعض الوجوه كما يتبين من عرض رأيه .
حيث يقول : (إسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة ، وعرف الأئمة المتقدمون كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ، ويسمون بها الآيات . لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي ، وجماعها الأمر الخارق .) (٣) .

قآيات الأنبياء سماها الله دليلاً وبرهاناً (٤) . كما قال تعالى : (فذانك برهانان من ربك إلى فرعون ولأيه إنهم كانوا قوما فاسقين .) (٥) .

- (١) فتح الباري جزء ٦ ، ص ٣١٣ .
(٢) التعريفات للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني ص ٢٣٤ .
(٣) الفتاوى جزء ١١ ص ٣١١ - ٣١٢ . (٤) النبوات ص ١٩٢ .
لابن تيمية والجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ٦٧ .

(٥) القصص آية ٣٢ .

وما يظهره الله على يدي النبي صلى الله عليه وسلم قد يكون قبل البعثة أو بعدها أو بعد وفاة الرسول عليه السلام . فالمتكلمون يفرقون بين هذه الأنواع .

فما قبل البعثة لا يعدونه معجزة وذلك مثل كلام عيسى في المهد وانشقاق إيوان كسرى وتسليم الحجر على الرسول عليه السلام وإنما يعدونه من الإرهاصات وذلك لأنهم يشترطون في المعجزة التحدي أي أن النبي يتحدى بمعجزته وما سبق لم يتحد به عيسى ولا محمد عليهما السلام .

وأما بعد البعثة فهو معجزة مادام على سبيل التحدي .
وأما بعد وفاة النبي عليه السلام فيكون معجزة إذا كان قد أخبر به النبي أنه سيقع ثم وقع عند ما جاء وقته .

وأما ما يقع على أتباعه فهو كرامة لهم كما يقع على يد الأولياء . (١)

أما ابن تيمية فإنه يعد ذلك كله معجزة ما كان قبل بعثته النبي وما كان بعدها وما كان بعد وفاته .

وما يقع على يد الولي فهو كرامة للولي ومعجزة للرسول الذي اتبعه ذلك الولي لأن ابن تيمية لا يشترط التحدي في المعجزة .

يقول ابن تيمية : (فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم وما يكون بعد موتهم فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا بزمان ولا يكون هذا الدليل إلا من جنس لا يقدر عليه الإنس كلهم ولا الجن فلا بد أن يكون جنسه معجزاً أعجز الإنس والجن .) (٢)

ويقول : (أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فانهم يقولون : نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا فهو لا إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار برداً

(١) كتاب المواقف ، جزء ٣ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، تأليف عضد الدين الإيجي شرح السيد الشريف .

(٢) كتاب النبوات ص ١٩٦ .

أو سلاماً على أبي مسلم كما صارت على إبراهيم . . . فهذه الأمور هي موثقة
 لآيات الأنبياء وهي أيضاً من معجزاتهم . (١) .
 ومن خصائص المعجزة أنها خارقه للعاده ولا يمكن معارضتها وأن تكون
 أمراً غير معتاد لغير الأنبياء .
معجزات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

لقد أيد الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالمعجزات دليلاً على صدقه
 وهذه المعجزات قسماً :
عقلي : وهو القرآن الكريم .
حسي : وهي كثيرة .

والآن سنبين إعجاز القرآن الكريم .
 ان الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً عليه السلام رسولا وهو خاتم الأنبياء
 والرسول لذلك اقتضت رحمة الله بعباده وحكمته أن يجعل معجزة الرسول
 عليه السلام باقية أبد الدهر ليدركها كل من رزقه الله البصيره والفهم
 في كل عصر من العصور وهذه المعجزة هي القرآن الكريم ، فلو كانت معجزة
 الرسول عليه الصلاة والسلام حسيه فقط لانتهد بانتها عصرها كما انتهت
 معجزات الرسل السابقين . فالرسل السابقون بعثوا للإنسانيه في طفولتها
 وقبل أن تبلغ النضج ، والطفل دائما يعيل الى المحسوسات لأنه ليس له طاقة
 على المعقولات ، ولكن الرسول محمداً عليه السلام بعث للإنسانية وقد بلغت
 درجة النضج فناسبتها المعجزة العقلية وهي القرآن الكريم بالاضافة إلى
 المعجزات الحسيه الكثيره .

يقول ابن تيميه : (القرآن كلام الله وفيه الدعوة والحججه فله به اختصاص على
 غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي
 من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله
 إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .) (٢) .

(١) النبوات لابن تيميه ص ٤

(٢) فتح الباري ، جزء ٩ ، ص ٣ .

والقرآن يظهر كونه آية وبرهانا له من وجوه جملة وتفصيلا .
أما الجملة فقد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علما متواترا أنه هو
الذى أتى بهذا القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار أعظم من تواترها
بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم .

والقرآن الكريم فيه تحدى الأمم بالمعارضة ، والمتحدى هو أن يحدوهم .
(أى يدعوهم ويبعثهم إلى أن يعارضوه .)

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ومن جهة
النظم ، ومن جهة البلاغة فى دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه
التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته
وملائكته وغير ذلك .

ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب العاضى وعن المستقبل ومن
جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الأدلة اليقينية والأقيسة
العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى : (١) ولقد صرفنا فى هذا
القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيبا جدلا . (٢)
وقال : (٣) ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس
الإكفورا . (٤)

وقال : (٥) ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم إلا نفورا . (٦)
فالبلاغيون يجدون فى القرآن إعجازا من ناحية البلاغة والمهتمون بالدراسات
القانونية بعد أن أتعبوا عقولهم يدركون إعجاز القرآن الكريم فى هذه الناحية
فقضية المساواة التي عجز البشر عن تنفيذها ، وقضية إحياء الضعير وجعله
حارسا لصاحبه وحائلا بينه وبين ارتكاب المعاصى وقضية عدم الفرح بالإفلات
من العقوبة فى الحياة الدنيا لأن هناك حسابا فى الحياة الآخرة أصعب

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جزء ٤ ، ص ٢١ - ٢٥

(٢) الكهف آية ٥٤

(٣) الاسراء آية ٨٩

(٤) الاسراء آية ٤١

وأشد من الحساب فى الحياة الدنيا .

كل هذه الأمور عجزت عنها القوانين الوضعيه وجاء بها قانون السماء
الموجود فى القرآن الكريم معجزة الرسول عليه السلام العظيم .

إن المثقفين من أتباع الديانات الأخرى الذين قرءوا القرآن قالوا : بأن
سعادة البشرية تبدأ من هنا من القرآن الكريم وماقاله رينيه جينو (عبد
الواحد يحيى) وماقاله : (رجاء جارودى وموريس بوكاى وغيرهم)
ليس ببعيد .

فهؤلاء المثقفون رفعوا صوتهم عالياً معلنين إسلامهم ومناديين
للإشيه جميعاً بأنها إن أرادنا السعادة عليها أن تأخذ بالقرآن الكريم .
والاطباء عندما قرءوا القرآن الكريم وعرفوا ما جاء به من معلومات لم يتوصل
إليها إلا فى العصر الحديث تعجبوا كيف يأتى بها محمد وهو أمي
لا يعرف شيئاً عن هذه المعلومات والتي لم تعرف الى الآن ؟ . بلا شك
أنه كلام الله العليم الخبير القدير الحكيم الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى ليس فيه تناقض مع وجهة النظر
العلمية .

ويشهد لذلك موريس بوكاى فيقول : (لا يتناقض موضوع ما من مواضيع
القرآن العلميه مع وجهة النظر العلميه .) (١) .

ويقول : (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق
وبموضوعيه تامه باحثاً عن درجة إتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث
وكنيت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر
أنواعاً كثيره من الظاهرات الطبيعيه ولكن كانت معرفتى وجيزه . وبفضل
الدراسة الواعيه للنص العربى استطعت أن احقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء
منها أن القرآن لا يحتوى على أية مقوله قابله للنقض من وجهة نظر العلم
فى العصر الحديث .) (٢) .

(١) دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ، ص ١٢ .

(٢) دراسة الكتب المقدسه لموريس بوكاى ، ص ١٢ - ١٣ .

ويقول موريس بوكاي أيضا : (كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا حقائق علميه في القرآن لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثه ، لو لم يكن القرآن وحيا منزلا لاشك فيه ولا ارتياب في نصوصه .) (١)

ويقول : (فالقرآن هو الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل . وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة في شهر رمضان ، وقد رتب في سور بأمر من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، وجمعت هذه السور فور موت النبي صلى الله عليه وسلم وفي خلافة عثمان (من السنة الثانية عشرة الى السنة الرابعة والعشرين التاليه لوفاة محمد صلى الله عليه وسلم) - ذلك لتصبح النص الذي نعتزفه اليوم .) (٢) .

(١) دراسة الكتب المقدسه لموريس بوكاي ، ص ٢٧٧ .

(٢) دراسة الكتب المقدمة لموريس بوكاي ، ص ١٠ .

وجوه إعجاز القرآن

يظهر إعجاز القرآن فيما يلي :

- ١ - الإخبار بالغيب ، وهذا لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إلى معرفته فمن ذلك وعند الله بأنه سيظهر دينه على الأديان كما قال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .) (١) وتحقق ذلك .
- وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه حتى يشقوا بالنصر ويستيقنوا النجاح . وكذلك كان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك .
- ٢ - الرسول عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف شيئاً من كتب الأقدمين وأقاصيهم وأنبيائهم وسيرهم ، ثم أتى بمسألة حدث للأنبياء من آدم إلى عيسى .
- ٣ - بديع النظم ، عجيب التأليف قوامه فى البلاغة الى حد يعلم عجز الخلق عنه . (٢) .
- ومما يدل على اعجازه فى البلاغة والبيان أن العرب قبل الاسلام كانت أمة مشهورة بالفصاحة والبلاغة والبيان فجاء القرآن متحدياً لهم أن يأتوا بمثله فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فما استطاعوا ولا يزال هذا التحدي قائماً حتى تقوم الساعة .
- والدليل على إعجاز القرآن البيانى شهادة الوليد بن المغيرة الذى كان من أعداء الاسلام .

(١) التوبة آية ٣٣

(٢) إعجاز القرآن للباقلانى تحقيق السيد احمد صقر ، ص ٣٣ - ٣٥ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (جاء الوليد بن المغيرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك أبا جهل ، فاتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتي محمدا التعرض لما قاله . قال : قد علمت قریش أنى من أكثرهم مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له ، قال : وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول ، حلاوة وان عليه لطلاوة وأنه مثير أعلاه مفيدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلو عليه وأنه ليحطم ماتحتـــــــه قال : لا يرض عنك قومك حتى نقول فيه قال : فدعنى حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يوءثر . (١) .

٤ - الاعجاز النفسى :

ان القرآن له تأثير على النفوس والقلوب والجلود . قال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فعاله من هاد . (٢) . ودليل ذلك حينما استمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى القرآن فرق قلبه وتأثرت نفسه فأسلم وأعز الله الاسلام به بعد أن كان الدأعداء الاسلام . قال تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . (٣) .

يقول الخطابى : (وقد قلت فى اعجاز القرآن وجهها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس ، فانك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ، ولا هنتورا اذا قرع السمع خلس له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه اليه . (٤)

(١) الاتقان فى علوم القرآن ، للسيوطى ، ص ١١٧

(٢) الزمر آيه ٢٣ .

(٣) الحشر آيه ٢١

(٤) الاتقان ، ص ١٢١ .

٥ - الإعجاز العلمي في القرآن :

لقد أورد القرآن آيات لم يعرف حقيقتها قبل ألف وأربعمائة عام وفي العصر الحديث اكتشفت هذه الحقائق التي هي دليل على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف أي شيء من هذه العلوم .
وهذه بعض من الآيات التي ذكرها القرآن الكريم والتي اكتشف العلم الحديث ما جاءت به .

قال تعالى : (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً .) (١) . إن عدم اختلاط الماء العذب بالماء المالح ظاهره معروفه منذ القدم ولكن لم يكتشف قانونها إلا منذ بضع سنوات . فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانوناً ضابطاً للأشياء السائلة يسمى (قانون المط السطحي) وهو يفصل بين السائلين لأن تجاذب الجزيئات يختلف من سائل لآخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله ، وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله : (بينهما برزخ لا يبغيان .) (٢) .
من أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ انه الله عز وجل .

قال تعالى : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها .) (٣) .
فهذه الأعمدة التي لا يراها الانسان تتمثل في قانون (الجاذبيه) وهي التي تساعد كل الأجرام على البقاء في امكنتها المحدده .
والجاذبيه هي قدرة خفيه قدرها الله في الأشياء .

قال تعالى : (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما .) (٤) .

(١) الفرقان آيه ٥٣

(٢) الرحمن آيه ٢٠

(٣) الرعد آيه ٢

(٤) الأنبياء آيه ٣٠

فالكون بناءً على تفسير هذه الآيات كان منضماً ومتماسكاً . (الرتق : منضم الأجزاء) وهذا ما توصل إليه العلم الحديث الآن خلال البحوث والكشوفات . بأن السماء والأرض كانتا متماسكة ومنضمه بعضها إلى بعض .

جاء في القرآن الكريم ، في آيات كثيرة أن الله أرسى الجبال في الأرض حفظاً على توازنها . قال تعالى : (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم .) (١) .

لقد ظل العلم يجهل هذه الحقيقة قرناً كثيرة حتى اكتشف قانون التوازن . (٢) قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .) (٣) .

هذه الآيات تذكر مراحل خلق الإنسان وتطوره ، في بطن أمه ، وتبين أن أصله من الطين ، فالعناصر التي يتكون منها جسم الإنسان هي عناصر التربة الأرضية إذ الطين من ماء وتراب وهذا ما برهنت عليه التحاليل العلمية ، وصرح به العلماء المختصون .

يقول موريس بوكاي : تطور الجنين في الرحم كما يصفه القرآن يستجيب تماماً لما نعرف اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين ، ولا يحتوى هذا الوصف على أى مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها .

ويقول إن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثه يتضح ، ولكن من المهم مقابلتها بالمعتقدات العامه في هذا الموضوع والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أى حد كان معاصرو هذه الفتره بعيدين عن حياة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل وليس أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم ، ذلك أن معطيات المعرفة

(١) لقمان آيه ١٠

(٢) كتاب الاسلام يتحدى ، تأليف وحيد الدين خان

(٣) المؤمنون آيه ١٢ - ١٤ .

الحديثه تعيننا على تفسيره . الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفته واضحاً إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر .

فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية التي لا تتمتع بأى أساس هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع ، بل لقد سادت أيضاً لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى .

ويقول : عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذى كانت المعتقدات الوهميه تسود . مان مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى الفاظ بسيطه عن حقائق أولى انفقت مئات من السنوات لمعرفةتها . (١)
قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين .) (٢)

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيه : (لواقح أى تلعح السحاب فتدر ماءً وتلعح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها .) (٣)

وقد أثبت العلم الحديث أن الرياح تقوم بتلقيح السحاب ، وقد سبق القرآن العلم الحديث فى ذلك .

هذه بعض من الآيات الكثيره التى لا يتسع المقام لاستقصائها ، وهى معجزات متعدده ممتده حتى تقوم الساعه تثبت بالدليل العلمى القاطع صدق الرسول محمد عليه السلام فى كل ما أخبر به عن الله عز وجل كما تثبت بالدليل العلمى القاطع قصور الانسان وعجزه عن الإتيان بمثل هذا القرآن الذى هو كلام الله المنزل على أشرف الخلق والأنام محمد عليه السلام لذا نستطيع أن نقول بأجمال : أنه ما حرصت مجموعه على دراسة القرآن واستمعت اليه باهتمام إلا خرجت منه بعقيدته انه معجز وأنه لا يمكن أن يكون من قول البشرى يستوى فى ذلك : علماء الفلك والطب والقانون وأى فرع من العلوم ، وقد أقر بذلك المسلمون وغير المسلمين . وكثير من العلماء دخلوا فى الإسلام بعد أن ادركوا إعجاز القرآن الكريم .

(١) دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٢) الحجر آيه ٢٢

(٣) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٥٤٩ .

يقول ابن حجر: (وقد جمع بعضهم اعجاز القرآن في أربعة أشياء :

- ١ - حسن تأليفه والتتام كلمه مع الإيجاز والبلاغه .
- ٢ - صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغه من العسرب نظماً ونشراً حتى جارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الاتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريره لهم على العجز عنه .
- ٣ - ما اشتمل عليه من الاخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائره مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .
- ٤ - الإخبار مما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده .

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه كتمني الموت لليهود . ومنها الروعه التي تحصل لسامعه ، ومنها أن قارئه لا يمل من تردادها وسامعه لا يمسجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة . ومنها أنه آيه باقيه لا تعدم ما بقيت الدنيا . ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقض عجائبها ولا تنتهي فوائدها . (١)

وكل ما ذكر من إعجاز القرآن فهو حجه ودليل على اعجازه وليس هناك تناقض بين أنواع الإعجاز .

يقول ابن تيميه: (وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن ، هو حجة على اعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .) (٢)

(١) فتح الباري ، جزء ٩ ، ص ٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جزء ٤ ، ص ٧٥

المعجزات الحسيه

لقد تكلمنا عن معجزات القرآن والتي كانت دلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهي معجزات معنويه وعقليه وقد أيد الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بمعجزات ماديه حسيه مثل - إنشقاق القمر - حنين الجزع - تفجير الماء بين أصابعه .

انشقاق القمر :

قال ابن عباس: اجتمعت المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ان كنت صادقاً فشق القمر لنا فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فعلت ذلك توءمنا؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد مثل نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا أبا سلمه ابن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا. (١)

حنين الجزع :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلما بنى المشركون الجزع فاحتضنه النبي صلى الله عليه وسلم فسكن، قال جابر: وأنا شاهد حين حن، ثم قال عليه السلام: لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة. (٢)

تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر إذ حضرت الصلاة وليس معنا إلا شبيء يسير، فدعا رسول

(١) كتاب دلائل النبوه لأبي نعيم الأصبهاني ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) كتاب دلائل النبوه لأبي نعيم الأصبهاني ص ٣٤١ .

الله صلى الله عليه وسلم بماء نصبه في صفحة فجعل كفه فيه فجعل الماء يتفجر من بين أصابعه ثم نادى : ألا هلم إلى الوضوء والبركة من الله فأقبل الناس فتوضئوا ، وجعلت أبادرهم إلى الماء أدخله بطني لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والبركة من الله . (١)

إلى غير ذلك من المعجزات المادية مثل مصارعة ركانه - تكثير الطعام .
ردعين قتاده ، وكثير وكثير من المعجزات والدلائل على صدقه ونبوته فصلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الفرق بين آيات الأنبياء وبين السحر والكهانة .

- ١ - النبي : صادق في ما يخبر به عن الكتب .
والسحر والكهانة : كاذبون .
- ٢ - الأنبياء يأمرون بالعدل وطلب المغفرة وعبادة الله وحده .
والسحر والكهانة : يأمرون بالشرك والظلم والفساد .
- ٣ - السحر والكهانة أمور معتادة معروفة لأصحابها ليست خارقة لعاداتهم .
وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتبعهم .
- ٤ - السحر والكهانة : يحصل عليه الإنسان بالسعي والاكتساب أما النبوة فلا تنال بالاكتساب .
- ٥ - النبوة تفرزها الصدق والعمل الصالح
أما السحر والكهانة فهو كذب على الله .
- ٦ - ما يأتي به الكهان والسحر لا يخرج عن كونه مقدورا للجن والإنس
وهم مأمورون بطاعة الرسل .
أما آيات الأنبياء فهي خارقة لعادة كل من أرسل إليه .
- ٧ - ما جاء به السحر والكهانة يمكن معارضته بمثله .
أما آيات الأنبياء فلا يمكن معارضتها بمثله .

(١) دلائل النبوة للأصبهاني ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

- ٨ - ماجاء به السحره ليست خارقه لعادات ابن آدم .
أما آيات الأنبياء فليست معتاده لغير الصادقين .
- ٩ - آيات الأنبياء لا يقدر عليها مخلوق لا الملائكه ولا غيرهم أما ماجاء
به السحره والكهان فتقدر عليه الشياطين .
- ١٠ - الملائكه لا تكذب على الله .
أما الشياطين فتكذب .
- ١١ - الضيق قد تقدمه أنبياء قبله فهو يعتبر بهم
والسحره والكهان له نظراء يعتبر بهم .
- ١٢ - الأنبياء يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر .
أما السحره والكهان فهم يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف . (١)
- الفرق بين الكرامه والسحر:

الكرامه : هي ما يجريها الله من خوارق العادات على يدي أتباع الرسل
وهم الأولياء الصالحون ، وهي كرامة لهم ، ومعجزة للرسول الذي اتبعه الولي .

السحر : هو ما يكون من خوارق العادات على يدي المشعوذين
والسحره مستعنين بالجن في ذلك .

الفصل الخامس

اليوم الآخر

الفصل الخامس

اليوم الآخر

ومعناه الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام ، مما يكون بعد الموت من فتنه القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر ، والصحف والحساب ، والميزان ، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار ولقد اهتم القرآن الكريم وأكد وقوعه ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكره ، وقد ربط الإيمان به بالإيمان بالله عز وجل كما قال عز وجل (ليس الصبر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر .) (١)

وقال : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصائبين من آمنين بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .) (٢) . وقال : (ذلك يوعظ به من كان منكم يوء من بالله واليوم الآخر .) (٣) . وقال : (اعبدا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين) (٤) . وقال : (قاتلوا الذين لا يوءنون بالله ولا باليوم الآخر .) (٥) إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في القرآن الكريم وتتحدث عن اليوم الآخر .

أسماء اليوم الآخر كما وردت في القرآن الكريم :

لقد سمي الله هذا اليوم بأسماء كثيرة وكل اسم منها يدل على ما يحدث في ذلك اليوم من أحوال . وهي :

(١) البقرة آية ١٧٧

(٢) البقرة آية ٦٢

(٣) البقرة آية ٢٣٢

(٤) العنكبوت آية ٣٦

(٥) التوبة آية ٢٩

البعث - الساعة - الآخرة - القيامة - يوم الدين - يوم الحساب - يوم الجزاء - يوم التلاق - يوم التخابن - يوم الخروج - يوم الخلود - يوم الحسرة - يوم التناد - الآزقه - الواقعه - الحاقه - الغاشية - الصافه - الطامه . الى غير ذلك من الأسماء التي وردت في القرآن الكريم . والحكمه من تكرار ذكر هذا اليوم حتى يقوى الوازع النفسى عند الانسان الذى يرغب فى الخير فيقبل عليه ، ويكره الشر فيبتعد عنه ومن حكمته أن الناس فى غفلة عنه بسبب انشغالهم بالدنيا وما فيها من ملذات وحبهم لهذه المتسع والنعيم فيأتى القرآن ويذكرهم بهذا اليوم الرهيب فيقول : (أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل .) (١) ومن الحكمة أن الكفار قديما وحديثا تعجبوا من وقوع ذلك اليوم وأنكروه كمال قال تعالى : (ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجب أعجب إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد) (٢)

تعريف البعث اصطلاحا :

البعث : مصدر جاء من بعثه بعثا ، بمعنى أحياء ، ويوم البعث : هو يوم القيامة . (٣)

البعث ضربان :

١ - بشري كبعث البعير وبعث الانسان فى حاجة .

٢ - النهى وذلك ضربان .

الأول : ايجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس : وذلك يختص به البارئ تعالى ولا يقدر عليه أحد .

الثاني : إحياء الموتى وقد خص الله به بعض أوليائه كعيسى عليه السلام فقله : (فهذا يوم البعث ، يعنى يوم الحشر) . (٤) .

(١) التوبه آيه ٣٨

(٢) ق آيه ١ - ٣

(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم ص ١٠٩ مجمع اللغة العربيه

(٤) المفردات فى غريب القرآن ص ٢٥ - ٣٠ تأليف ابوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالزغب الأصفهاني .

تعريف البعث لغه :

البعث : هو الإحياؤه من الله تعالى للموتى ، ومنه قوله تعالى : (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أى أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث وبعث اللين الخلق يبعثهم بعثا : نشرهم . (١) .

عقيدة البعث قبل الاسلام

إن جميع الأديان السماوية دعت إلى الايمان بالبعث على لسان الرسل كعقيدة تدفع إلى الخير وتتصل بالإيمان بالله .

قال نوح عليه السلام : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) (٢) . وقال إبراهيم عليه السلام : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) . (٣) وقال موسى عليه السلام : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى .) (٤) .

وقال عيسى عليه السلام : (والسلام علىّ يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا) (٥) وقال محمد صلى الله عليه وسلم : (واتفقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون .) (٦) .

ولكن العرب فى الجزيرة العربية لم يعرفوا عقيدة البعث قبل الإسلام ، لذلك قابلوها بالإنكار الشديد ، وكانت مشاراً للعجب والدهشة ، ومدعاة للجسدل مثل عقيدة التوحيد التى أنكرها المشركون إنكارا عظيما .

إن العرب كانت أمة وثينة ، وإن كان فيها قلة على دين إبراهيم وهم الخنفاء ، أما البقية الباقية فهم صنفان .

(١) لسان العرب ص ١١٧ ج ٢ ،

(٢) نوح آيه ١٧ - ١٨ .

(٣) الشعراء آيه ٨٢

(٤) طه آيه ٥٥

(٥) مريم آيه ٣٣

(٦) البقره آيه ٢٨١ .

الصف الأول :

المعطله : وهم الذين أنكروا الخالق والبعث والإعاده .

الصف الثاني :

محصلة نوع وتحصيل : وهم الذين أنكروا البعث والإعاده .

فالصف الاول : أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحى ، والدهر المفقى ، وهم الذين اخبر عنهم القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون .) (١)

فهؤلاء ليس لهم دليل على الإنكار بل كل الأدله تثبت الخالق والبعث والإعاده وليس لهم دليل غير الظن والتخمين .

الصف الثاني :

أنكروا البعث والإعاده وأقروا بالخالق وهم الذين أخبر الله عنهم فى قوله : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم .) (٢) .

وقد عبروا عن ذلك فى أشعارهم فقال بعضهم :

حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا أم عمرو

ولبعضهم فى مرثية أهل بدر من الشركين :

فماذا بالقليب ، قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

يخبرنا الرسول بأن سخيا وكيف حياة أصداء وهام . (٣)

وقد رد الله عليهم وبين كذبهم فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(وقالوا أئذا كنا عظاما ورقاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل : كونوا

حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا

قل : الذى فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رؤوسهم ، ويقولون متى هو ؟

(١) الجاشيه آيه ٢٤ (٢) يس آيه ٧٨

(٣) الطل والنحل للشهرستانى ، ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، تحقيق محمد سيد كيلانى .

قل : عسى أن يكون قريبا . يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده وتظنون أن ليثتم إلا قليلا . (١) .

ان هذه الشبهات التي أثارها المنكرون في كل زمان تعود الى جهلهم بقدرة الله عز وجل فالله عز وجل خلقهم من العدم وهو قادر على إعادتهم ثانية حيث أن الإعادة أهون من البدء .

قال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم .) (٢)

يقول شارح العقيدة الطحاوية فى شرح هذه الآيات الكريمة :
 (فلورام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها بالفاظ تشبه هذه الألفاظ فى الإيجاز وصحة الأدلة وصحة البرهان لما قدر ، فانه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أوردته ملحد اقتضى جوابا ، فكان فى قوله تعالى : (ونسى خلقه) ما وفى الجواب وأقام الحجة ، وأزال الشبه . ولما أراد سبحانه تأكيد الحجته وزيادة تقريرها ، قال : (قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة .) فاحتج بالإيداع على الإعادة ، وبالنشأ الأولى على الأخرى ، إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني . فاذا كان تام العلم ، كامل القدرة ، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم ثم أكد الأمر بحجة قاهره ، وبرهان ظاهر ، يتضمن جوابا على سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسها والحياه لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعه حاره رطبه .

(١) الاسراء آيه ٤٩ - ٥٢

(٢) ياسين آيه ٧٨ - ٨١ .

فقال سبحانه : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلىء بالرطوبة والبرودة ، فالذى يخرج من الشئىء ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا تستعصى عليه ، هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه . ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشئىء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر ، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو ^{على} ما دونه بكثير أقدر وأقدر ، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقيه أشد إقتدارا ، فقال سبحانه : (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) فالذى أبدع السموات والأرض ، على جلالتها ، وعظم شأنها ، وكبر أجسامها وسعتها ، وعجيب خلقها ، أقدر على أن يحيى عظاما قد صارت رعيما فيردها الى حالتها الأولى . (١) .

قال تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شئىء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .) (٢)

إن هذه الآيات فيها دليل على أن الله أنشأ الخلق وبدأهم من تراب ليس فيه أى مظهر من مظاهر الحياة ، وفيها دليل على قدرة الله فى خلـق الإنسان ونقله من طور إلى طور . ودلالة ذلك على البعث لأن القادر على الإنشاء قادر على الإعاده وهى أهون كما قال تعالى : (وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .) (٣)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) الحج آية ٥ - ٧ .

(٣) الروم آية ٢٧ .

ولقد استدل القرآن على امكان البعث بعدة طرق يذكرها ابن تيمية فيقول : (وهذه طريقة القرآن في بيان امكان المعاد ، فقد بين ذلك بهذه الطريقة فتارة يخبر عن أماتهم ثم أحياهم ، كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا : أرنا الله جهرة قال : (فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم) (١) . وعن (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم) (٢) . وعن : (الذي مر على قرية فأماتته الله مائة عام ثم بعثه) وعن ابراهيم إذ قال : (ربِّ أرني كيف تحيي الموتى) (٣) . وكما أخبر عن المسيح أنه كان يحيى الموتى بإذن الله وعن أصحاب الكهف : أنهم بعثوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين .

وتارة يستدل على ذلك بالنشأة الأولى ، فان إعادة أهون من الإبتداء كما في قوله : (قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة) (٤) . (قل الذي فطركم أول مرة) (٥) . وتارة يستدل على ذلك بخلق السموات والأرض فان خلقهما أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله : (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعس بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى) (٦) .

وتارة يستدل على إمكانه بخلق النبات كما في قوله : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا ، إلى قوله : (كذلك نخرج الموتى) (٧) .

إن القرآن يدعم عقيدة البعث بالوسائل العديدة المختلفة لأنه من الحكمة والعدل الإلهي أن تكون حياة أخرى للجزء والشواب ، فيثاب المحسن ويعاقب المسيء .

(١) البقره آيه ٥٥ - ٥٦

(٢) البقره آيه ٢٤٣

(٣) يس آيه ٧٩

(٤) الاسراء آيه ٥١

(٥) الاحقاف آيه ٣٣

(٦) الفتاوى ابن تيمية ، جزء ٩ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

قال تعالى : (وخلق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .) (١)

وقال : (أم حسب الذين اجتزحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء أمحياهم ومماتهم سواء ما يحكمون .) (٢) .

ولن يكون الايمان باليوم الآخر إلا بالإيمان بانتهاء هذه الحياه ، ونهايتها هو يوم القيامة .

ولا يكون الإنسان مؤمناً باليوم الآخر إلا إذا آمن بما يأتي :

أولاً : فتنة القبر وسؤال الملكين :

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما سيكون بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه يسمع قرع قعالمهم أتساء ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما الموتى من فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراها خصباً ، قال قتاده وذكر لنا أنه يفسح فى قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق الكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربه فيصيح صيحه يسمعا من يليه غير الثقلين .) (٣) .

(١) الجائيه آيه ٢٢

(٢) الجائيه آيه ٢١

(٣) رواه البخارى ص ١٠٢ ، ج ٢ ، دار الفكر - بيروت .

ثانياً : عذاب القبر ونعيمه :

يجب أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه لإخياره صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولوجود أدلة من القرآن الكريم ومن السنة الشريفة عليه .

الأدلة من القرآن :

- (١) قال تعالى : (وحق بال فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ، ادخلوا آل فرعون أشد العذاب .) (١)
- (٢) وقال : (إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطة أيديهم ، أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون .) (٢) .
- وقال : (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون . يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون . وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون .) (٣)

الأدلة من السنة :

- (١) عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا مات الرجل عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فالجنة وإن كان من أهل النار فالنار قال : ثم يقال هذا مقعدك الذى تبعث إليه يوم القيامة .) (٤) .
- (٢) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر .) (٥) .

(١) غافر آيه ٤٥ - ٤٦

(٢) الانعام آيه ٩٣

(٣) الطور آيه ٤٥ - ٤٧

(٤) رواه مسلم ص ٢٠٢ ، ج ١٧

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ج ١٧ .

(٣) عن البراء عن أبي أيوب قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت الشمس فسمع صوتا فقال : (يهود تعذب في قبورها .) (١) وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من عذاب القبر ويأمر الصحابة بالتعوذ منه .

(٤) عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر فيقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .) (٢) . هل عذاب القبر للروح أم للروح والجسد معا ؟ .

ان عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس ، وتعذب مفردة عن البدن أو متصل به .

(واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أولم يقبر ، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور . وما ورد من إجلاسه واختلاف اضلاعه ونحو ذلك ، فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير وأن لا يجل كلامه ما لا يتحمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .) (٣) .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (إن مذهب سلف الامة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، فيحصل له معها النعيم والعذاب .) (٤)

(١) ، (٢) صحیح مسلم بشرح النووي ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ج ١٧

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٤) الفتاوى بج ٤ ، ص ٢٨٤ .

ثالثا : الحشر :

الحشر في لغة العرب معناها الجمع ، والمراد بالحشر جمع الخلائق
كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإخراجهم من باطن الأرض .
قال تعالى : (ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر
منهم أحدا .) (١)

يقول الرازي في تفسيره : (قوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والمعنى
جمعناهم للحساب فلم نغادر منهم أحدا أى لم نترك من الأولين والآخرين
أحدا الا وجمعناهم لذلك اليوم ونظيره قوله تعالى : (قل إن الأولين
والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم .) (٢) . ومعنى لم نغادر لهم
نترك .) (٣) .

وشبه الرسول عليه الصلاة والسلام أرض المحشر برغيف الخبز المصنوع من
الدقيق النقي . قال عليه الصلاة والسلام : (يحشر الناس يوم القيامة على
أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد .) (٤) .
ويبعث الله الناس حفاة عراة غزلا . ليفصل ويقضي ويحكم فيما بينهم وهو أحكم
الحاكمين وأعدل العادلين .

قال عليه الصلاة والسلام : (تحشرون حفاة عراة غزلا .) قالت عائشة
رضي الله عنها : يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟
فقاله عليه الصلاة والسلام : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك . (٥) .
ويحشر الله الكافرين على وجوههم عميا وصحا مصداقا لقوله : (ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم عميا وبكما وصحا - ما وأهم جهنم كلما خبت زدناهم
سعيرا . ذلك جزاءهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورقائنا
أءنا لمبعوثون خلقا جديدا .) (٦)

وقيل للرسول عليه الصلاة والسلام : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟
قال : (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه
على وجهه يوم القيامة) . قال قتاده بلى وعزة ربنا . (٧)

(١) الكهف آية ٤٧ . (٢) الواقعة آية ٤٩-٥٠ . (٣) تفسير الرازي ج ٥ ص ٤٩٢

(٤) رواه مسلم ج ١٧ ، ص ١٣٤ (٥) فتح الباري شرح البخاري ج ١١ ص ٣٧٨

(٦) الاسراء آية ٩٧-٩٨ (٧) فتح الباري شرح البخاري ج ١١ ، ص ٣٧٧

ويحشر الله المجرمين الكافرين يوم القيامة زرقا مكبلين على وجوههم عميا وكما وصفاً .

قال تعالى : (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وكما وصفاً ما أوام جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً) . (١)

وقال : (يوم ينفخ فى الصور وتحشر المجرمين يومئذ زرقا .) (٢)
وفى الموقف يصيب الخلائق فزع وكرب شديد ، فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال : (سليم بن عامر فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذى تكتحل به العين قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حنجرته ومنهم من يلجمه العرق إلجاما قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه .) (٣)
وفى أثناء ذلك يكون بعض من الناس فى ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل معلق قلبه بالمساجد ورجلان تحابيا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل صدق بصدقه فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ماتنطق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .) (٤)

(١) الاسراء آيه ٩٧

(٢) طه آيه ١٠٢

(٣) صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩٦

(٤) صحيح مسلم ج ٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ - ١٢٢

رابعاً : العرض والحساب :

يجب أن نؤمن بأن كل إنسان سوف يعرض على الله عز وجل وتقام عليه
الحجة ويطلع على أعماله ويحاسب عليها .

قال تعالى : (وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) (١)
وقال : (فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك
على أرجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيته ، يومئذ تعرضون
لاتخفى منكم خافية .) (٢) .

ومن العرض إظهار الأعمال على أصحابها فمن أوتى كتابه بيمينه تجاوز الله
عن ذنوبه ، ولم يناقشه على كل صغيرة وكبيرة ، وأدخله الجنة ولم يدخله النار ،
وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يناقشه الله على كل صغيرة ويحاسبه
على أعماله السيئة ويدخله جهنم وساءت مصيرا . كما قالت السيدة عائشة
رضي الله عنها أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (ليس أحد يحاسب
يوم القيامة إلا هلك ، فقلت يارسول الله : أليس قد قال الله : فأما من أوتى
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ فقال الرسول صلى الله عليه
وسلم : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب .) (٣)
والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبه ، والمطالبه بالجليل والحقير وترك
المسامحه . (٤)

ويجب أن نؤمن بأخذ العباد صحائف أعمالهم وقراءتها وأنهم مسؤلون
عن أعمالهم التي قد موها في الدنيا ، كما قال تعالى : (وكل إنسان ألزمناه
طائفة في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا .) (٥)

(١) الكهف آيه ٤٨

(٢) الحاقه آيه ١٥ - ١٨

(٣) فتح الباري ، ج ١١ باب الرقاق ص ٤٠٠

(٤) فتح الباري ج ١١ باب الرقاق ص ٤٠١ .

(٥) الاسراء آيه ١٣ - ١٤ .

وقال : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ، فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً ، إنه كان في أهله مسروراً . إنه ظن أن لن يحور . بلى إن ربه كان به بصيراً .) (١)

والكتب التي يقرأونها العباد يوم القيامة هي أعمالهم التي سجلتها عليهم الملائكة بأمر من الله عز وجل . قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون .) (٢)

وقال : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون .) (٣) والله عز وجل هو الذي سيتولى الحساب بنفسه فكل إنسان سوف يعرض على الله عز وجل ليحاسبه على أعماله فليس هناك وسيط ولا فداء كما قال عليه الصلاة والسلام : (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قد أمه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة .) (٤)

وقال : (وجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم : فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك .) (٥)

أنواع الحساب :

إن المتتبع لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية عن اليوم الآخر يجد أن الحساب ينقسم بالنسبة إلى الناس إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً فلا يناقشهم الله على أعمالهم الصغيرة والكبيرة وإنما تعرض عليهم أعمالهم ثم يتجاوز الله عن سيئاتهم

(١) الإنشاق آية ٦ - ١٥

(٢) الانفطار آية ١٠ - ١٢

(٣) الجاثية آية ٢٩

(٤) ، (٥) فتح الباري ج ١١ ، ص ٤٠٠ ، باب الرقاق .

ويغفرها لهم كما قال تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا .) (١) .

القسم الثاني :

وهم الذين يحاسبون حسابا عسيرا حيث يناقشهم الله على كل صغيروه وكبيره ثم يعذبون ويهلكون ، كما قاله عليه السلام : (من نوقش الحساب عذب .)^(٢) وقال تعالى : (فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير .) (٣) .

أما المؤمنون فإنهم يخافون من سوء الحساب لتقصير أعمالهم مع الله . قال تعالى : (ويخافون سوء الحساب .) (٤) .

القسم الثالث :

وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما قال عليه الصلاة والسلام : (عرضت على الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا أسود كثير ، قلت يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا أسود كثير . قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتوبون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .) (٥) .

وأما عن كيفية الحساب فيجب الإيمان بما ورد في القرآن والسنة بلا زيادة ولا نقصان ، فالله سبحانه وتعالى سيذكر كل إنسان بما قدمه من خير وشـر وتشهد عليه الأرض بما عمل عليها ، قال تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها ،

(١) الانشاق آية ٧ - ٨

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٠

(٣) المدير آية ٨ - ١٠

(٤) فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٠

(٥) فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٦

وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ،
بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . (١)

وتشهد على الإنسان أعضاؤه ، قال تعالى : (ويوم يحشر أعداء الله السي
النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا :
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون .
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم .
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون .) (٢)

وقال : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا
يكسبون .) (٣)

وبعد إتمام الحساب توزن الأعمال لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد
المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديره ليكون الجزاء
بحسبها . (٤)

فمن كانت حسناته أكثر في الميزان فجزاءه الجنة ومن كانت سيئاته أكثر
فجزاءه جهنم وساءت مصيرا .

خامسا : الميزان :

يجب أن نؤمن بالميزان لقوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى
بنا حاسبين .) (٥) وفيه إظهار لعدل الله .

(١) الزلزله آيه ١ - ٨

(٢) فصلت آيه ١٩ - ٢٢

(٣) يس آيه ٦٥

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٢ .

(٥) الانبياء آيه ٤٧

وقال : (والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون .
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون .) (١)
وقال : (فأما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضية . وأما من خفت
موازينه . فأمه هاوية .) (٢)

وهو ميزان حقيقي له كفتان توزن به الأعمال والأقوال .

قال عليه الصلاة والسلام : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في
الميزان . حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده .) (٣)
وبحسب نتيجة الوزن تكون السعادة أو يكون الشقاء . قال تعالى : (فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا
أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألم
تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون .) (٤) وبعد الميزان المرور على
الصراط .

سادسا : الصراط :

وهو جسر منصوب على متن جهنم ، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار
يمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالمح البصر ، ومنهم من يمر
كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر
كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشى مشيا ، ومنهم من
يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى في جهنم فإن الجسر عليه
كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة (٥) .

(١) الأعراف آية ٨ - ٩

(٢) القارعة آية ٦ - ٩

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٢٠٦

(٤) المؤمنون آية ١٠٢ - ١٠٥

(٥) الفتاوى ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

فالناس يمرون على الصراط ويكون سهلا عليهم بالنسبة إلى أعمالهم
 فمنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل
 الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقد مره ويطلقاً مره . (١)
 عن أبي هريره رضى الله عنه قال : قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا
 يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه ؟
 قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله
 الناس فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس .
 ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه
 الأمم فيها منافقوها ، فيأتهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول
 أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا آتانا
 ربنا عرفناه ، فيأتهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون :
 أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم سلم ، وبه كلاليب
 مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول الله
 قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ،
 فتخطف الناس بأعمالهم . منهم المويق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو . (٢)
 والصراط أحد من السيف وأدق من الشعر وهو ممر خطير يشهد
 لخطورته قول الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك الأنبياء : (رب سلم سلم)
 ويكون المرور على الصراط بعد انصراف الناس من الموقف وحسابهم ووزن
 أعمالهم .

ويمر على الصراط جميع الناس الأنبياء ، والمؤمنون والكافرون كما قال تعالى
 (وإن منكم إلا واردة) (٣)

ثم ينجى الله المؤمنين من السقوط في جهنم كما قال تعالى : (ثم ننجى
 الذين اتقوا ونذر الظالمين جثيا) (٤) ويتساقط الكفار في جهنم أعانسا
 الله منها .

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٣٠٨

(٢) فتح الباري ج ١١ ، ص ٤٤٥

(٣) ، (٤) مريم آية ٧١ - ٧٢

سابعاً : الحوض :

ويجب أن نوءن بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الحوض حيث قال : (اصبروا حتى تلقوني على الحوض .) (١) وقال : (أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني ، فأقول : يارب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .) (٢) . فالرسول عليه الصلاة والسلام أول من يرد الحوض ثم يرد بعده المسلمون ، ويمتنع عنه الكفار والعصاة الذين لم يتبعوا الرسول عليه السلام . قال عليه السلام : (لاني فرطكم على الحوض : من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على اقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم .) (٣)

ومسيرة هذا الحوض شهر وماءه أبيض من اللبن وأهلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ، أما ريحه فانها أطيب من المسك ، وعدد آنيته كنجوم السماء . قال عليه الصلاة والسلام : (حوضي مسيرة شهر ، ماءه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبدا .) (٤)

والأحاديث التي وردت في ذكر الحوض صحيحة وكثيره يجب الايمان بها كما قال القاضي عياض رحمه الله : (مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض العرش باسمه ووضفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل مجموعها العلم القطعي .) (٥)

هل الحوض قبل الصراط أم بعده ؟

يراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه الى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤

(٥) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧

وقال أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: أن الحوض يكون قبل الصراط ، فان الناس يردون الموقف عطاشاً فيرد المؤمن الحوض وتتساقط الكفاار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها شراب فيقال : ألا ترين ؟؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها . (١) . فالله عز وجل أعلم يكون الحوض قبل أم الصراط ولا يؤثر ذلك على العقيدة والايمان طالما لم يخبرنا بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام . فالواجب الايمان بالحوض أما كونه قبل الصراط أو بعده فليس من الواجب معرفته .

وأول من يفتح باب الجنة : محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته .

ثامنا : الشفاعة :

وله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة ثلاث شفاعات .

الشفاعة الأولى :

فيشفع في أهل الموقف ، حتى يقضي الله بينهم بعد أن تتراجع كل الأنبياء من لدن نوح إلى عيسى عن الشفاعة حتى تنتهي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

الشفاعة الثانية :

وهي أن يشفع الرسول عليه الصلاة والسلام في أهل الجنة أن يدخلوها وهاتان الشفاعتان خاصتان به عليه السلام .

الشفاعة الثالثة :

فيشفع عليه الصلاة والسلام ، فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، وهذه الشفاعة للرسول عليه الصلاة والسلام ولسائر النبيين ، ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل يفضلهم ورحمته ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواما

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٦ .

ثم يخرج الله من النار من كان في قلبه من الايمان ما يزن شعيره ، ثم ما يزن به ثم ما يزن ذره ويدخلهم الى الجنة .

قال عليه الصلاة والسلام : (يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا حتى يخرجنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناك ويذكرهم خطيئتهم التي أصاب - ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض . فيأتون نوحا فيقول : (لست هناك - ويذكر خطيئتهم التي أصاب ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطاياهم التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدا أتاه الله التوراه وكلمة تكليما . فيأتون موسى فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصابها - ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحاه . فيأتون عيسى فيقول لست هناك ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، فيأتوني ، فأنتقل فاستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فاذا رأيت ربي وقعت له ساجدا ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه واشفع فتشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم اشفع ، فيجد لي حدا ، فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه : واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم اشفع فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ، ثم يقال ارفع محمد قل يستمع ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيجد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب

النعيم الذى أعدّه الله لأهل الجنة ثوابا لأعمالهم وإيمانهم .
قال تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضه وسقاهم ربهم شرابا طهورا . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا .) (١)

وقال : (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم فنجبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون .) (٢)

وقال : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . لننزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياءكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم .) (٣)

قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات .) (٤)

وقال : (إنا اعطينك الكوثر .) (٥)

وقال : (وظل مسكود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة .) (٦)

ملابس أهل الجنة من الحرير وحليهم من الذهب واللؤلؤ ويجلسون على الأرائك والسمر المذهب متقابلين والثمار قريبة منهم مذلل بين أيديهم

(١) الانسان آيه ٢٠ - ٢٢

(٢) الزخرف آيه ٦٨ - ٧٢

(٣) فصلت آيه ٣٠ - ٣٢

(٤) محمد آيه ١٥

(٥) الكوثر آيه ١

(٦) الواقعة آيه ٣٠ - ٣٤

ويهديهم الله الى القول الطيب .

قال تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنت تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . وهدوا الى الطيب من القول . وهدوا الى صراط الحميد)^(١) وقال : (والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنت النعيم . ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونه . متكئين عليها متقبلين .)^(٢) وقال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك لا يبرون فيها شمساً ولا زمهريراً . ودانية عليهم ظلها وذللت قطوفها تذيلاً .)^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام : (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها .)^(٤)

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت . قال صلى الله عليه وسلم (أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت .)^(٥) .

ان آخر من يدخل الجنة له عشره أضعاف الدنيا . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا ، رجل يخرج من النار حيوا ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل اليه أنها ملاءى فيرجع فيقول : يارب وجدت لها ملاءى ، فيقول اذهب فادخل الجنة فيخيل الله أنها ملاءى فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو لك مثل عشرة أمثال الدنيا - فيقول : تسخر منى ، وتضحك منى وأنت الملك ، فلقد رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجده . وكان يقال : ذلك أدنى أهل النار منزله .)^(٦)

(١) الحج آية ٢٣ - ٢٤

(٢) الواقعة آية ١٠ - ١٦

(٣) الانسان آية ١٢ - ١٤

(٤) فتح الباري ج ١١ ، ص ٤١٥

(٥) فتح الباري ج ١١ ، ص ٥

(٦) فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٤١٩

رضوان الله الذى يحله على أهل الجنة :

قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون لبيك ربنا وسعديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا : يارب وأي شئ أفضل من ذلك فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا . (١) .

جهنم :

إن الله عز وجل يكافىء المومنين بالجنة ويجازى الكفار والعصاة بجهنم جزاء لكفرهم وضلالهم فى الدنيا .
دخول أهل النار أفواجا متتابعه :

قال تعالى : وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا . (٢)

وقود جهنم الناس والحجاره والملائكه التى عليها غلاظ شداد :
قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجاره عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . (٣) .
وهذه جهنم لا تشبع أبدا فكلما ألقى إليها أرادات المزيد :
قال تعالى : (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . (٤)
وإذا رأت جهنم الكافرين والعصاة تزفر وتغيظ :

قال تعالى : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . (٥)
طعام أهل النار الزقوم وهى شجرة تنبت فى أصل جهنم طلوعها كأنه
رءوس الشياطين :

قال تعالى : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنه للظالمين ،

(١) فتح البارى ج ١١ ، ص ٤١٥ .

(٢) الزمر آيه ٧١

(٣) التحريم آيه ٦

(٤) ق آيه ٣٠

(٥) الفرقان آيه ١٢

إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . طلعتها كأنه رؤوس الشياطين . فإنهم
لآكلون منها فمالتون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم . (١)
شراب أهل النار الحميم :

قال تعالى : (إنا أعتدنا للنار للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها . وإن يستغيثوا
بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا .) (٢)
وشيابهم من نار :

قال تعالى : هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم
والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا
فيها وذوقوا عذاب الحريق . (٣)

وجهنم تحيط بهم من جميع الجوانب فهي لهم فراش وغطاء :

قال تعالى : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين .) (٤) . لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباده
فاتقون . (٥) .

وهم لا يموتون في جهنم فيستريحون من عذابها ولا يحيون فيها حياة
هنيئة فهي عذاب دائم كلما نضجت جلودهم بيد لهم الله جلودا غيرها .

قال تعالى : (ويقعجنيها الأشقى الذي صلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها
ولا يحيى .) (٦) .

(١) الصافات آية ٦٢ - ٦٧

(٢) الكهف آية ٢٩

(٣) الحج آية ١٩ - ٢٢

(٤) الاعراف آية ٤٠ - ٤١

(٥) الزمر آية ١٦

(٦) الأعلى آية ١١ - ١٣

وقال : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما .) (١)
ومن شدة العذاب يتمنى المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب وعزيز لكي ينجى من العذاب الشديد :

قال تعالى : (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بهمه بك وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه . ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه كلابهاظ) (٢)
أهون أهل النار عذابا :

قال عليه السلام : (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع على أخص قدميه جهرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم .) (٣)
خلود الكفار فى جهنم :

قال عليه الصلاة والسلام : (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار جبيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم .) (٤)
أما المؤمن فلا يخلد فى النار وإنما الله عز وجل يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذره من إيمان .

(١) النساء آية ٥٦

(٢) المعارج آية ١١ - ١٥

(٣) فتح البارى ج ١١ ص ٤١٧

(٤) فتح البارى ج ١١ ص ٤١٥

الفصل السادس

القضاء والقدر كما ورد في القرآن

القضاء والقدركما ورد في القرآن

لم يذكر لفظ القضاء في القرآن الكريم وإنما ذكر مشتقاته في آيات كثيرة منها :

القضاء في صورة فعل بمعنى أمر كما في قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه .) (١)

القضاء في صورة فعل بمعنى خلق كما في قوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات في يومين .) (٢)

القضاء في صورة فعل بمعنى أحكم كما في قوله تعالى : (فاقض ما أنت قاض) (٣)
القضاء في صورة فعل بمعنى الفراغ كما في قوله تعالى : (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) (٤)

القضاء في صورة فعل بمعنى أراد كما في قوله تعالى : (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) (٥)

القضاء في صورة فعل بمعنى عهد كما في قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر .) (٦)

القضاء في اللغة :

بمعنى الحكم ، وأصله قضى لأنه من قضيت ، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت .

(١) الاسراء آيه ٢٣

(٢) فصلت آيه ١٢

(٣) طه آيه ٧٢

(٤) يوسف آيه ٤١

(٥) آل عمران آيه ٤٧

(٦) القصص آيه ٤٤

قال ابن السيرافي : قضاها فرغ من عملها . والقضاء : الحتم والأمر وقضى أي : حكم ، ومنه القضاء والقدر . وقوله تعالى : (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه .) أي أمر ربك وحتم ، وهو أمر قاطع وقد يكون بمعنى الفراغ ، تقول : قضيت حاجتي . وقضى عليه عهدا أوصاه وأنقذه ومعناه الوصيه ، وقد يفسر قوله عز وجل : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب .) أي عهدنا ، وهو بمعنى الأداء والإنهاء . تقول قضيت ديني . (١) وقال الزجاج : (القضاء في اللغة على ضربين كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه .) (٢)

القدر كما ورد في القرآن الكريم :

فقد ورد مصدرا ، وفعلًا .

قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (٣) وقال : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٤) .

وقال : (فقد رنا فنعم القادرون .) (٥) وقال : (وقد ر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين .) (٦) .

ومعنى القدر : التقدير ، ووضع الشيء في موضعه المناسب له .

عن عكرمه . عن الضحاك ، قال في قوله تعالى : (وقد ر فيها أقواتها) أي أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعاشهم ، من التجارات ، والأشجار والمنافع ، لكل بلدة ، ما لم يجعله في الأخرى . (٧)

(١) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٥ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ دار صادر بيروت .

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي جزء ٢ ص

(٣) القدر آية ١

(٤) القمر آية ٤٩ .

(٥) المرسلات آية ٢٣

(٦) فصلت آية ١٠

(٧) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٥٧٨٦ - ٥٧٨٧ .

ولفظ القدر مشتق من قدره ، ومنه اشتقت صفات الله عز وجل ، القادر ،
والقدير والمقدر .

والقضاء من الله تعالى أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير . فالقدر
هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع . (١)

القدر في اللغة :

جاء في لسان العرب مايلي :

القدير والقادر . من صفات الله عز وجل يكونان من قدره ويكونان
من التقدير . وقوله تعالى : (إن الله على كل شيء قدير .) (٢)
من قدره ، فالله عز وجل على كل شيء قدير ، والله سبحانه مقدر كل شيء
وقاضيه .

التهديب ، الليث : القدر القضاء الموفق . يقال : قدر الاله كذا
تقديرا .

ابن سيده : القدر والقدر القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من
القضاء ويحكم به الأمور .

قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أي الحكم .

قال ابو منصور : وتقدير الله الخلق تيسيره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون
إليه من السعادة والشقاء ، وذلك أنه علم منهم قبل خلقه إياهم ، فكتب علمه
الأزلي السابق فيهم . وقدره تقديرا . (٣)

القضاء والقدر عند الباحثين في العقيدة :

يقول الجرجاني (القضاء لغة الحكم ، وفي الإصطلاح عبارته عن الحكم
الكلّي الالهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية
في الأزل إلى الأبد ، وفي اصطلاح الفقهاء القضاء مثل الواجب بالسبب) (٤)

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) البقره آيه ٢٠

(٣) لسان العرب ج ٥ ، ص ٧٤ - ٨٤

(٤) التعريفات للجرجاني ، ص ١٨٥ .

ويقول : (القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد مطابق للقضاء ، والقضاء في الأزل .) (١)

ويقول شارح العقيدة الطحاوية : (أصل القدر سر الله في خلقه وهو كونه أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وأهدى . قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه : القدر سر الله فلا نكشفه .) (٢)

ويقول ابن تيمية : (الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق : فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير .) (٣) . وقال : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نهرأها ، إن ذلك على الله يسير .) (٤) .

الدرجة الثانية : فهي مشيئة النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأما ما في السموات والأرض من حركة وسكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون في ملكه إلا ما يريد ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات .

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٨١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٧ .

(٣) الحج آية ٧٠ .

(٤) الحديد آية ٢٢ .

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته واطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته .
وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .
والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر ، والمصلى والصائم ، وللعباد قدره على أعمالهم ولهم إرادته ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم . (١) كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاءون إلا أن يشاء اللعوب العالمين . (٢) والذي يتبين من كلام ابن تيمية أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي :-
المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها .

المرتبة الثانية : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ .

المرتبة الثالثة : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .

المرتبة الرابعة : إيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وكل ماسواه مخلوق .

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر :

إن من أركان الإيمان أن تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى والدليل على ذلك ، من عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .) (٣)

(١) الفتاوى لابن تيمية ج ٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) التكوير آيه ٢٨ - ٢٩ .

(٣) رواه مسلم جزء ١ ، ص ١٥٧ .

فالإيمان بالقدر: هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر يكون بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد فكل شيء بإرادته وتقديره ولا يخرج عن مشيئته وتدبيره، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وهو خالق العباد وخالق أفعالهم جميعها من طاعة ومعصية وأنه جعل لعباده إرادة واختياراً فهم ليسوا مجبورين على أفعالهم وإنما تقع منهم حسب إرادتهم وقدرتهم، والله يهدي من يشاء منهم برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وهذا الإيمان هو الذي آمن به الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين .

مراتب القضاء والقدر :

وهي أربع مراتب يجب الإيمان بها جميعاً .
المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها .

المرتبة الأولى : وهي العلم الأزلي لله عز وجل فقد اتفق جميع الرسل والصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وخالقهم في ذلك مجوس الأمة ، وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها ، كما قال تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون .) (١) قال مجاهد : علم من إبليس المعصية وخلقها لها . وقال قتاده : كان فسى علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسول وقوم صالحون ، وساكنو الجنة .

وقال ابن مسعود : أعلم ما لا تعلمون من إبليس . وقال مجاهد : علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم .

قال تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت .) (١) .
قاله عز وجل علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الأزلي ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال . (٢)

المرتبة الثانية : وهي مرتبة الكتابة .

قال تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .) (٣)

فالزبور هنا معناه جميع الكتب التي أنزلها الله من السماء لا تختص بزبور داود . والذكر هو أم الكتاب الذي عند الله ، والأرض الدنيا وعباده الصالحون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء .) (٥)

المرتبة الثالثة : مشيئة الله عز وجل :

وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وبأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقد دل على ذلك جميع الرسل وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله الناس عليها وهذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به ، فالمسلمون جميعهم مؤمنون بمشيئة الله وقدرته النافذة الشاملة لكل الوجود .

(١) لقمان آية ٣٤

(٢) شفاء العليل ، تأليف ابن القيم الجوزية ، ص ٨٧

(٣) الرئيا ١٩

(٤) شفاء العليل ص ٨٨

(٥) رواه مسلم ، جزء ١٦ ص ٢٠٣

قال الطحاوى : (وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن ، لاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره .) (١)

قال تعالى : (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) (٢) . وقال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا .) (٣) وقال : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة .) (٤) . وقال (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم .) (٥) . وقال : (يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٦) وقال : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) (٧) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي لاحصر لها وكلها تثبت المشيئة لله عز وجل وتثبت قدره النافذ له جل وعلا .

المرتبة الرابعة : خلق الله كل المخلوقات وإيجاده لهم ولا خالق غيره ،

وهذا الأمر متفق عليه بين جميع الرسل واتفقت عليه جميع الكتب السماوية وآمن به المؤمنون جميعا ، وخالفهم في ذلك مجوس الأمة الذين أخرجوا طاعات الملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنين عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته وجعلوهم الفاعلين الحقيقيين لأفعالهم والخالقين لها خارجين عن مشيئة الله وقدرته ، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختياريه .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٣

(٢) الفتح آية ١٤

(٣) يونس آية ٩٩

(٤) هود آية ١١٨

(٥) الاسراء آية ٥٤

(٦) الرعد آية ٣٩

(٧) الشورى آية ٢٧

وهذا يتنافى ما جاء به التوحيد والكتب المنزله من عند الله وأقوال الرسل عليهم الصلاة والسلام التي أثبتت لله عز وجل المشيئة الشاملة والإرادته النافذه والقدره العظيمه . (١)

أما أهل السنه والجماعه فإنهم يقولون :

إن الله خالق كل شئ^١ وربّه ومليكه ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شئ^٢ قدير ، وأنه هو الذى خلق العبد هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً وغير ذلك ، وأن العبد فاعل حقيقة ولسه مشيئة وقدرة كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .) (٣) وقال : (كلا إنه تذكروه . فمن شاء ذكره . وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة .) (٤) .

يقول شارح الطحاويه : إن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله تعالى ، ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله ففرق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق . وإلى هذا أشار الشيخ الطحاوى رحمه الله بقوله : وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد أثبت للعباد فعلاً وكسباً وأضاف الخلق لله تعالى .

والكسب : هو الفعل الذى يعود على فاعله منه نفع أو ضرر (٥) . قال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .) (٦) .

(١) شفاء العليل ، ص ١٠٩

(٢) التكوير آيه ٢٨ - ٢٩

(٣) المدثر آيه ٥٤ - ٥٦

(٤) الفتاوى ص ١١٨ ، ج ٨

(٥) شرح العقيدة الطحاويه ص ٥٠٢

(٦) البقره آيه ٢٨٦ .

الإحتجاج بالقدر :

كثير من الناس فى كل عصر من العصور يحتجون بالقدر حيث يقولون :
 إن الله خلق الانسان وخلق أفعاله فلم يحاسبه عليها ؟ وإذا كتب
 الله الشقاء على الانسان فلم يحاسبه ؟ . ويعتقدون أنه يوجد تعارض
 بين قوله : (وإنك لتهدى الى صراط مستقيم .) (١) وبين قوله : (إنك
 لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .) (٢) .
 والجواب على هؤلاء :

- ١ - أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الفعال لكل شىء فلا يسأله
 أحد عن فعله مصداقا لقوله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .) (٣)
- ٢ - أنه متصف بالعدل فلا يظلم أحدا مثقال ذرة . مصداقا لقوله :
 (إن الله لا يظلم مثقال ذرة .) (٤)

فأله عز وجل خلق الإنسان وجعل له إرادة واختياراً ومشيئة ثم جعل
 له عقلاً يميز بين الخير والشر وأرسل له الرسل لهدايته ، وأنزل عليه
 الكتب لقراءتها . والعمل بمقتضاها ولم يكلفه إلا بما يطيقه كما قال تعالى :
 (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .) (٥) ولم يحاسبه إلا على أعماله
 التى بإرادته ، واختياره وهو عاقل بالغ مستيقظ فلا يحاسب الصغير
 ولا المجنون ولا النائم .

فأله يجازي بعدله من اهتدى بعقله واختياره جنات النعيم ويجازي
 بعدله من ضل بعقله واختياره جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى :

(١) الشورى آيه ٥٢

(٢) القصص آيه ٥٦

(٣) الانبياء آيه ٢٣

(٤) النساء آيه ٤٠

(٥) البقره آيه ٢٨٦ .

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤء من ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً، أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشـوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً .) (١) .

معاني الهداية كما وردت في القرآن الكريم :

١ - المعنى الأول : بمعنى الدلالة ، كما في قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون .) (٢) . فمعنى الهدايه هنا الدلالة على الطريق الموصل للخير .

المعنى الثانى : بمعنى الإعانه والحمل على الخير ، كما قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم .) (٣) . فمعنى زادهم هدى أي أعانهم وحملهم على فعل الخير . ومن فهمنا لمعنى الهدايه فى هاتين الآيتين نفهم معنى قوله تعالى :- (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .) (٤) (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .) (٥) .

فالهداية فى الأولى معناها الدلالة وفى الثانيه بمعنى الحمل على فعل الخير .

(١) الكهف آيه ٢٩ - ٣٠

(٢) فصلت آيه ١٧

(٣) محمد آيه ١٧

(٤) الشورى آيه ٥٢

(٥) القصص آيه ٥٦

مراتب الهداية فى القرآن الكريم :
المرتبة الأولى : الهداية العامة :

وهى هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها .
 قال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر
 هدى .) (١)

فالله عز وجل ذكر أربعة أمور عامه : الخلق ، والتسوية ، والتقدير ، والهداية
 وجعل التسوية من تمام الخلق ، والهداية من تمام التقدير .

المرتبة الثانية : هداية الإرشاد والبيان للمكلفين .

وهذه لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وإن كانت شرطا فيه ،
 كما قال تعالى : (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى .) (٢)
 وقال : (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون .) (٣)
 فهدهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك
 الإهداء بعد أن عرفهم الهدى فأعرضوا عنه فأعماهم عنه بعد ما أراهموه .

المرتبة الثالثة : هداية التوفيق والإلهام ، وخلق المشيئة . المستلزمة

للفعل .

وهذه المرتبة أخص من التي قبلها ، وهى التي أنكرها القدرية
 وهذه المرتبة تستلزم أمرين :
 أحدهما فعل الرب وهو الهدى .

والثانى : فعل العبد وهو الإهداء ، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي
والعبد المهتدي ، قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد .) (٤) . وقال :

(١) الأعلى آيه ١ - ٣

(٢) فصلت آيه ١٧

(٣) التوبة آيه ١١٥

(٤) الكهف آيه ١٧ .

(ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا .) (١) أى من وفقه الله وألهمه الهداية فلا يمكن لأي انسان أن يضلّه ومن أضله الله فلا يمكن لأحد أن يهديه إلى السبيل .

المرتبة الرابعة : الهداية إلى الجنة أو النار يوم القيامة .

قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم .) (٢)
وقال : (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم .) (٣) . فقيل المعنى سيهديهم إلى طريق الجنة . (٤)
والجواب على القائلين بأن الله إذا كتب عليهم الشقاء فلماذا يعذبهم من وجهين :
الوجه الأول :

من أعلمهم أن الله كتب عليهم الشقاء هل اطلعوا على ماكتبه الله عليهم فى النوح المحفوظ ؟ .
لقد رد الله على جماعة من المشركين حين قالوا : (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمانا من شىء) (٥) .
فرد الله عليهم كذبهم بقوله : (قل هل عندكم من شىء فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون .) (٦) .
فكان رد الله عليهم من أين علمتم أن الله سبحانه شاء لكم الشر وكتب عليكم الكفر ؟ هل أطلعتم على الغيب أم تقولون على الله ما لاتعلمون .

(١) الكهف آيه ١٧

(٢) الصافات آيه ٢٢ - ٢٣

(٣) محمد آيه ٤ - ٥

(٤) شفاء العليل ص ١٤٢ - ١٨٢ .

(٥) الأنعام آيه ١٤٨ .

(٦) الأنعام آيه ١٤٨ .

الوجه الثانى :

أن الله سبحانه وتعالى متصف بالعلم وعلمه شامل للماضى والحاضر والمستقبل وهو محيط بكل شىء .
فالله يعلم بأنه سوف يخلق هذا الانسان ويخلقه مختاراً فى بعض الأعمال وغير مختار فى بعضها .

فالأعمال التي ليس فيها اختيار لا يحاسب عليها ولا يعاقب . أما الأعمال الاختيارية فإنه يحاسب ويعاقب عليها فالله عز وجل كتب عليه ما سيفعله باختياره وإرادته وعقله لأن علم الله له صفة انكشاف وليست له صفة الجبر والإكراه .

فالله عز وجل يعذب العبد الذى اختار طريق الشقاء باختياره وإرادته بعد أن وهبه الله العقل والتمييز وأرسل اليه الرسل لهدايته وإرشاده وبيان طريق الخير من طريق الشر . كما قال تعالى : (وهديناهم لنجدين .) (١)

وقال : (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً .) (٢)

وقال : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .) (٣)

وقال : (فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى .

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى .) (٤)

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب ؟

يجب أن تأخذ بالأسباب ثم تتوكل على الله الذى بيده ملكوت كل شىء لأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بأمر الله فالله هو الذى خلق الأسباب والمسببات فمن أراد الذرية الصالحة فعليه أن يأخذ بالسبب وهو

(١) البلد آيه ١٠

(٢) الانسان آيه ٣

(٣) الكهف آيه ٢٩

(٤) التازعات آيه ٣٧ - ٤١

الزواج الشرعى والزواج قد يعطى الذريه وقد لا يعطى لأن ذلك بأمر الله وإرادته كما قال : (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا نا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير .) (١)

ولذلك يحرم على أي انسان أن يترك الأخذ بالأسباب فلوترك إنسان السعي لطلب الرزق لكان آثما مع أن الرزق بيد الله إنه الرزاق ذو القوة المتين .

لقد قال شارح الطحاوية : (وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافى الإكتساب وتعاطى الأسباب ، وأن الأمور إذا كانت مقدره فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد فإن الإكتساب . منه فرض ، ومنه مستحب ومنه مباح ، ومنه مكروه ، ومنه حرام ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكليين يلبس لامة الحرب ويمشى فى الأسواق للإكتساب .) (٢)

ولهذا قال بعضهم : (الإلتفات الى الأسباب شرك فى التوحيد ، ومحـو الأسباب أن تكون أسبابا تغييرى وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكسب قدح فى الشرع . ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب بل لا بد من تمام الشروط وزوال الموانع ، فكل ذلك بقضاء الله وقدره .) (٣)

فالإنسان لا ينال السعاده فى الآخرة بالعمل بل هي سبب كما قال عليه السلام : (لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة . قالوا ولا أنت يارسول الله قال ، ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمه .) (٤)

وقال تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون .) (٥) . أي بسبب أعمالكم .

وقد ضل فريقان من الناس فى ذلك فمنهم من آمن بالقدر وظن أن ذلك يكفيه فى حصول ما يريد وترك الأسباب الشرعيه والأعمال الصالحة فأدى بهم الأمر إلى الكفر بكتب الله ورسله ودينه .

(١) الشورى ٤٩ - ٥٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠١

(٣) الفتاوى ج ٨ ص ١٣٩

(٤) صحيح مسلم جزء ١٧ ص ١٦٠

(٥) النحل آيه ٣٢

أما من طلب الجزاء من الله كطلب الأجير من المستأجر متكلاً على قوته وحوله وعمله فقد جهل وضل ، لأن الله لم يأمرهم بما أمرهم به وهو محتاج اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلافه ولكن أمر العباد بما فيهم صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم .

فالمؤمنون يعبدون الله اتباعاً لأمره ويستعينون به إيماناً بقدره . (١)
لأن الإيمان بالقدر يسكب في القلوب السكينه ويفيض على النفوس الطمأنينه ويربيها على العزه والفضيله والشجاعه فلا يجبن المؤمن ولا يهان بل يتسابق إلى الشهاده في سبيل الله ، ويتحرر من عبادة الناس إلى عبادة الله ويقنع بما رزقه الله وينعم بالرضا والصبر على ما قدره الله عليه فيحمد الله ويشكره على ما قدره وقضاه عليه ، فلا يجزع ولا يتضجر ولا يشتكي بل يرضى بالقدر ويصير على البلاء لأنه من الله وله فيه خير وثواب عند الله .

وفرق كبير بين المسلم الذي يؤمن بالقدر وبين الكافر الذي لا يؤمن به . فالمؤمن به شجاع قنوع صابر - شاكراً - عزيزاً - مطمئن - راضياً - بما أعطاه الله عابداً لله وموحداً له مطمئن - راضياً بما أعطاه الله والكافر - مضطرب - جبائيل - جزع - متسخط - جشع ، طماع - ودليل - ذلك الانتحارات - الكبييرة في أوروبا وأمريكا وكثرة الأمراض العصبية والنفسية .

لقد قدمت فيما سبق عناصر الدعوة الاسلاميه الأساسيه والتي تتمثل في أركان الإيمان وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى . (٢)

وإذا كانت عناصر الإيمان أوسع وأشمل فهي ليست الإيمان بالقلب فقط وإنما هي : تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

(١) الفتاوى ص ٧١ - ٧٣ ، ج ٨

(٢) إتباعاً لحديث جبريل حينما جاء للرسول صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإيمان ، فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

ثم التصديق والإقرار والعمل بأركان الاسلام الخمسة ، وهى التى جاء بها الحديث فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الإيمان بضع وسبعون شعبه أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس : (أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع : عن الخنثم (٣) ، والدباء (٤) ، والنقير (٥) ، والمزفت (٦) ؟ وربما قال : المقير ، وقال : احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم .) (٧)

(١) رواه البخارى فى باب الإيمان قول : بنى الاسلام على خمس ، ورواه مسلم باب بيان اركان الاسلام ودعائمه العظام .

(٢) رواه البخارى : باب الايمان باب امور الايمان بلفظ الايمان بضع وستون شعبه . ورواه مسلم فى الإيمان باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها .

(٣) الخنثم : الجره يريد الانتباز فيها .

(٤) الدباء : القرعة . (٥) النقير : أصل النخلة ينقر فنتخذ فيها أوعية .

(٦) المزفت : المقير وهو الطلى بالقار ينتبذ فيها .

(٧) أخرجه البخارى فى باب اداء الخمس من الايمان وأخرجه مسلم فى

الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرايع الدين .

والنهي عن الانتباز فى هذه الأوعية ليس لأعيانها ، ولكن لما أن هذه

أوعية متينه قد ينشئ للشراب فيها فيصر مسكرا ، ولا يعرفه صاحبها

فيشربه ^{وغير} المزفت من أسقية الأدم إذا نشئ فيها الشراب ينشئ

فيعلم به صاحبه فيتجنبه فإن علم أنه لم ينشئ لقرب الزمان فلا بأس

بالشرب فيها .

شرح السنة للبخارى ، جزء ١ ، ص ٤٦ .

النشى ، معناه : الخلط : وقيل صوت الماء وغيره كالخمر واللحم إذا

غلى وفي حديث النبيذ إذا غلى أى إذا غلى .

تاج العروس من جواهر القاموس مادة نشأ جزء ٤ ، ص ٣٥٦ .

ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله : أى أصدق وأقر وأعترف بأنه لا إله إلا الله ولا رب سواه ، ولا معبود يحق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، وله السمع ، والطاعة ، وله الحب ، والدعاء ، والذبح ، والنذر ، والخوف والرجاء ، والتوكيل والإستعانة والإستغاثة والإستعاذه منه وحده لا شريك له ، ولا يجوز صرف شىء من العبادات لغير الله ، ولا يكفي التصديق والإقرار بلا إله إلا الله إنما يجب العمل بما تقتضيه لا إله إلا الله .

ومعنى أشهد أن محمداً رسول الله : أى أصدق وأقر بأن محمداً رسول الله أرسله الله لهداية البشرية ثم طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه) لقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .) (١) وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله .) (٢) وطاعة الرسول هى تطبيق أوامره واجتناب نواهيه .

وأن طاعة الله والرسول سبب فى دخول الجنة . لقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار .) (٣) .
وأن معصية الله ورسوله سبب فى دخول نار جهنم . لقوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ، خالد فيها أبداً .) (٤) .
وأنه يجب تحكيم الرسول فيما يحدث من خلاف بين المسلمين فى حياته وبعد مماته تحكيم شريعته لقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً .) (٥)
وقال : (وما كان لمؤمن من ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً .) (٦)
وقوله : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا .) (٧) .

(١) الحشر آية ٧

(٢) النساء آية ٨٠

(٣) النساء آية ١٣

(٤) الجن آية ٢٣

(٥) النساء آية ٦٥

(٦) الاحزاب آية ٣٦ (٧) النور آية ٥١

وإقام الصلاة : معناها آداؤها بخشوع وطمأنينه والقيام بأركانها
 وواجباتها والمداومه على آداؤها فى أوقاتها ثم الإمتناع عن الفحشاء والمنكر :
 لقوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .) (١)
 وإيتاء الزكاة : معناها أن يؤدى المسلم الزكاة المفروضة عليه عن طيب
 نفس إذا توفرت فيها الشروط المبينه فى كتب الفقه وهى تطهير للمال وتزكية
 وتزيل الأحقاد من النفوس ، كما أنها تنزع الشح من القلوب وأن يعطيها
 للمستحقين الثمانية الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :
 (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى
 الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم
 حكيم .) (٢)

والزكاة فريضة فرضها الله على المسلمين كما فرضها على الأنبياء السابقين
 وأداؤها عبادة لله عز وجل وقربة يتقرب بها المؤمن إلى الله وأبى مسلم
 امتنع عن أداء الزكاة وأنكر فرضيتها يقاتل كما قاتل أبو بكر رضى الله
 عنه مانعي الزكاة ، والمجتمع الذى يؤدى الزكاة مجتمع ينتشر الحب والمودة ،
 والسكينة والطمأنينه بين أفرادها كما تزال الأثام والإثم والعهد وان
 منهم ويعيشون فى سلام وأمن .
 وصوم رمضان معناه الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس
 مع نية الصوم لله عز وجل .
 وكذلك يجب الإمتناع عن كل ما يفسد الصوم من غيبة ونميمة ، وكذب وقول الزور
 والظلم .

وقد فرض الله الصيام رمضان على الأمم السابقة كما فرضة على المسلمين قال
 تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
 قبلكم لعلكم تتقون .) (٣) .

(١) العنكبوت آيه ٤٥

(٢) التوبه آيه ٦٠

(٣) البقره آيه ١٨٣ .

الحج معناه . قصد مكة ، لأداء عبادة الطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة ، وسائر المناسك امتثالا لأمر الله وابتغاء لمرضاته .

ويشترط فيه النية ، ويجب في العمر مرة واحدة لمن استطاع إليه سبيلا . والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

وهكذا مما تقدم رأينا أن عناصر الدعوة الإسلامية هي :

اعتقاد ، وإقرار ، وعمل ،

ومن أفضل الأعمال في الإسلام جهاد النفس والمال في سبيل الله لنشر الإسلام في شتى بقاع الأرض ، ومقاتلة أعداء الله ، ويكون الجهاد بالنفس ، وبالمال ، وبالوعظ ، وبالشعر ، وبالقلم ، وقد بين الله ما أعده للمجاهدين من جزاء عظيم . قال تعالى : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ^{فصل (٥٥) أبي حمزة عليه} على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على ^٨ القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما .) (١)

وقال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم .) (٢) .

وقال : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .) (٣) فالذي يؤمن بالله بقلبه ويشهد بلسانه ويعمل بما جاء من عند الله بجوارحه جزاؤه جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا .

قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا .) (٤)

(١) النساء آية ٩٥ - ٩٦

(٢) الانفال آية ٧٤

(٣) العنكبوت آية ٢٩

(٤) الكهف آية ١٠٧ - ١٠٨

الْبَيْتُ الْمَكَرَّمُ

الْمُعَوِّقُونَ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَوْقِفُهُ

الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ

الْفَقِيرُ لِلدَّوْلِ

الْوَثَنِيُّونَ وَعَقَائِدُهُمْ

الفصل الأول

الوثنيون وعقائدهم

إن البشريه كلما انحطت فكريا مالت إلى المحسوس ، وهنا يكون التحبب العقلي ، فيتصورون معبودهم في صورة شمس وتارة في صورة حيوان ، وتارة في صورة حجر ، ويصـورون الحجارة على شكل صالحهم ، أو على صورة حيوان .

وقد كانت كثرة العرب في الجاهليه ، ومن بينها قريش وثنيه تسمى بقوى إلهيه متعددة منبثه في مظاهر الطبيعة وفي الكواكب .

عبادة الأصنام :

انتشرت عبادة الأصنام انتشارا واسعا قبل الاسلام ، فقد كان لأهل كل دار في مکه صنم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر تمسح به وإذا قدم من سفره تمسح به . (١)

لذلك تعجبت قريش حينما دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد فقالوا : (أجعل الآلهة إلهها واحدا ان هذا لشيء عجاب .) (٢)
يقول ابن الكلبي : (واستشهرت قريش في عبادة الأصنام فمنهم من اتخذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ، نصب حجرا أمام الحرم ، وأمام غيره مما استحسنت ، ثم طاف به كطوافه بالبيت فكان الرجل ، إذا سافر فنزل منزلا ، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها ربا ، وجعل ثلاث أثافي لقدره ، وإذا ارتحل تركه . فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك . فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها وهم عارفون بفضل الكعبة عليها : يحجونها ويعتصمون إليها .) (٣) .

(١) الأصنام ص ٣٣ ، لأبي المنذر هشام بن محمد سائب الكلبي .

(٢) ص آيه ٤

(٣) الأصنام ص ٣٣ ، لأبي المنذر هشام بن محمد سائب الكلبي .

الأسباب التي جعلت العرب يعبدون الأصنام :

كان العرب على دين إسماعيل بن إبراهيم وهو دين التوحيد . ثم بعد ذلك أشركوا مع الله آلهة أخرى لا تضر ولا تنفع . قال تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم .) (١)

١ - قال ابن هشام : (إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره . فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق وهم ولسد علاق بن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم ، ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبد هنا فنستطيرها فتعطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ، فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته) (٢)

ويقول الكلبي : (أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسبب السائب ، ووصل الوصيله ، وبحر البحيره وحمل الحاميه عمرو بن ربيعة ، وهو لحي بن حارثه بن عمرو الأزدي . وهو أبو خزاعه ، وكان الحارث هو الذي يلقى أمر الكعبه . فلما بلغ عمروين لحي ، نازعه في الولايه وقاتل جرهم بنى إسماعيل . فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبه ، ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضا شديدا ، فقيل له إن بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها ، فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : إنا نستسقي بها المطر ، ونستنصر بها العدو . فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا . فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبه .) (٣) .

٢ - ومما يروى من أسباب عبادة الأصنام ما قاله ابن الكلبي : (أن إسماعيل بن إبراهيم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا ممن كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات

(١) يونس آيه ١٨

(٢) السيره النبويه لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ص ٧٧ القسم الاول .

(٣) الأصنام ص ٨ لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق أحمد زكريا .

وأخرج بعضهم بعضا ، ففتسحوا في البلاد . لتعاس المعاش .
وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة
ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصباية بمكة
فحيثما حلوا وضعوه وطاقوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباية
بالحرم وحباً له .

وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون ، على إرث إبراهيم
وإسماعيل عليهما السلام . ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا
ونسوا ما كان عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الأوثان
وصاروا إلى ما كانت عليهم الأمم من قبلهم وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح عليه
السلام . (١) .

٣ - ومن الأسباب التي جعلت العرب يعبدون الأصنام ما كان بشأن إساف
ونائلة وهما في الأصل كما يروي ابن الكلبي أنهما رجل وأمرأة من جرهم
وكان الرجل يعشق المرأة ، ثم قدما إلى مكة للحج ، فدخل الكعبة
فوجدا غفلة من الناس وخلوه في البيت فواقعها ، ففسخا حجرتين ، فوضعها
عند الكعبة لكي يتعظ الناس بهما ، فلما طال مكثهما عبدهما الناس . (٢)

ولقد شابه العرب في ذلك قوم نوح ، وكانوا أول من أشرك بالله
وعبد الأصنام ، فأرسل الله إليهم نوحا لينهاهم عن عبادة الأصنام .
قال تعالى : (وقالوا لا تخذرن آلهتكم ولا تذرن ديارا ولا سؤعا ولا يغوث ويعوق
ونسوا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا .) (٣) .

قال ابن عباس : كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على
قبورهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . (٤)

لذلك حرم الإسلام التماثيل والصور وذلك لكي لا تعبد مع مرور الزمن كما
عبدها الآخرون .

(١) الأصنام ص ٦

(٢) الأصنام ص ٩

(٣) نوح آية ٢٣ - ٢٤

(٤) السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى

عبد الواحد ، الجزء الأول .

الفرق بين الصنم والوثن :

الصنم : هو ما كان على شكل إنسان ويكون مصنوعاً من الخشب أو الذهب أو الفضة .

الوثن : هو من حجارة . (١)

لقد عبد العرب أصناماً وأوثاناً كثيرة في أماكن متعددة مثل :

١ - ود :

وكان لبني كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحسان بن قضاعة وكان منصوباً بدومة الجندل .

٢ - سواع :

وكان لبني هذيل بن إلياس بن مدركة بن مضر . وكان منصوباً بمكان يقال له رهاط .

٣ - يغبوث :

وكان لبني أنعم من طيى ولأهل جرش من مدحج . وكان منصوباً بجرش .

٤ - يعشوق :

وكان منصوباً بأرض همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان .

٥ - نسر :

وكان منصوباً بأرض حمير لقبيلة يقال لها ذوالكلاع .

٦ - عم أنس (عميانس) :

وكان لبني خولان وفي أرضهم يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي

(١) الأنعام ص ٥٣ .

قسموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، وفيهم أنزل الله قوله تعالى : (وجعلوا لله معاذراً من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذه لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون .) (١)

٧ - سعد :

وكان لبني ملكان بن كناه بن خزيمه بن مدركه صخرة بقلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته ، فيما يزعم ، فلما رأت الإبل ، وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء ، نفرت منه فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجراً فرمى به سعد وقال له : لا يبارك الله فيك نفرت علي إبلي . ثم خرج في طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعداً فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوقة من الأرض لا يدعني لقي ولا رشد

٨ - إصاف ونائله :

ومما يقال عنهما أنهما كانا امرأة ورجلاً وقع بها في الكعبة فمسخهما الله حجريين ووضعاً على زمزم وكانوا ينحرون عندهما .

٩ - هبل :

وهو صنم على بئر في جوف الكعبة .

١٠ - وكان في دوس صنم لعمر بن حمحة الدوسي .

١١ - قلس :

صنم لطيف بين أجا وسلمى .

وقد اتخذت العرب مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ولها سدنة وحجاب ، وتهدي لها كما تهدي للكعبة ، وتطوف بها

كطوائفها بالكعبة وتنحدر عندها . وهى مع ذلك تعرف فضلا لكعبه لأنها
بناها إبراهيم الخليل عليه السلام وسجده . وهذه الطوائف هي :

١ - العزى :

وكانت نخلة وهى لقريش ^{لبني} كنانة ولها سدنة وحجاب من بنى
شيبان . من سليم حلفاء بني هاشم ، وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح .

٢ - مناة :

وهى للأوس والخزرج ومن دان يدينهم من أهل المدينة وكانت على
ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقديد ، وقد خربها أبو سفيان وقيل
علي بن أبى طالب .

٣ - قليس :

وكانت لطي ومن يليها بجبل طي .

٤ - ذو الخلصة :

وكان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتباله ،
وكان يقال له الكعبة اليمانية . وقد خربه جرير بن عبد الله الجلى .

٥ - رثام :

لحمير وأهل اليمن .

٦ - رضاء :

وكان بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

٧ - ذو الكعبات :

وكانت لبكر وتغلب . (١)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ص ٦٨ - ٧٣ .

ولقد هدمت جميع هذه البيوت حينما جاء الإسلام فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام السرايا فخربت الطواغيت وكسرت الأصنام وعبد الله وحده لا شريك له .

إعتقاد المشركين في الله عز وجل :

كان المشركون يؤمنون بوجود الله ، ويقولون بربوبيته ، وبأنه الخالق والرازق والمالك لكل شيء . وقد أخبر الله عنهم في القرآن .
قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن الله .) (١)
وقال : (ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله .) (٢) . وقال (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون .) (٣) .

ولكنهم لم يؤمنوا بتوحيد الألوهية ، فلم يخلصوا العبادة لله عز وجل وإنما عبدوا آلهة أخرى معه حيث ذبحوا لها ونذروا لها واستقيموا بها وكانوا إذ أهلوا بالتلبية يقولون :

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هولك تملكه وما ملك
يقول ابن الكلبي : (ويوحدونه بالتلبية ، ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده .) (٤) يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .) (٥) أي ما يوحد ونبي بمعرفة حقي ، إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي .

ولم يكن إعتقاد المشركين في الآلهة أنها مشاركة لله في الخلق وإنما كانوا يعتقدون أنها تشفع لهم وتتوسط عند الله وتقربهم منه .

(١) لقمان آيه ٢٥

(٢) الزخرف آيه ٨٧

(٣) يونس آيه ٣١

(٤) الأصنام ص ٧

(٥) يوسف آيه ١٠٦

قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .) (١) .

وقال : (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .) (٢)
 وقال ابن القيم : (وعباد الأوثان كانوا يقرنون بتوحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله ، وأنهم يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى) (٣) .
 واعتقد المشركون في الله اعتقادات باطلة حيث جعلوا له بنات وعبدا والملائكة لاعتقادهم أنها بنات الله ، ثم جعلوا بين الله وبين الجن نسيبا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

قال تعالى : (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إنثا وهم شاهدون . ألا إنهم من أفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبین . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين .) (٤) .

فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى . قال مجاهد : قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهن ؟ قالوا سروات الجن . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (٥)

وقال تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون .) (٦) يقول ابن كثير :

(١) يونس آية ١٨ (٢) الزمر آية ٣ (٣) زاد المعاد ٣ ص ٢٢٤

(٤) الصافات آية ١٤٩ - ١٦٠

(٥) تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٢٢ - ٢٣

(٦) النحل آية ٥٧ - ٥٩ .

وأخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً وجعلوها بنات الله فعبدوهم معه فأخطأوا خطأ كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاثة فنسبوا إليه تعالى أن له ولداً ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم فإذا بشـر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً كئيباً من شدة ما هو فيه من الحزن يكره أن يراه الناس من سوء ما بشر به وإن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتنى بها ويفضل أولاده الذكور عليها أو يدفنها حية في التراب. أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله . (١) .

ولم يكن اعتقاد العرب في الأصنام سواء ، فمنهم من ترك عبادتها واتجه إلى عبادة الله لعلمه أنها لا تنفع ولا تضر وذلك مثل زيد من عمرو بن فضيل .

فلذلك يقول : تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور .
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى غنم أزور .
ولا هبلا أزور وكان ربنا لنا فى الدهر إذ حلنى صغير . (٢)

ومن العرب من كان يتمسك بعبادة الأصنام حتى آخر حياته وحين موته لم يخف من الموت وإنما خاف أن يصرف الناس عن عبادة الأصنام . ذلك مثل أبى أحيحة . فقد مرض مرضه الذى مات منه ، فدخل أبولهب لى يعود ، فوجده يبكى ، فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة ، أمن الموت تبكي ولا بد منه ؟ قال لا . ولكن أخاف أن لاتعبد العزى بعدي . قال أبولهب والله ما عبدت حياتك لأجلك ، ولاتترك عبادتها بعدك لموتك .

فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لى خليفة . وأعجبه شدة نصبه فى عبادتها . (٣)
ومنهم من كانت عقيدته مزعجة فإذا ماجأتهم حادثة رجعوا إلى صوابهم مثل :

(١) تفسير بن كثير ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

(٢) الأصنام لابن الكلبي ص ٢٢ .

(٣) الأصنام ص ٢٣ .

كان لمالك وملكان ابني كنانه بساحل جده وتلك الناحية صنم يقال لــــه
سعد . كما تقدم وكان صخرة طويلة . فأقبل رجل منهم بابل له ليقفها
عليه ، يتبرك بذلك فيها . فلما أدناها منه نفرت منه فذهبت في كل وجه
وتفرقت عليه . وأسف وتناول حجرا فرماه . وقال : (لا بارك الله فيك إلهها
أنفرت علي إيلى ثم خرج في طلبها حتى جمعها وأنشد وهو يقيـــــو :
أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلانحن من سعد (١)

وهل سعد إلا صخرة بتنوقة من الأرض لا يدعى لغى ولا رشد
وكما حدث لعدي بن حاتم حينما وجد أن الفللس لا ينصرف تنصر ثم بعد ذلك
أسلم فالقصة كما يرويها ابن الكلبي أنه كان للفللس وهو صنم سادن يقال
له صفى . فأطرد ناقة خليه لامراه من كلب بن عليم كانت جارة لمالك بن
كلثوم الشمجى ، وكان شريفا فانطلق بها حتى وقفها بغنا الفللس . وخرجت
جارة مالك فأخبرته بذهاب ناقتها . فركب فرسا عربيا وأخذ رمحاه وخرج
في أثره فأدركه وهو عند الفللس ، والناقة موقوفة عند الفللس فقال لــــه :
خل سبيل ناقة جارتى فقال : إنها لربك : قال خل سبيلها . قال : أتخفز
إلهك ؟ فبوا له الرمح فحل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفللس
ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده : يارب إن مالك بن كلثوم
أخفرك اليوم بناب ملكوم وكنت قبل اليوم غير مغشوم بجرضه وعدي بن
حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك
وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال . أنظروا ما يصيبه في يومه هذا فمضت
له أيام لم يصبه شىء . فرفض عدي بن حاتم عبادته وعبادة الأصنام
وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الاسلام فأسلم . (٢)

(١) الأصنام ص ٣٧

(٢) الأصنام ص ٥٩ - ٦١

الفصل الثاني

وسائل الوثنيين في المعارضة

ومواقفهم ضد الإسلام

الفصل الثانى

وسائل الوثنيين فى المعارضة ومواقفهم ضد الاسلام

إن وسائل الوثنيين فى المعارضة تختلف عن أرباب الديانات الأخرى حيث لم يكن عندهم عمق علمى ولا مواريت ثقافية قديمة مثل اليهود والنصارى واليونان لذلك كانوا يلجئون إلى أهل الكتاب ليتعلموا منهم ما يعارضون ومن هنا كانت وسائلهم فى المعارضة تتفق وطبيعتهم هذه فهم قد يلجئون إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم باتهامات باطلة مثل : أنه ساحر وشاعر ، وأن ما يقوله أساطير الأولين ، وأنه كاذب وأنه مسحور ، وأنه مجنون ، وأنه يعلمه بشر ، وبالإستهزاء والسخرية ، وباللغو عند قراءة القرآن وبمخادعة المسلمين ، وبعرض المال والملك والجاه على الرسول عليه الصلاة والسلام وبمقاطعته والعومنين فى شعب عامر ، وبالتوجيه الأستله التى أريد منها العنت والتعجيز ، ثم محاولة الكيد والمكر ، ومحاولة قتله عليه السلام ، ثم مقاتلة الرسول عليه السلام والعومنين فى المدينة المنورة .

وسوف نعرض بعض من هذه الوسائل وهى :

١ - اتهام الرسول عليه السلام بالسحر .

اتهم المشركون رسول الله عليه الصلاة والسلام بالسحر وذلك لكى

ينفروا الناس من دعوته ويبعدوهم عن الإيمان .

قال تعالى : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب .) (١) .

يقول القرطبى : (ومن جهلهم أنهم أظهروا التعجب من أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون : هذا ساحر يجيب بالكلام المموه الذى يخدع به الناس ، وقيل يفرق بين الوالد وولده والرجل وزوجته فى دعوة النبوه .) (٢) .

(١) ص آيه ٤

(٢) تفسير القرطبى ، جزء ٧ ، ص ٥٥٩٣ .

وقال : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين .) (١)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في كفرهم وعنادهم : أنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات أي في حال وضوحها وجلالها يقولون : هذا سحر واضح . (٢)

يقول ابن كثير : (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأناه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال ليعطوك فانك أتيت محمداً لتعرض ما قبله !

قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مخدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى ، وإنه ليحطم ماتحته .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : قف حتى أفكر في نفسه . فلما فكر قال : (إن هذا إلا سحر يوشع يؤثره عن غيره ، فنزل قوله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً .) (٣) ، (٤)

٢ - وصف الرسول عليه السلام بأنه مسحور :

لم يكتف المشركون بوصف الرسول عليه السلام بأنه ساحر ، بل وصفوه بصفة أخرى وهو كونه مسحور .

(١) الاحقاف آية ٧

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ صفحة ١٥٤

(٣) السيرة النبوية لابن كثير جزء ١ ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٤) المدثر آية ١١ - ١٣

قال تعالى : (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك واذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا .) (١) .

يقول ابن كثير : يخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما يتناجى به رؤساء قريش حينما جاءوا يستمعون قراءته سرا من قومهم بما قالوا : من أنه رجل مسحور له رأي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه . (٢) .

وقال : (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا .) (٣) فهم وصفوا الرسول عليه السلام بأنه ما يأتيه من القرآن هو رأي من الجن كما يأتي للكهنه وأنه يهذى ولا يدري ما يقول .

٣- إتهام الرسول عليه السلام بأنه شاعر، وبأنه كاذب وبأنه مجنون، وكاهن وبأن القرآن أساطير الأولين :

حاول المشركون وصف الرسول عليه السلام بأوصاف ليست فيه إنما قالوهما كذبا ليبعدوا الناس عن الإيمان ومن هذه الأوصاف قولهم ما حكاه عنهم القرآن وهو : (ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .) (٤)

يقول ابن كثير كانوا يقولون : (أنترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عند قول هذا الشاعر المجنون يعنون بذلك الرسول عليه السلام .) (٥)

وقال تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر .) (٦)

فهذا إخبار من الله عن تهم الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا ، وتارة شعرا وتارة أضغاث أحلام ، وتارة مجنون . (٧)

(١) الأسراء آية ٤٧

(٢) ابن كثير جزء ٣ ، ص ٤٤

(٣) الفرقان آية ٨

(٤) الصافات آية ٣٦

(٥) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ٦

(٦) الانبياء آية ٥

(٧) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

وقال : (أم يقولون شاعر نتبى به ريب المنون .) (١)

لقد كان المشركون يقولون عن الرسول عليه السلام بأنه شاعر تنتظر عليه ونصير حتى يموت ونستريح منه . وقال : (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) (٢) فيتهم المشركون الرسول عليه السلام بأنه اختلق القرآن . وقال : (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) (٣) وقال : (أم يقولون افترى على الله كذبا) (٤) . وقال : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه) (٥) يعنون بأن القرآن كذب افتراه الرسول عليه السلام . وقال : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (٦) : يقولون للرسول عليه السلام يا أيها الذي تدعى أنه أنزل عليك القرآن إنك لمجنون حيث تدعوننا إلى ترك ما وجدنا عليه آباءنا واتباعك . (٧) .

قال تعالى : (ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون .) (٨) يقول : أنترك آلهتنا لقول هذا الشاعر المجنون ويعنون بذلك الرسول عليه السلام .

وقال تعالى : (ويقولون إنه لمجنون .) (٩)

(١) الطور آية ٣٠

(٢) الطور آية ٣٣

(٣) ص آية ٤

(٤) الشورى آية ٢٤

(٥) الفرقان آية ٤

(٦) الحجر آية ٦

(٧) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٥٤٨

(٨) الصافات آية ٣٦

(٩) القلم آية ٥١

قال ابن إسحاق : (ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم من عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وأذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستهين به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقهم إياهم على كفرهم .) (١)

وقال تعالى : (فذكرنا أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون .) (٢)
 يأمر الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس وينفى عنه ما اتهمه به المشركون من كونه كاهناً أى يأتيه رثى من الجن . ونفى عنه الجنون الذى اتهمه به أهل الشرك والباطل .

قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا لوشنا لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .) (٣)
 وقال : (وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) (٤) .

يخبر الله عن كفر قريش وعنادهم وتمردهم ودعواهم الباطلة عند سماع القرآن ويقولون لوشنا لقلنا مثل هذا . وهذا قول وافتراء فقد تحداهم الله أكثر من مرة أن يأتيوا بسورة من القرآن فلم يستطيعوا وقيل بأن القائل لذلك هو النضر بن الحارث حيث كان ذهب إلى بلاد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فلما قدم إلى مكة وجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله فكان إذا قام من مجلسه جلس النضر فحدثهم من الأخبار وقال : من أحسن قصصاً أنا أم محمد ؟ (٥)

(١) سيرة ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، ج ١ ، ص ٢٨٩

(٢) الطور آية ٢٩

(٣) الانفال آية ٣١

(٤) القلم آية ١٥

(٥) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

٤ - الإستهزاء والسخرية واللغو عند سماع القرآن :

الإستهزاء والسخرية وسيلة قديمة أستعملها أقوام الرسل ضد رسلهم
 وضد المؤمنين ، وقد قص علينا القرآن الكريم بسخرية قوم نوح وردة عليهم ،
 قال تعالى : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه . قال : إن
 تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون .) (١)
 وكانت السخرية تتخذ طابع الإحتقار لمن اتبع نوحاً يصور ذلك القرآن حيث
 يقول على لسان قوم نوح : (ومانرك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بـبـادي
 الرأي ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين .) (٢)
 واستمر الحال كذلك مع بقية الرسل الذين جاءوا بعد نوح عليه السلام
 فيقول قوم شعيب له بلون من الإستهزاء : (أصلوأتك تأمرك أن نترك ما يعبد
 آباءنا أو أن نغفل في أموالنا ما نشاء إنك أنت الحليم الرشيد .) (٣)
 وأمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه . (٤)
 ويستمر الحال هكذا مع كل الرسل يصوره الله عز وجل في أسلوب يفيد العموم
 وليس خاصاً بقوم دون قوم فيقول سبحانه وتعالى : (إن الذين أجرموا
 كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامرون . وإذا انقلبوا
 إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا
 عليهم حافظين .) (٥) .

كل هذه الأمور كانت تحصل من أعداء المؤمنين لأنهم حينما
 يفقدون الحجة على باطلهم يركنون إلى الأساليب الضالة لأنهم يريدون
 الغلبة بأي وسيلة حتى ولو كانت صياحاً وجلبة فهم ينسون عقولهم وما يجب
 أن يتصفوا به من الوقار فيلجئون إلى اللغو عند سماع القرآن حتى لا يسمع
 إليه وينتفع به .

(١) هود آية ٣٨

(٢) هود آية ٢٧

(٣) هود آية ٨٧

(٤) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٦

(٥) المصطفين آية ٢٩ - ٣٣ .

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون : (١) .

يقول ابن كثير : (تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره وإذا تلى لا يسمعون له ، كما قال مجاهد : والغوا فيه يعنى بالمكاء والصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وعن ابن عباس عيبوه ، وقال قتاده : أجعلوا به وأنكروه وعادوه) (٢) وكل ذلك كانت تفعله قريش حتى لا يسمع القرآن ويحال دون سماعه ، وهذه وسيلة اليأس من الانتصار الذى يريد أن يتغلب عليه بأى شىء وبأى ثمن .

٥ - اتهام الرسول عليه السلام بأنه يعلمه بشر :

لم يكتف المشركون بما فعلوه من اللغو عند سماع القرآن إنما أخذوا يشيعون كذبا وافتراءً بأن الرسول عليه السلام يعلمه بشر وأن القرآن ليس كلام الله ليُعبدوا الناس عن سماعه واتباعه . قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر .) (٣) .

يقول تعالى مخبراً عن المشركين بأن ما يقولونه : كذب وافتراء وبهتان حيث قالوا بأن الذى يعلم الرسول عليه السلام بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم وهو غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعاً عند الصفا ، وربما كان الرسول عليه السلام يجلس إليه ويكلمه بعض الشىء ، وهو لا يعرف العربيه أو يعرف الشىء اليسير منها بقدر ما يرد جواب الخطاب . (٤) .

محاولة خداع الرسول عليه السلام :

حاول المشركون أن يخدعوا الرسول عليه السلام وذلك بعرضهم عليه كذبا أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة . (٥)

(١) فصلت آية ٢٦

(٢) تفسير ابن كثير ، جزء ٤ ، ص ٩٨

(٣) النحل آية ١٠٣

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٥٨٧

(٥) ابن كثير جزء ٤ ، ص ٥٦٠

يقول ابن هشام : (إعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة زعماء قريش ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ماتعبد ، وتعبد مانعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيراً مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان مانعبد خيراً مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله : (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ماتعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين .) (١)

أى إن كنتم لاتعبدون الله إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم لكم جميعاً دينكم ، ولى دينى . (٢)

٦ - مقاطعة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين حتى يموتوا جوعاً أو يستسلموا:

اجتمع المشركون وأتتمروا بينهم بأن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتبايعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمه . . . ويقال : النضر بن حارث فدعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنى عبد المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب . فليث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصى وآخرون من سواهم ، وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ماتعاهدوا عليه والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرض فتلحست كل ما فيها من عهد وميثاق . (٣)

(١) الكافرون آية ١ - ٢

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٠

(٣) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٣ والسيرة النبوية لابن كثير جزء ٢ ،

٧ - المساومة بالمال والجاه والملك :

للمال فتنة على النفوس الضعيفة فإذا لم تكن النفس محصنة بعقيدة فإن المال يفتنها ويخرجها عن استقامتها وكثير من الناس تكون لهم مبادئ سامية فإذا ما ارتحنوا بالمال اهتزت عقائدهم وتزلزل كيانهم وتركوا دعوتهم خوفا على المال وطمعا في متع الدنيا، أما النفوس القوية التي ارتبطت بربها وتحصنت به فإن المال ليس له تأثير عليها لأنها تعيش لتحقيق خلافة الله في الأرض وسيان عندها كثرة المال أو قلته، أما النفوس الضعيفة فإن المال والجاه والسلطان يفتنها ويطيغها يبين ذلك قوله تعالى : (كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى .) (١)

ويقول : (ومن الناس من يعبد الله على جرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .) (٢)

أما النفوس القوية المؤمنة بربها المتمسكة بعقيدتها فلا يوتر عليها شيء بل هي صادقة قوية صابرة متمسكة بما عاهدت الله عليه .

قال تعالى : (من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .) (٣)

والمشركون توهموا أنهم يستطيعون إخراج أفضل البشر عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عن مبادئه حيث عرضوا عليه المال والجاه والملك والنساء ليترك ما يدعو إليه طمعا في ما عرضوه عليه ظانين أنه من أصحاب النفوس الضعيفة التي تترك مبادئها ودينها أمام الجاه والسلطان والمال والنساء، ولم يدركوا الصلة بينه وبين ربه ولم يعلموا سمو تلك النفوس التي أصطفاها الله فجعلها أقوى من كل المؤثرات التي توتر على الآخرين .

(١) العلق آية ٦ - ٧

(٢) الحج آية ١١

(٣) الاحزاب آية ٢٣

لذلك اجتمع أشرف قريش ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك ، فجاءهم الرسول عليه السلام ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك فوالله لانهلنا رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك .

فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان الذي يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرثي - فربما بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك أو نعذر فيك .

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (ما بي ماتقولون ، ماجئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ماجئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم .) (١)

٨ - مطالبة أبي طالب بمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من دعوته :

الله سبحانه وتعالى هو الحارس الأول لكل إنسان ، ولكنه يجمعنا من الأسباب ما يشاء تنفيذا لإرادته ، ومن هذه الأسباب التي هيأها الله لحفظ الرسول عليه السلام لتعيينه على أداء رسالته اثنان هما :

١ - خديجة رضي الله عنها .

٢ - أبو طالب .

وأبو طالب عم الرسول عليه السلام هو الذي احتضنه ودافع عنه ، ولكن كانت للرجل طاقة محدودة فهو بين الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ١ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

وبين قومه من ناحية أخرى ، وتحمل في سبيل ذلك ما تحمل فكان - وهو - الرجل غير المسلم - يجوع في سبيل الدفاع عن ابن أخيه ، ونصرتهم ويظهر ذلك حينما ذهب المشركون إلى أبي طالب ، وقالوا له : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آل هنتا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل أباؤنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة ، فنكفيك ، فردهم أبو طالب ردا جميلا .

ومضى الرسول عليه السلام في نشر دعوته مما جعل المشركون يعرِّضون إلى أبي طالب ويكررون عليه القول ثانيا ، وثالثا ، هنا نرى الضعف يتسرب إلى أبي طالب هو "لا" هم قومه ولا طاقة له بهم وهذا هو ابن أخيه ينصروه عصبية وهو على غير دينه لماذا لا يناديه ويتودد إليه ويطلب منه صراحة أن يكف عن دعوته ويبقى على نفسه وعلى عمه ويربح العم من هذا العناء .

هنا ينادي أبو طالب الرسول عليه السلام ويقول له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قد قالوا : له فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فظن الرسول عليه السلام أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، قائلا : أقبل يا ابن أخي ، فقل ما أحببت والله لا أسلمك لشيء أبدا . (١)

٩ - إغراء المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله باتباعهم وسوف يحملون عنهم خطاياهم وأوزارهم :

بعد أن يئس المشركون من التأثير على الرسول عليه الصلاة والسلام ووجدوه حصنا منيعا لا يمكن اختراقه هداهم تفكيرهم السيئ إلى أمر آخر وهو الاتجاه إلى أتباعه لمحاولة التأثير عليهم ، فدرسوا أحوالهم

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد .

لماذا يتبعون الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ فعلموا أنهم يخافون من يسوم
القيامة وما فيه من حساب وجزاء وأنهم يخافون من سوءال ربهم عن خطاياهم
وأعمالهم السيئة ، لذا هداهم فكرهم إلى وسيلة صبيانية وهى : كما
يستطيعون فى الدنيا حماية الضعفاء وحمل الديون عنهم ، فلماذا لا يوهمونهم
بأنهم يحملون خطاياهم وأوزارهم يوم القيامة مقابل إتباعهم والإبتعاد عن
الإسلام ، يبين ذلك القرآن الكريم . قال تعالى : (وقال الذين كفروا
للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم .) (١)

يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى
أرجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم وآثامكم
إن كانت لكم آثام . (٢)

١٠ - توجيه الأسئلة للرسول عليه السلام :

وحيثما ضعف الحال بالمشركين ، ووجدوا أنفسهم عاجزين حيث أنهارت
وسائلهم فى المعارضة لجئوا إلى المعونة من الخارج لعلهم يتقون بها ،
وتتمثل هذه المعونة فى أهل الكتاب الذين كانوا موجودين فى الجزيرة
العربية وخاصة اليهود الذين كانوا فى المدينة وماحولها ، فكانوا
يأخذون منهم الأسئلة ، ويتجهون بها إلى الرسول عليه السلام .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبه
بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد
وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس
عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا إنكم
أهل التوراه وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم : سلوه
عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ^{ولا} فرجل متقول
تروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماكان من أمرهم
فإنهم كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها

(١) العنكبوت آيه ١٢

(٢) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ٤٠٦

ما كان نبوءه ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بد لكم ، فأقبل النضرو عقبه حتى قد ما على قريش ، فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا إلى الرسول وسألوه . عما أمرهم به يهود . (١)

١١ - أسئلة التعجيز والتعنت :

لما اختار المشركون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا على استعداد في تصديقه أنه رسول من عند الله ليس لأنهم يكذبونه وإنما عنادا وكفرا ، كما قال تعالى : (فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .) (٢)

لذلك هداهم تفكيرهم الضال أن يطلبوا من الرسول عليه السلام مطالب ليس الغرض منها التأكد من صدق النبي ولكن غرضهم منها التعنت والتعجيز ، وهذا ما طلبوه من الرسول عليه السلام .

- ١ - أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا : أي يجري لهم الماء عيونا جارية .
- ٢ - أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يتفجر الأنهار خلالها تفجيرا .
- أي تكون له حديقة فيها النخل والعنب والأنهار تتفجر داخلها .
- ٣ - أو يسقط السماء كسفا : أي يسقط السماء قطعا كما سيكون يوم القيامة .
- ٤ - أو يأتي بالله والملائكة قبلا .
- ٥ - أو يكون له بيت من زخرف : أي ذهب
- ٦ - أو يرقى في السماء : أي يتخذ سلما يرتقي عليه ويصعد إلى السماء
- ٧ - إنزال كتاب من السماء يقرؤه . يقول مجاهد : أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفه هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان تصبح موضوعه عند رأسه (٣) . قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض

(١) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ٧١ - ٧٢

(٢) الأنعام آية ٣٣

(٣) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ٦٣ .

ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنق فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا .
أو تسقط السماء كما زعمت علينا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون
لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه (١)

١٢ - موقف الأيذاء للمؤمنين وللرسول عليه السلام :

حاول المشركون أن يصدوا المؤمنين عن الإسلام ، واتباع الرسول
عليه السلام واتخذوا لذلك أنواعا كثيرة من الأذى للرسول عليه السلام
وللمؤمنين نذكر منها :

١ - سفهاء قريش يوم ذون الرسول عليه السلام . قال ابن إسحاق : عن
يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال :

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغزوا برسول الله عليه السلام : سفهاءهم
فكذبوه وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة ، والجنون ورسول الله صلى
الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب
دينهم .

ويقول ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما كانوا يظهرون من عداوته ، حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر
وذكروا الرسول عليه السلام ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا
الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب
آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم في ذلك إذ طلوع
الرسول عليه السلام يريد الطواف فلما مر بهم غمزوه ببعض القول فعرفت
ذلك في وجهي ثم مر ثانية فغمزوه وثالثة فغمزوه ، فوقف ، قائلا :
أسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح ،
حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض : ذكرت ما بلغ
منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك

طلع الرسول عليه السلام، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهم ودينهم، والرسول عليه السلام يقول: نعم أنا الذى أقول ذلك. قال: فأخذ رجل بهم جمع رداً، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم انصرفوا عنه.

وخرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لآخر ولا عهد، فرجع الرسول عليه السلام إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه. ومروا أبو جهل بالرسول عليه السلام عند الصفا، فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره والتضعيف لأمره. (١) وكان المشركون يضعون الأذى على ظهره الشريف وهو قائم يصلي عند الكعبة.

ثم ما كان من إيذاء المشركين للرسول عليه السلام حينما ذهب إلى ثقيف حيث سلطوا عليه سفهاً هم وصبيانهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به، وما كان من إيذاء أبولهب وأمراته حيث كانت تضع الشوك فى طريق الرسول عليه السلام، وما كان من أمرها أبناءها تطليق بنات الرسول عليه السلام، ثم ما كان من إيذائه يوم أحد حيث شجوا رأسه وكسروا أنفه وكسروا ربا عيته إلى غير ذلك من الأذى تحمله الرسول عليه السلام فى سبيل الله، ولقد تحمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الأذى فى سبيل الله حيث كان المشركون يعذبونهم عذاباً شديداً بالتجويع وبالضرب بالسياط وبإخراجهم فى رمضاء مكة فى الشمس ووضع الصخور على صدورهم كما حدث لبلال وكما حدث لآل ياسر وغيرهم كثير.

ثم بعد ذلك ما كان من قتل سميه وهى أول شهيدة فى الإسلام فلم يزد هؤلاء المؤمنين التعذيب إلا إيماناً على إيمانهم وصبراً على صبرهم.

١٣ - المكر والكيد بالرسول عليه السلام :

لقد استمر المشركون على كفرهم واستكبارهم وعنادهم وأخذوا يمكرون بالرسول عليه السلام لكي يحبسوه ويضربوه، ويقتلوه، ولكن الله نجاه من كيدهم

(١) سيرة ابن هشام جزء ١، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

ومكرهم لأنه خير الماكرين .

قال تعالى : (وإن يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .) (١)

يقول القرطبي : (هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ، فاجتمع رأيهم على قتله ، فبيتوه ، ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب أن ينام في فراشه ودعا الله أن يعمي عليهم أبصارهم فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤسهم ترابا ونهض فلما أصبحوا خرج عليهم علي وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نجا .) (٢)

١٤ - محاربة الرسول عليه السلام والمؤمنين بالمدينة المنورة :

استعمل المشركون كل الوسائل المتقدمة ومع ذلك لم تغلح في منزع الرسول عليه الصلاة والسلام من أداء رسالته ولا منع الناس من الدخول في الإسلام ولا منع الإسلام من الانتشار ، وهاجر الرسول عليه السلام إلى المدينة المنورة ، وكثر أتباعه لذا جهزت قريش جيوشها لمحاربة الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، وكانت المعارك التي حدثت بينهم وبين المسلمين في غزوة بدر وما بعدها من غزوات . وقد كان النصر حليف المسلمين في غزوة بدر والهزيمة للمشركين حيث نصر الله بقوته الرسول عليه السلام والمؤمنين ، وأما غزوة أحد فقد نصر الله المؤمنين في بادي الأمر على المشركين ولكن حينما خالف الرماة أوامر الرسول عليه السلام وتركوا أماكنهم التي وضعهم فيها طمعا في الغنيمة انقض عليهم المشركون وقتلوا كثيرا من المسلمين وشجوا رأس الرسول عليه السلام وأنفه وكسروا ربايته ، ثم كان النصر في النهاية للمؤمنين لأن الرسول عليه السلام بلغه أن الكفار يستعدون للإنقضاض على المدينة فاستعد للخروج إليهم في اليوم التالي

(١) الأنفال آية ٣٠

(٢) تفسير القرطبي ج ٤ ، ص ٢٨٣٣ .

وقال : لا يخرجن رالا من كان معنا بالأمس ، وضمد المسلمون جراحهم وخرجوا للمشركين فلما سمع أبوسفیان بخروجهم فرّ بمن معه خائفاً وكان هذا نصراً للمؤمنين حيث رفع روحهم المعنوية وفوت على المشركين فرحتهم بالنصر لأن الفرار عند العربي ليس بالأمر السهل فيدل أن تتحدث الجزيرة العربية بنصر المشركين تحدثت بفرارهم ، ثم غزوة الخندق التي نصر الله فيها الرسول عليه السلام والمؤمنين على أعدائهم الكفرة والمشركين رغم كل الوسائل التي اتخذها الأعداء ضد الإسلام والمسلمين ، ثم بعد الانتصارات المتتالية كان فتح مكة حيث دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية ومن ثم في شتى بقاع الأرض ، وأخذت ترفرف راية الإسلام عالية الله أكبر لا إله إلا الله .

هذه أهم الوسائل التي اتخذها المشركون ضد الإسلام وسيأتي كيف رد عليها القرآن وأبطلها ودافع عن الرسول عليه السلام وعن المؤمنين ، ولكن السذي نلاحظه أن هذه الوسائل لها طابع خاص حيث فيها الصراحة إن صح التعبير وإن كان هناك مكر وخداع فهو من النوع المشوب بالصراحة ، فلم يكن هناك نفاق ولم يكن هناك مذهب باطني ولم يكن هناك من يتحايل باعتناق الإسلام ودرس العقائد الهدامة الفاسدة بين أتباعه كما حدث ويحدث في أتباع الديانات الأخرى ، فهم إما كافرون يعبدون الأوثان ويدافعون عنها وإما مسلمون يودعون ما كانوا عليه من شرك وينتقلون إلى الإسلام مدافعين عنه مضحين بأنفسهم في الدفاع والذود عنه ، ومن هنا نرى أن الذين حاربوا الإسلام في أول الأمر كان منهم بعد أن أسلموا أبطاله. هذا النوع من الناس لانجده عند أتباع الديانات الأخرى الذين دخلوا الإسلام وكان منهم من يحمل معه عقائد قومه الفاسدة مما جعلهم بلائاً على الإسلام والمسلمين حيث كانوا في الظاهر مسلمين وفي الباطن يكيدون المؤامرات والدسائس ضد الإسلام والمسلمين والتي لاتزال حتى الوقت الحاضر .

الفصل الثالث

الرد على الوثنيين

الفصل الثالث

الرد على الوثنيين

لقد بعث الله محمداً عليه السلام رسولا كما بعث غيره من الرسل عليهم السلام ليقوموا بالدعوة لتوحيد الله وعبادته وطاعته وترك كل ما يعبد من دون الله، ولكن المشركون كذبوا الرسول عليه السلام، وأذوه وسخروا منه واستهزؤوا به كما حدث للرسل السابقين، فقد اتخذوا الأصنام وعبدوها من دون الله كما عبدا الملائكة، وتشفعوا بها، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوها بنات لله كما جعلوا بينه وبين الجنة نسبا تنزه الله عما يقوله الكافرون ولم يؤمنوا بالبعث بل اعتقدوا أن الحياة واحدة فقط وهي الحياة الدنيا وما يهلكهم إلا الدهر، ولم يؤمنوا بالقرآن بل قالوا: بأن الرسول عليه السلام افتراه، ثم لم يكتفوا بذلك بل اتهموا الرسول عليه السلام بالجنون، والسحر وبالافتراء وبالشعوكل هذا قد تقدم في الوسائل .

والقرآن الكريم رد على المبطلين وبين لهم أسباب باطلهم ووقوعهم في الضلال ومن أهمها تقليد الآباء :-

قال تعالى : (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون .) (١)

وقال تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا على أمة ونحن تابعون لمثلهم قال : لقد كنتم أنتم وآباءكم في ضلال مبين .) (٢) فلم يكن لهم حجة ولا برهان على عبادتهم الأوثان سوى تقليد الآباء وقد تشابه قولهم : قول الأمم السابقة المكذبة للرسل .

(١) الزخرف آية ٢٢ - ٢٤

(٢) الأنبياء آية ٥١ - ٥٤

وقال تعالى : (قالت رسلهم أفئ الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباءنا ونا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى اللغو يتوكل المؤمنون .) (١)

وقال : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملايه بأياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحروا هذا ولا يفلح الساحرون . قالوا أجلت لنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين .) (٢)

وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب . قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد آباءنا ونا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب .) (٣)

وقال : (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنسا عليكم بحفيظ . قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباءنا ونا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد .) (٤)

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي بينت كيف كان جواب الأمم للأنبياء هم وهو: تقليد هم للآباء الذي منعهم من الإيمان واتباع الرسل وكذلك الحرص على طلب الدنيا بما فيها من جاه وسلطان ومال

(١) ابراهيم آيه ١٠-١١

(٢) يونس آيه ٧٥-٧٨

(٣) هود آيه ٦١-٦٢

(٤) هود آيه ٨٤-٨٧

فهم لم يتدبروا ولم يفكروا ولم يشغلوا عقولهم التي وهبهم الله إياها — وإنما فقط مجرد المحاكاه والتقليد للآباء والأجداد .

والقرآن يدعو الإنسان إلى التحرر الفكري وعدم التقليد ، والنظر إلى الأدلة والبراهين الموجودة في الكون والتي تدل على وجود الله — ووحدايته وألوهيته وربوبيته وعظمته .

قال تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون .) (١) فلو نظر الإنسان العاقل المتبصر لوجد كل ما في الكون أدله وبراهين على وجود الله وقدرته وعظمته ووحدايته وعلمه وإحاطته ولو تبصر الإنسان في نفسه لوجد أكبر الدلائل على الإيمان بالله عز وجل ولقد رد القرآن على عبادة الأصنام الذين ضيعوا عقولهم حيث عبدوا ما يصنعونه بأيديهم من حجر أو شجر ، كيف يجوز لإنسان عاقل أن يعبد ما يصنعه بيده من الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ ، ويترك الله السميع البصير العليم القدير الحي القيوم الخالق ، المعبد الجبار ، القهار مالك الملك الذي بيده كل شيء الذي يحير ولا يجار عليه الذي يستحق العبادة دون سواه .

قال تعالى على لسان إبراهيم : (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبينه وقومه ماتعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .) (٢) .

فجواب قوم إبراهيم بأن الذي يدعوهم إلى عبادة الأصنام هو تقليد الآباء ولم يقولوا : بأنها تسمع أو تنفع أو تضر .

وحينما حطم إبراهيم الأصنام وجعلها جزادا إلا كبيرهم سأله قومه (قالوا : أنت فعلت هذا يا إبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم

(١) الذاريات آية ٢١

(٢) الشعراء آية ٦٩ - ٧٤

نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله
 ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . (١)
 لقد اعترف قوم إبراهيم بأن الأصنام لا تنطق وبين لهم إبراهيم عليه السلام
 بالحجة والبرهان بأن الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله لا تضر ولا تنفع
 ولا تستطيع أن تنفع نفسها فلو كانت تستطيع لنفعت نفسها ودافعت عنها
 ومنعت إبراهيم من تحطيمها جذاذا .

وقال : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه
 وتعالى عما يشركون .) (٢)

يقول الرازي : (أعلم أنه تعالى حكى عنهم أمرين) :

١ - أنهم كانوا يعبدون الأصنام .

٢ - قولهم : هؤلاء شفعاؤنا عند الله .

أما الأول فقد بين الله فساد بقوله : (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) وتقريره
 من وجوه وهي :

١ - لا يضرهم إن لم يعبدوه ولا ينفعهم إن عبدوه .

٢ - أن المعبود لا بد أن يكون أكمل قدرة من العابد وهذه الأصنام لا تنفع
 ولا تضر البتة ، وأما هؤلاء الكفار فهم قادرون على التصرف في هذه
 الأصنام تارة بالإصلاح وأخرى بالإفساد وإذا كان العابد أكمل حالا من
 المعبود كانت العبادة باطلة .

٣ - أن العبادة أعظم أنواع التعظيم فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه
 أعظم أنواع الإنعام ، وأذلك إلا الحياه والعقل والقدرة ومسالحة
 المعاش والمعاد . فإذا كانت المنافع والمضار كلها من الله سبحانه
 وتعالى وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه وتعالى . (٣)

(١) الأنبياء آيه ٦٢ - ٦٧

(٢) يونس آيه ١٨

(٣) الرازي جزء ١٧ ، ص ٥٩ .

والله عز وجل هو الخالق والفاطر لكل ما فى الكون وهو المستحق للعبادة دون سواه أما آلهتهم المزعومة فقد صنعوها بأنفسهم فهى مخلوقة وليست خالقه لذا لا تستحق العبادة .

قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون) .
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مسودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين) . ومن آياته مناكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يرهبكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من فى السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . (١) .

فقد بينت الآيات بأن الله خالق السموات والأرض ومن فىهن وهو القائم عليها والمدبر أمرها وهو الذي سوف يعيد الخلق ثانية وهو أهون عليه . وقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .) (٢)

وقال : (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل راني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين .) (٣)

يقول ابن كثير : (لا أتخذ وليا إلا الله وحده لا شريك له فإنه فاطر السموات والأرض أى خالقهما وسد عهما على غير مثال سابق وهو الرزاق لخالقهما من غير احتياج لهم .) (٤) .

قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون .) (٥)

(١) الروم آيه ٢٠ - ٢٧

(٢) الانعام آيه ١

(٣) الانعام آيه ١٤ (٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٢٦

(٥) النحل آيه ١٧

ينبه الله عباده على عظمته حيث لا ينبغي العبادة لأحد غيره من الأوثان التي لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقه .

وقال : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون .) (١)

يخبر الله عن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تخلق شيئاً وهم مخلوقون وهي جمادات لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ، ولا تعلم متى تقوم الساعة فكيف ينتظر منها الثواب والنفع الذي لا يكون إلا من الله الواحد الأحد الفرد الصمد العليم السميع البصير القدير الذي بيده كل شيء ، والذي يعلم متى تقوم الساعة ويبعثهم للحساب والجزاء .

قال تعالى : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسئلهما عما يفعل وهم يسئلون .) (٢)

يستنكر الله على من اتخذ آلهة من دونه أستطيع هذه الآلهة إحياءهم بعد الموت ونشورهم من الأرض ؟ بالطبع لا يستطيعون ولا يقدرون فكيف جعلوها آلهة وعبدوها من دون الله وأخبر الله عز وجل بأنه لو كان في السموات آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض فتقدس الله وتنزه عما يقوله المشركون بأن له شريك تعالى الله عما يقولونه علواً كبيراً فهو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يمكن لأى مخلوق أن يعترض على حكمه لعظمته وجلاله وعدله وحكمته ولطفه بخلقه وهو الذى سوف يسأل الخلق عن أعمالهم وأقوالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشراً يقول الرازي : لقد ذكر الله ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل ، يعنى إذا كانوا غير قادرين على أن يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فأى عقل يجوز إتخاذهم آلهة .

(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أى لو كان يتولاها ويدير أمرهما شيئاً غير الواحد الذى فطرهما لفسدتا .

(١) النحل آية - ٢١

(٢) الأنبياء آية ٢١ - ٢٣

في هذه الآيات بيان للتوحيد ونفي الأضداد والأنداد . (١)
وكان المشركون يعللون عبادتهم للأصنام بأنهم يرجون أن تكون لهم
شفعاء عند الله وتنصرهم .

قال تعالى : (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضون .) (٢)
يقول الله منكراً على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون
بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وتقربهم إلى الله زلفى فرد الله عليهم بقوله :
(لا يستطيعون نصرهم) أى لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هى أضعف
من ذلك وأقل وأذل وأحقربل لا تقدر على الإستنصار لأنفسها ولا الإنتقام
من أرادها بسوء لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل وهم لهم جند محضون وذلك
يوم الحساب ليكون ذلك أبلغ فى حزن عابديها وأدل على إقامة الحجّة
عليهم . (٣)

وقال : (واتخذوا من دون^{الله} آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً .) (٤)

لقد اتخذ عباد الأصنام الآلهة من دون الله ليكونوا لهم عزا ينصرونهم
وينقذونهم ويشفعون لهم من العذاب فرد الله عليهم بقوله : (كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً .) وهذا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة
التي سوف تكون ضد هم يوم القيامة وذلا عليهم وليس عزا .

هذه الآلهة التي اتخذوها من دون الله تتبرأ من عبدها يوم القيامة
قال تعالى : (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم
وشركاءكم فزيلنا بينهم وقال شركاءهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى باللّهِ
شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين .) (٥)

إنه تعالى يحشر العابد والمعبود فيتبرأ المعبود من العابد لأنه ما فعل
ذلك بعلمه وإرادته ولا يتشفع له وذلك يدل على نهاية الخزي والنكال فى
حق هؤلاء الكفار . (٦)

(١) تفسير الرازى ، جزء ٢٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ (٢) يسن آيه ٧٤ - ٧٥

(٣) تفسير ابن كثير جزء ٣ ، ص ٥٨١ (٤) مريم آيه ٨١ - ٨٢

(٥) يونس آيه ٢٨ - ٢٩

(٦) الرازى جزء ١٧ ، ص ٨٢

والمشركون وكل ما عبده من دون الله هو ^{أضغ} اللوهو ^{أضغ} عن هذه العبادة سيحشرهم الله في نار جهنم ويكونون وقوداً لها والعياذ بالله .

قال تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون .) (١)

يقول الله مخاطباً مشركي مكة وكل من دان بدينهم من عبدة الأوثان : إنكم وما تعبدون من دون الله وقود جهنم داخلون فيها فلو كانت هذه الأصنام والأوثان التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لماورد والنار وما دخلوها ولكنهم خالدون في النار العابد والمعبود ولهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . يقول ابن مسعود : إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها سامير . من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره . (٢)

روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة صنم فجلس الرسول عليه السلام فأحجمهم ثم تلا عليهم قوله : (إنكم وما تعبدون ^{مردود} حصب جهنم) فأقبل عبد الله بن الزبيري فرآهم يتهاسون فقال : فيم خوضكم ؟ فأخبروه ما قاله الرسول عليه السلام ، فقال عبد الله : والله لو وجدته لخصمته فدعوه ، فقال ابن الزبيري : أنت قلت ذلك ؟ قال الرسول عليه السلام نعم فقال ابن الزبيري : قد خصمته ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى عبدوا المسيح ، وبنو مليح عبدوا الملائكة ؟ فقال عليه السلام : بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك وأنزل الله قوله : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون .) أي عزيز والمسيح والملائكة . (٣)

ويرد القرآن على من عبد الملائكة معتقداً نفعها وشفافتها بأنهم خاطئون فبالإضافة إلى انحطاطهم حيث عبدوا مخلوقاً من مخلوقات الله ستوبخهم الملائكة يوم القيامة وتنبأ من عبادتهم وفيهم قال تعالى : (ويوم يحشرهم

(١) الأنبياء آية ٩٨ - ١٠٠

(٢) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) الرازي جزء ٢١ ص ٢٢٣ .

جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون . (١)

يخبر الله بأنه سيقرع المشركين يوم القيامة أمام الخلائق جميعا ، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يعبدونهم ويزعمون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، فيقول الله للملائكة (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أى أنتم أمرتم هؤلاء المشركين بعبادتكم فتقول الملائكة سبحانك أى تعاليت وتقدست أن يكون معك إله ونحن عبيدك ونتبرأ إليك منهم بل كان هؤلاء يعبدون الجن أى شياطين الجن الذين زينوا لهم عبادتهم وأضلواهم عن سواء السبيل وفي ذلك اليوم لا تملك لهم الأوثان ولا الملائكة النفع ولا الضر ويقال للمشركين توبيخا لهم وتقريعا ذوقوا عذاب النار الذى كنتم تكذبونه فى الدنيا وتكرونه . والمشركون حينما عبدوا الملائكة لم يكن لهم عقل سليم ، فكيف يليق بعاقل أن يعبد مخلوقا وهذا المخلوق يعبد الله ويطيعه ولا يعصيه وهو عبد من عبيد الله .

قال تعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون .) (٢) وقال : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .) (٣) ولم يكتف المشركون بعبادة الملائكة وزعمهم بأنها تتشفع لهم بل جعلوها إناثا حيث ادعوا كذبا وزورا أن الملائكة بنات الله .

قال تعالى : (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا أنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكذايون أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين . فاتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .) (٤) .

(١) سبأ آيه ٤٠ - ٤٢

(٢) النساء آيه ١٧٢

(٣) التحريم آيه ٦

(٤) الصافات آيه ١٤٩ - ١٥٢

يقول تعالى منكرًا على المشركين الذين جعلوا لله البنات وجعلوا لأنفسهم الذكور فكيف ينسبون إلى الله ما يكرهونه وكيف يحكمون بأن الملائكة إناث أشهدوا خلقهم ؟ أم لديهم كتاب منزل من السماء ؟ أم لديهم برهان على ذلك فالحقيقة أنهم كاذبون فليس لديهم برهان ولا دليل ولا علم على ما قالوه كذبا وافتراءً والملائكة لا تتشفع لهم ولا تنصرهم إنما تتبرأ منهم أمام الله وأمام الناس أجمعين .

وقال : (وجعلوا له من عباده جزمًا إن الإنسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصطفاكم بالبنين . وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودًا وهو كظيم . أو من ينشوء في الحلية وهو في الخصام غير مبين . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا لشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابًا من قبله فهم به مستمسكون .) (١)

يقول ابن كثير : (لقد جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ أحدها : جعلهم لله تعالى ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً . الثاني : دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء . الرابع : إحتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً وقد جهلوا في هذا الإحتجاج جهلاً كبيراً ، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه .) (٢)

وقال تعالى : (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى .) فيرد الله عليهم بقوله بأنهم يتكلمون بلا علم وأن الجهل هو طريقهم يقول تعالى رداً عليهم (وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن

(١) الزخرف آية ١٥ - ٢١

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ١٢٥

لا يغني من الحق شيئاً) ثم يأمر الرسول بالإعراض عنهم حيث يقول: (فأعرض عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .) (١)

ينكر الله على تسمية المشركين للملائكة تسمية الأنثى وجعلهم بنات الله تنزه الله عن ذلك وتقديس وليس لديهم علم صحيح صادق بل كذب وافتراء وكفر حيث اتبعوا الظن الذي لا يجدي شيئاً ولا يقوم مقام الحق وطلب الدنيا والسعي وراءها هو غاية ما يريدون لذلك أمر الله رسوله عليه السلام أن يعرض عن الذي يعرض عن الحق وعن الإيمان لأن الله يعلم بالضالين وبالْمُهْتَدِينَ .

وقال : (ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى ويرد الله عليهم بأن هذا من اختراعهم الذي لا أساس له فيقول (إن هي إلا أسماء > سميتها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى .) (٢)

يقول الله مستنكراً على المشركين : أتجعلون لله ولداً وهذا الولد أنثى ؟ وتختارون لأنفسكم الذكر، فلو كانت هذه القسمة بين البشر لكانت باطلية فكيف تقاسمون الله هذه القسمة الجور التي فيها ظلم وسفه وهذه الأصنام التي اتخذوها والتي سموها تسمية الإناث وليس لهم دليل ولا حجة في اتخاذهم إياها ولا في تعظيمها بل هي أسماء سموها من عند أنفسهم كذبا وافتراءً وتقليداً لآبائهم وأجدادهم واتباعاً لأهوائهم التي سولها لهم الشيطان .

والملائكة لا تتشفع لأي مخلوق إلا بإذن الله . قال تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أُذن له .) وقال : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون .) (٤)

(١) النجم آية ٢٧ - ٣٠

(٢) النجم آية ٢١ - ٢٣

(٣) سبأ آية ٢٣

(٤) الأنبياء آية ٢٨

ومن كذب المشركين وافترائهم جعلهم بين الله والجن نسيا .
قال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون .
سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين .) (١)
يقول ابن كثير : (قال المشركون : الملائكة بنات الله ، فقال أبو بكر :
فمن أمهاتهن ؟ قالوا بنات الجن .) (٢)
فالجن مخلوقات من خلق الله وليست أنسابه والجن منهم المؤمنون ومنهم
الكافرون قال تعالى : (وأنا من المسلمين ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك
تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .) (٣)
وقد كانوا في الجاهلية يتعوذون بالجن . قال تعالى : (وأنه كان رجال
من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا .) (٤)
والجن لا تنفع الإنسان ولا تستطيع أن تدفع عنه الضر ولا تدفع عن نفسها
ودليل ذلك حينما طردت من السماء لم تستطع الدفاع عن نفسها . فكيف
يتعوذ بها من دون الله .

قال تعالى : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهبا صاد .) (٥)
والجن لا تعلم الغيب والدليل على ذلك حينما توفي سليمان عليه السلام
وقد سخر الله الجن لخدمة سليمان فاستمروا في خدمته ولم يعلموا بموته
إلا حينما أكلت دابة الأرض منسأته فسقط على الأرض حينئذ تبينت
الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب الشديد الدليل
المهين .

قال تعالى : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل
منسأته فلما خبر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين .) (٦)

فحاشا لله أن تكون له زوجة وأولاد وبنات وأنساب فهو الواحد الأحد
الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

(١) الصافات آية ١٥٨ - ١٦٠ (٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ٢٣

(٣) الجن آية ١٤ - ١٥ (٤) الجن آية ٦

(٥) الجن آية ٨ - ٩

(٦) سبأ آية ١٤ .

رد القرآن على المشركين الذين أنكروا البعث

من الأمور البديهية التي يجب على كل عاقل أن يعتقد ها هي بعث الإنسان ثانية وذلك لكي يثاب المحسن على إحسانه ويجازى المسيئ على إساءته إذ لو لم يكن هناك بعث ولا نشور ولا حساب ولا جزاء لأطلق كل إنسان لنفسه العنان يفعل ما يشاء دون مراعاة للحرام والحلال ولا لأوامر الله عز وجل ونواهيه وإذا لم يخف الإنسان من ربه فإن القوانين الوضعيه كلها ستكون عاجزه عن كبح جماحه .

ولكن نرى كثيرا من المشركين وكذلك الملحدين أنكروا البعث وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر واتهموا الرسول عليه السلام بالجنون والافتراء لأنه أخبرهم بأن الله سيحييهم ثانية بعد الموت لحسابهم وجزائهم . قال تعالى : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب)^(١) ففي هذه الآيات يخبرنا الله عن استبعاد الكفرة قيام الساعة بعد أن يموتوا وتتمزق أجسادهم وتتفرق وتبلى أن يعيدهم الله ثانية واتهموا الرسول عليه السلام بالجنون والافتراء ولكن هؤلاء في ضلال بعيد لأنهم لو نظروا إلى خلق السماء والأرض لوجدوا فيها دليلا على قدرة الله العظيمة فمن قدر على خلق السماء والأرض وخلق الإنسان ستكون عليه إعادة أسهل وأهون وهذه الأدلة تظهر لكل عبد لبيب فطن . ولكن هؤلاء كالأنعام حيث عطلوا عقولهم عن التفكير والتأمل في الكون وما فيه من أدلة وبراهين .

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز الأليم . (١)

يأمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لأن الله من صفاته أنه عليم فلا يغيب عن علمه أى شئ ولو كان قدر الذرة في السماء أو في الأرض فالله عليم به ومحيط، فالعظام إن بليت والأجسام إن تفرقت فالله العظيم العليم القدير قادر على إعادتها ثانية ليجزي المؤمنين الذين كملوا الصالحات بالمغفرة والجزاء الكريم من الله ثم يجزي الكفار الذين صدوا عن إتيان الإيمان العذاب الأليم .

وقال تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل إي ربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين .) (٢)

استبعد الكفار وقوع البعث لذلك يسألون الرسول عليه السلام عن وقوعه فيأمر الله عز وجل الرسول عليه السلام أن يقسم لهم بالله بأنه حق الوقوع وأنه ليس بمعجز على الله إعادتهم بعد أن يصيروا ترابا فالإعادة أهون من اليد .

وقال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير .) (٣)

قاله عز وجل سوف يبعث جميع العباد وسوف يخبرهم بجميع أعمالهم الصالحة والفاصلة وسيكون يسيراً على الله ذلك وسهلاً .

وقال : (ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حياً . أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً .) (٤)

قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الإختصار لما قدروا عليها إذ لا شك أن الإعادة ثانية أهون من الإيجاد أولاً . (٥)

(١) سبأ آية ٣ - ٥

(٢) يونس آية ٥٣

(٣) التغابن آية ٧

(٤) مريم آية ٦٦ - ٦٧

(٥) تفسير الرازي جزء ٢١ ، ص ٢٤١ .

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم . ؟ بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ * وإليه ترجعون .) (١)

يقول ابن كثير : (جاء أبى بن خلف لعنه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم وهو يفته ويذروه فى الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم (نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يجشرك إلى النار .) (٢)

لقد استبعد الكفار قدرة الله على البعث وهو العظيم العليم القدير الخالق المبدع الذى خلق السموات والأرض بمن فيهن أيعجز عن إعادة الأجسام بعد أن تصبح رميما ؟ لقد نسى هؤلاء الكفار أن الله خلقهم من العدم إلى الوجود وخلق لهم من الشجر الأخضر نارا ليستوقدوا منها وخلق لهم السموات والأرض وهو الخلاق العليم . قاله قادر على أن يعيدهم ثانية ولا يكون ذلك إلا بكلمة واحدة وهى كن فيكون فسبحان الله تنزيهه لله وتعظيمه وتقديسه فهو مالك السموات والأرض والذى سوف ترجع إليه كل الخلائق لحسابها وجزائها . وهو العليم الحكيم القدير . الذى لم يخلق الإنسان فى هذه الدنيا سدى وإنما خلقه لعبادته .

قال تعالى : (أبحسب الإنسان أن يترك سدى .) (٣)
وقال : (أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) (٤) .
وقال : (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) (٥) .

(١) يسن آيه ٧٨ - ٨٣

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٣ ، ص ٥٨١

(٣) القيامة آيه ٣٦

(٤) المؤمنون آيه ١١٥

(٥) الذاريات آيه ٥٦

وقال : (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .) (١) وعقيدة البعث من العقائد الأساسية في الإيمان جاءت بها كل الرسل لما جاءت بالإيمان بالله عز وجل .

قال تعالى على لسان نوح : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .) (٢)

وقال على لسان إبراهيم : (والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (٣) . وقال لموسى عليه السلام : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) (٤) . والإيمان بالبعث وما فيه من ثواب وعقاب له أثر عظيم في سلوك الإنسان والتزامه بالعمل الصالح ويتقوى الله فالفرق عظيم بين اثنين أحدهما مؤمن بالبعث والثاني منكر له كافر به .

فالأول ملتزم بأوامر الله ومطبق لأوامره والثاني منفلت لا يلتزم بأمر من أوامر الله ولا يهتم إلا مصالحته فالغاية عنده غاية أنانية تبرر أي وسيلة وأي عمل .

بذلك رد القرآن الكريم على عقائد الوثنيين الفاسدة مبينا الحق الذي يجب عليهم اعتقاده والآن ننتقل الى الرد على وسائلهم في المعارضة .

الرد على وسائل الوثنيين في المعارضة :

لقد رد القرآن على المشركين الذين كذبوا الرسول عليه السلام واتهموه بالكذب والسحر والجنون وافتراء القرآن .

فالقوم حينما يجدون شيئا يفوق عقولهم ويفوق واقعهم ينسبون ذلك إلى السحر والجنون وكان من الواجب عليهم أن يفكروا ويعملوا عقولهم بعيونهم

(١) تبارك آية ٢

(٢) نوح آية ١٧ - ١٨

(٣) الشعراء آية ٨٢

(٤) طه آية ١٥ - ١٦

عن موارِيثهم الفاسده ، ولو فعلوا ذلك لأدركو الحق ولكنهم لم يفكروا ولم يتدبروا لأن لهم قلوبا لا يفقهون بها ^{عقولاً} لا يتدبرون بها بل هم صم عمى بكم فهم لا يرجعون إلى الحق . والله يدعوهم إلى التفكير المستقل بعيداً عن الموارِيث الفاسدة وعن المحاكاه والتقليد . قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباءكم . وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين . وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير . وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير . قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة . إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) . (١)

يخبرنا الله عز وجل عن الكفار حينما كانوا يسمعون الرسول : عليه السلام وهو يقرأ القرآن فيقول بعضهم لبعض عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يريد أن يبعدهم عن دين آباءهم ويقولون عن القرآن أنه مفترى وأنه سحر والله عز وجل لم ينزل عليهم كتباً قبل القرآن ليدرسوها ولم يرسل إليهم نبياً قبل الرسول عليه السلام ليتبعوه ، وكانوا يتمنون أن يرسل الله إليهم رسولا ليتبعوه ويكونوا أهدى من غيرهم ولكن حينما جاء الرسول عليه السلام كذبوه وكفروا به وسخروا منه واستهزؤوا منه وآذوه واتهموه بالآتيهات الكاذبه ولقد كذبت الأمم السابقة بالرسول والأنبياء وما بلغوا معشار ما آتاهم الله من القوة فى الدنيا فعاقبهم الله نتيجة تكذيبهم للرسول ، وكفرهم بالله أفلا يتدبر المشركون ما حصل للأمم السابقة المكذبه فلا يقعوا فى مثل ما وقعوا فيه؟ ولكن قلوبهم غلف ، وعقولهم كالأنعام لا يعقلون بها ولا يتدبرون .

وحينما اتهم المشركون الرسول عليه السلام بأنه افترى القرآن (رد الله عليهم بقوله :) وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . (٢)

يقول ابن كثير: هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله لانه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعانى العزیزة الغزيره النافعه فى الدنيا والآخرة لا يكون إلا من عند الله الذى لا يشبهه

(١) سبأ آيه ٤٣ - ٤٦

(٢) يونس آيه ٣٧ - ٣٩

شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، ومثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ولا يشبهه كلام البشر ولكن الله صدق للكتب السابقة وصريح عليها ومبين لما وقع فيها من التحريف والتأويل وبيان لأحكام الحلال والحرام بيانا شافيا كافيا حقا لا مرية فيه من الله رب العالمين . فإن ادعيتهم وافتريتهم وشككتهم في أن هذا من عند الله وقتلتم كذبا ، إن هذا من عند محمد ، فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم بسورة مثله واستيعنوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من أنس وجن . ولقد كذبوا بالقرآن ولم يفهموه ولم يعرفوه ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق بل كذبوا به سفها وجهلا كما كذبت الأمم السالفة ، فانظروا كيف أهلكتهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعدوانا وكفرا وعنادا وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم . (١)

ولقد تحدى الله المشركين أن يجتمعوا هم والجن ويستعينوا بعضهم ببعض على أن يأتوا بمثل القرآن فما استطاعوا . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .) (٢)

ثم بعد ذلك تحداهم أن يأتوا بعشر سور فما استطاعوا . قال تعالى : (أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين .) (٣)

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من سور القرآن فما استطاعوا ولن يستطيعوا ولا يزال هذا التحدى قائما حتى تقوم الساعة .

قال تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (٤)

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

(٢) الإسراء آية ٨٨

(٣) هود آية ١٣

(٤) البقرة آية ٢٣ - ٢٤

وأما افتراءهم على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعلمه بشر فقد رد الله عليهم كذبهم بأن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أعجمي وهذا القرآن عريبي فصيح بليغ . فهل يقول هذا القول من له عقل ؟ وإنما يفترى الكاذب الكفار الذين لا يؤمنون بآيات الله وليس محمد عليه السلام .

قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين . إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) (١)

فالرسول عليه السلام لا يمكن أن يفترى القرآن بل هو وحي من الله ، وقد كان عليه السلام معروفا قبل البعثة بصدقه لذلك حينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان : هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ذلك : قال أبو سفيان لا .

ولو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم على الله لم يتركه بل انتقم منه . وقد بين الله لهم ذلك في قوله :

قال تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ماتوا منون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين . وأنا لنعلم أن منكم مكذبين .) (٢) ولقد رد الله على المشركين بأن الرسول ليس بشاعر ولا كاهن إنما هو رسول من عند الله عز وجل . وليس الرسول عليه السلام هو الذي كذبه قومه فقط وإنما كل الرسل السابقين كذبهم قَوْمِهِمْ واستهزؤا^{هم} وسخروا منهم .

قال تعالى : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما أتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين . ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

(١) النحل آية ١٠٣ - ١٠٥

(٢) الحاقة آية ٣٨ - ٤٩

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به مستهزؤن (١) .

يقول الله عز وجل مسلماً لرسوله صلى الله عليه وسلم في ما اتهمه به قومه من الكذب والجنون ويواسيه في ما حصل له من استهزاء وسخرية بأن ذلك حدث للرسول السابقين من أقوامهم وأنهم قد اتهموا بالكذب والجنون وقد استهزؤهم وسخر منهم .

وقال تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين .) (٢)

يقول الرازي : لقد ذكر الله في هذه الآية فائدة وهي تثبيت فؤاد الرسول عليه السلام على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وولية فإذا رأى له فيها شاركا خف ذلك على قلبه كما يقال : المصيبة إذا عمت خفت . فإذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى . (٣)

وأما ما طلبوه على سبيل التعنت فإن الله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم : بأنه ليس هو المتصرف في الكون ، وإنما الأمر لله وحده فيقول سبحانه تعقيباً على كلامهم : (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) (٤) يقول ابن كثير : (لو علم الله أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم يطلبون ذلك كفراً وعناداً ، فقبل للرسول عليه السلام إن شئت أعطيتناهم ما سألوا فان كفروا عذبناهم عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال عليه السلام (بل تفتح باب التوبة والرحمة .) (٥) .

(١) الحجر آية ٦ - ١١

(٢) هود آية ١٢٠

(٣) تفسير الرازي جزء ١٨ ، ص ٧٩

(٤) الاسراء آية ٩٣

(٥) تفسير ابن كثير جزء ٣٠ ، ص ٦٣ .

وأما ما أرادوه من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو قيده ، فإن الله قد كفاه شرهم ونجاه منهم وأما إخراجه فإن الله قد جعله نعمة من نعم الله حيث خرج من مكة مهاجرا فكان فاتحة خير وبركة للإسلام والمسلمين .

وأما محاصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في الشعب ، فقد كان ذلك خيرا وبركة ، حيث أخذ المسلمون منه درسا في الصبر ، وخرجوا من هذه المحنة منتصرين ، وأخذ الناس يدخلون في الإسلام .

لقد أخذ أصحاب العقيدة درسا في الصبر على التعذيب والإيذاء ، فهم لم يكونوا يريدون من وراء صبرهم دنيا يغتنمونها ، وإنما كانوا يريدون ما عند الله من ثوابه إن الرسول عليه السلام لم يكن يعد أصحابه بالمال ، ولا بالمتاع كجزاء على صبرهم وإنما كان يعدهم بما عند الله من ثواب في جنات النعيم ، فقد كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول لهم : (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .)

لذلك يجب على المسلمين في هذا الزمان وفي كل زمان ومكان أن يقتدوا بالموهمنين السابقين في الصبر وعليهم أن يجعلوا كل أعمالهم خالصة لله عز وجل فإن الله أعد للصابرين جنات النعيم . صدقا لقوله تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .) (١)

الفصل الرابع

اليهود

الفصل الرابع

اليهود

يهود : أطلقت هذه الكلمة على سبط أو مملكة يهوذا . . . تعيذا لهم عن الأسباب العشرة الذين سمو إسرائيل إلى أن تشتت الأسباب وأخذ يهوذا إلى السبي ، ثم توسع معناها فصارت تشتمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني .

ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم . . . وكانت لغة اليهود العبرانية ، وفي أيام المسيح والرسول كان العالم مكونا من يهود وأمم ، ولفظة يهود أعم من عبرانيين لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء . (١)

وهم كما ورد في القرآن الكريم وفي التاريخ القديم والحديث ، قوم عرفوا بمخالفة الرسل ثم قتلهم ، وبتحريف التوراة وينقض العهود والمواثيق وحبهم لجمع المال بالوسائل الحكيمة المشروعة ، بالفدر والمكر والخداع ، والخبيث .
عقيدة اليهود :

اليهود : هم أهل كتاب ولكنهم حرفوا كتابهم ، فالعقيدة اليهودية قبل التحريف عقيدة سليمة صادقة نقيه مثل عقيدة الإسلام ومثل كل العقائد التي جاءت من عند الله . والدليل قوله تعالى : (شرع لكم فن الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .) (٢)

وقال : (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما .) (٣)
 وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .) (٤)

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٨٤

(٢) الشورى آية ١٣

(٣) طه آية ٩٨

(٤) الانبياء آية ٢٥

وقال : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هو إلا متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغىكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين .) (١) .

هنا نرى موسى عليه السلام يأمر قومه بالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة شرك كما هو معروف أن التوحيد دين الأنبياء جميعًا .

وعند ما نسبوا الولد لله عز وجل جعلهم الله بهذا العمل من الكافرين الخارجين عن دين الله سبحانه وتعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .) (٢)

والله سبحانه وتعالى عند ما ينادي موسى عليه السلام يناديه متبها على توحيد الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري .) (٣)

وعند ما يتوجه موسى إلى فرعون يكون بينهما الحوار الذي جاءنا به القرآن الكريم قال تعالى : (قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .) (٤)

هذه آيات تنطق بالتوحيد الخالص أمام إنسان ادعى الألوهية لنفسه كذبًا وزورًا وهو فرعون اللعين .

كذلك كانت عقيدة اليهود قبل التحريف الإيمان بالبعث وما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب .

(١) الاعراف آية ١٣٩ - ١٤٠

(٢) التوبة آية ٣٠

(٣) طه آية ١٤

(٤) الشعراء آية ٢٣ - ٢٨

قال تعالى : لموسى عليه السلام : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لايوم من بها واتبع هواه فتردى .) (١)

وقال : (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب .) (٢)

والسحرة الذين تركوا فرعون وآمنوا بالله وبموسى رسولا من عند الله . قالوا لفرعون حينما هددهم : (فاقضى ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياصة الدنيا إنا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى .) (٣)

هنا نجد الإيمان الكامل باليوم الآخر وما فيه من حساب وجنة ونار إيماننا كاملا يحملهم على ترك الباطل واتباع الحق ولو كلفهم هذا حياتهم لأنهم يتطلعون إلى حياة أفضل عند الله سبحانه وتعالى .

هذه العقيدة لم يلبث اليهود أن حرفوها وبدلوها فهاجموا بعض الأنبياء وقتلوا البعض الآخر ، وجحدوا وكفروا وعصوا حيث عبدوا غير الله ، وأنكروا البعث ، ووضعوا الأنبياء بما لا يليق بهم كما وصفوا الله عز وجل بصفات النقص التى لا تليق به جلا وعلا وتنزه عما يقوله الكافرون .

ينقسم اليهود إلى خمسة أقسام :

١ - السامرية : وهم يقولون إن مدينة القدس هى نابلس ، وهى من بيوت المقدس على ثمانية عشر ميلا ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه

(١) طه آيه ١٤ - ١٦

(٢) غافر آيه ٣٩ - ٤٠

(٣) طه آيه ٧٢ - ٧٦

ولهم توراة غير التوراة التي عند سائر اليهود تسمى السامرية ، وهم يبطلون كل نبوة كانت في بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع ، ولا يقرون بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

٢ - الصدوقية : وهم نسبوا الى رجل يقال له : صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزيز ابن الله تعالى الله عما يقولون ، وكانوا بجهة اليمن .

٣ - العنانية : وهم أصحاب كتابان الداودي اليهودي وتسميهم اليهود العراس والمس ، ويقولون : أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام ، ويتبرهون من قول الأخبار ، ويكذبونهم ، وهم بالعراق ومصر والشام وطيطة وطيبره .

٤ - الربانية : وهم الأشعنية القائلون بأقوال الأخبار (١) ومذاهبهم وهم جمهور اليهود .

٥ - العيسوية : وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني ويقولون بنبوة عيسى بن مريم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله أرسله بشرائع القرآن التي بنى إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب . ثم انقسم اليهود التي قسمين :

١ - قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنا .

٢ - قسم أجازوه إلا أنهم قالوا لم يقع .

وحجة الذين أبطلوا النسخ أن الله عز وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا ، والباطل حقا ، والمعصية طاعة . (٢)

(١) أقوال الأخبار : أي أنهم يحرمون ما أحله الله ويحلون ما حرمه الله .

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ص ٩٨ - ١٠٠

صفات اليهود وأخلاقهم كما وردت في القرآن الكريم :

إن القرآن أخبر عن صفات اليهود في كثير من سور القرآن وهذه الصفات ملازمة لهم على مر التاريخ وهي :

١ - الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء بغير حق والعصيان والإعتداء .

قال تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .) (١)

٢ - الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض الآخر :

قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً .) (٢)

٣ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض الآخر .

قال تعالى : (أفئتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .) (٣)

٤ - قسوة القلب .

قال تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (٤)

٥ - تحريف الكلام والطعن في الدين والعصيان :

قال تعالى : (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم سمعوا

(١) البقره آيه ٦١

(٢) النساء آيه ١٥٠

(٣) البقره آيه ٨٥

(٤) البقره آيه ٧٤

قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . (١)

٦ - نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق :

قال تعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم — إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) (٢)
وقال : (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .) (٣)

٥ - عدم النهي عن المنكر :

قال تعالى : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .) (٤)

٦ - إتخاذهم العجل :

قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا لاه خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين .) (٥)
وقال : (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين .) (٦)

(١) النساء آية ٤٦

(٢) المائدة آية ١٣

(٣) النساء آية ١٥٥

(٤) المائدة آية ٧٨ - ٧٩

(٥) الأعراف آية ١٤٨

(٦) الأعراف آية ١٥٢

٧ - الكذب والإدعاء :

قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) (١) . وقال
(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة .) (٢)

٨ - تهجمهم على ذات الله :

قال تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة .) (٣)

٩ - إدعائهم بأن الله له ابن :

قال تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله .) (٤)

وهذه جزء من الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي صورت لنا صفات اليهود وأخلاقهم والتي تتمثل في الكفر بالله حيث عبدوا العجل ، وقولهم العزير ابن الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم لله وللرسل ، وعدم اتباعهم لما جاء في الكتاب المنزل حيث آمنوا بعبادته وكفروا ببعضه ، ونقضهم للعقاق ، وإلباسهم الحق بالباطل وسعيهم في الأرض بالفساد وطغيانهم وجحودهم ومكرهم وخداعهم وجبنهم وقسوة قلوبهم ، وأنهم كانوا يرون المنكر ولا ينكرونه إلى غير ذلك من الصفات القبيحة والتي استحقوا من أجلها اللعنة من الله والغضب ، والذل في الدنيا والآخرة والعذاب الشديد يوم القيامة .

(١) المائدة آية ١٨

(٢) البقرة آية ٨٠

(٣) المائدة آية ٦٤

(٤) التوبة آية ٣٠

تحريف اليهود للتوراة

إن التوراة هي كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام لكي يتبعه بنو إسرائيل ويعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام أمرهم الله بها ، ولكن اليهود ما لبثوا أن بدلوا هذه التوراة وحرفوها وشوهوها بما يناسب طبائعهم وأخلاقهم الذميمة .

السبب الذي أدى باليهود الى تبديل التوراة :

يقول ابن القيم : (إن علماء القوم وأخبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأخبارهم أنها هي عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة لأن موسى صان التوراه عن بني إسرائيل ولم يبشها فيهم خوفا من اختلافهم من بعده في تأويل التوراه المؤدي إلى انقسامهم أحزابا وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي ، والدليل كما جاء في التوراة (وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنه بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب .) (١) وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامه وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم ، ولم يبد موسى لبني إسرائيل من التوراه إلا نصف سورته وقد قال الله لموسى في التوراه عن هذه السورة : (فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلم بني إسرائيل إياه وضعه في أفواههم ولكي يكون لي هذا النشيد شاهدا على بني إسرائيل .) (٢)

وأما بقية التوراه فدفعها إلى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراه ويحفظون أكثرها ، قتلهم بختصر على دم واحد ، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراه محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراه .

(١) الإصحاح ٣١ من سفر التثنيه ص ٢٣٠ ، إصدار الكتاب المقدس في العالم العربي .

(٢) الإصحاح الواحد والثلاثون من سفر التثنيه ص ٢٣٠ ، والمقصود بالنشيد نصف السوره في نظرهم ولكن المفهوم من النص أن الوصيه (بجميع كلمات التوراه وليس نصف السوره . وكيف يوصيهم بالعمل بالكامل وليس الكل معهم ، والصحيح في هذا الموضوع أن موسى اصطفى عن أمر الله سبط لاوي ليقوموا بتعلم التوراه وتعليمها للناس ويتفرقوا بين الأسباط لهذا الغرض . وكتب موسى من التوراه ثلاثة عشر نسخه وضع واحدة في التابوت وأعطى لكل سبط نسخه تذكارا وفي بابل اتفق اليهود على التحريف ، وبعد ما حرفوا اضطهدوا العلماء الذين لم يوافقوا على التوراه الجديد .

فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة مالفوق منه هذه التوراه التي بأيديهم ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة ، وقالوا فيه ما حكاه الله عنهم في كتابه ، وزعموا أن النور على الأرض الى الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم .

فهذه التوراه التي بين أيديهم على الحقيقة كتاب عزير ، وإن كان فيها من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وهذا يدل على أن الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغي لــــه ، وما لا يجوز عليه ، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه .

وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بعزرا الوراق . (١)

واليهود السامريون لهم توراة غير التوراه التي عند سائر اليهود وتدعى التوراه السامريه ، ويزعمون أنها المنزله ، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفه ومبدله .

وسائر اليهود يقولون : أن التوراة السامريه محرفة ، ومبدلة . والتوراة السامرية مخالفة للتوراة التي عند اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر مثل : ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في التوراة الأخرى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب فإن عند السامرة نسخا متعددة ، وكذلك في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود عليه السلام . (٢)

(١) هداية الحيارى لابن القيم الجوزيه ص ٢٠٦ - ٢٠٩ تحقيق الدكتور احمد حجازي سقا .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه جزء اول ص ٣٨٠ .
الكلمات العشر وتسمى الوصايا العشر ، وتسمى دتالوك أي الكلمات العشر وهي ما نطق به الله في سيناء وكتب على لوح حجر . قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٩

نماذج مما ورد فى التوراه المحرفه من أكاذيب وأباطيل :

تصوير الله عز وجل بصور بشرية منها :

١ - وصف الإله بالقسوة والتدمير

مثال ماورد فى التوراه : (متى أتى بك الرب الهك إلى الأرض التى أتت داخل إليها لتمتلكها وطرده شعوبا كثيرة من أمامك الحيشيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والعزيريين والحويين والموييين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم ، لاتقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم .) (١)

٢ - أنه غير عالم ويطلب من اليهود أن يرشدوه .

مثال على ذلك ماورد فى التوراه : (أنى اجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب ويكون الدم لكم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين اضرب أرض مصر .) (٢)

فيطلب الإله من بنى اسرائيل أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى لا يهلكوا مع فرعون وأتباعه لانه لا يعرف بيوتهم من بيوت الفراعنه ولا يعلمها .

الإله يأمر بالسرقه :

فقد طلب الإله منهم أثناء خروجهم من مصر أن يسلبوا المصريين الحلبي من الذهب والفضه ، تقول التوراه : (تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبة وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين .) (٣)

(١) التثنيه الاصحاح ٧ ، ص ٢٩٠

(٢) خروج الاصحاح ١٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) خروج الاصحاح ١١ ، ص ١٠٤ - ١٠٧

٣ - إله يسير أمامهم في عمود سحب :
تقول التوراه : (وكان الرب يسير أمامهم نهارة في عمود سحب ليهدى لهم
في الطريق وليلا في عمود نار يضيء لهم لكي يمشوا نهارة وليلا .) (١)

٤ - الإله يخطيء ثم يندم :

تقول التوراه : (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .) (٢)

٥ - موسى ينصح الإله بعدم الغضب والندم على الشر بشعبه :

تقول التوراه : (فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يحمى غضبك
على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . . أرجع عن حمو غضبك واندم على
الشر .) (٣)

٦ - الإله يتعب فيستريح من التعب :

تصف التوراه أن الإله يتناهب ما ينتاب البشر من التعب لذلك يستريح .
فتقول : (في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس) (٤)

٧ - وصف الإله بأنه يستيقظ من مسكن قدسه :

تقول التوراه : (اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن
قدسه .) (٥)

٨ - أن الله خلق آدم على شبهه :

تقول التوراه بأن الله قال : (اصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا .) (٦)

(١) خروج الاصحاح ١٣ ص ١٠٩

(٢) خروج الاصحاح ٣٢ ص ١٤٠

(٣) خروج الاصحاح ٣٢ ص ١٤٠

(٤) خروج الاصحاح ٣٠ ص ١٢٩

(٥) زكريا الاصحاح ٢ ص ١٢٤٢

(٦) الفصل في المثل والنحل جزء ١ ص ١١٧

وقال : (نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله .) (١)

٩ - إدعاءهم بأن الله يكذب :

حيث وعد أن يفدي قابيل الى سبعة ولم يفده . (٢)

١٠ - سارة تكذب الله :

قال الله إن سارة ضحكت ، فقالت ساره لم أضحك . قال الله : بل ضحكت . (٣)

١١ - كذبهم على الله وذلك بادعاءهم بأن له أولاداً يدخلون بيئات آدم عليه السلام فيلدن الجبابره .

تقول التوراه : (وحدث أن ابتدأ الناس يكثررون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً منهن لكل ما اختاروا وبعد ذلك أيضا دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر .) (٤)

١٢ - إبنتا لوط تسقيان والدهما الخمر لكي يزنى بهما وينجيا منه نسلا :

قالت إبنتا لوط الكبرى لأختها الصغرى : أبونا شيخ وليس أحد يأتينا كسبيل النساء تعالى نسقي أبانا الخمر ونضاجعه ونستبقى منه نسلا ، فسقتا أباهما الخمر وضاجعت الكبرى أباهولم يعلم بذلك ، فحملت منه ، وكذلك فعلت الصغرى ما فعلته أختها فحملت من أبيها ، فولدت الكبرى إبنا اسمه مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم وولدت الصغرى ابنا سمته ابن عمى وهو أبو العمونيين (٥)

١٣ - يعقوب يسرق ويفش ويخدع أخاه عيسو لكي يأخذ منه البكوريه والبركه . (٦)

(١) التكوين ، الاصحاح ١ ، ص ٤

(٢) ، (٣) في المثل النحل جزء ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) تكوين الاصحاح ٦ ، ص ٤

(٥) التكوين الاصحاح ١٩ ص ٢٩

(٦) التكوين الاصحاح ٢٨ ص ٤٤ - ٤٥

١٤ - يعقوب يصارع الله عز وجل وينتصر يعقوب على الله حيث يهشى الله وهو يعرج من رجله ، وقال ليعقوب : (إن كنت قويا على الله فكيف على الناس ولذلك سمي يعقوب إسرائيل . ومعنى إيل الله وأسرأي قهرأي قهر الله . (١))

١٥ - روء ابين يضاجع سرية أبيه بلهة وهي أم أخويه دان ونفتالي :

١٦ - يهوذا يطلب الزنا من امرأة مقابل جدى يعطيها إياه ، وقد لقيها في الطريق وكانت هذه المرأة زوجة ابنه وهو لا يدري ، فحملت منه ولما علم بأنها حامل أراد أن يحرقها ، وحينما علم أنها حامل منه أسقط الحكم عنها وهذه المرأة هي جدة داوود وسليمان . (٢))

١٧ - يعقوب يتزوج امرأة قدست إليه أخرى ليست إمرأته فولدت له أولاداً

منهم انتسل موسى وهرون وداوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء . (٣))

١٨ - داود يزنى جهاراً بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي وأنها ولدت من ذلك الزنا إبناً مات ثم بعد ذلك تزوجها فأنجبت له سليمان عليه السلام . (٤))

١٩ - أن هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل لكي يعبدوه .

تقول التوراه : (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا الرجل الذي أصدنا من أرض مصر لا تعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنياتكم وأتوني بهن ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون ،

(١) الفصل في الطل والنحل جزء ١ ، ص ١٤١

(٢) التكوين الإصحاح ٣٧ ص ٦٢

(٣) الفصل في الطل والنحل جزء ١ - ص ١٤٧

(٤) صمويل الثاني إصحاح ١١-١٢ ص ٤٩٧ - ٤٩٩ .

فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميز وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بني مذبحا أمامه ونادى هارون ، وقال غدا عيد الرب . (١)

٢٠ - سليمان لا يستمع إلى أوامر الله ويتزوج من النساء اللواتي نهاه الإله من التزوج بهن فأمالسوا قلبه وراء آلهتهن .

تقول التوراه : (وأحب الملك سليمان نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون مؤايبات وعمونيات وآدوميات وصدونيات ، وحيشيات من الأمم الذين قال عنهم السرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهن ، فالتصق سليمان بهؤلاء^(١) بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري ، فأمالت نساءه وه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمطن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتورات^(٢) إلهة الصدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشرف في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . (٣)

٢١ - الله يجعل موسى إلهها لفرعون :

تقول التوراة : (فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إلهها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك .) (٤)

(١) خروج الاصحاح ٣٢ ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢) الملوك الاول الاصحاح ١١ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤

(٣) جاء في قاموس الكتاب المقدس : ص ٦٢٨ مايلي :

كان العشتار هذه تقاليد معروفة خاصة بها وكانت عبادتها تنطوي على الكثير من الخلاع ، وكانت كاهناتها يتولين الدعارة رسميا ، وكانت عشتار تعبد دوما مع إله ذكر هو البعل .

ورمزت هي والبعل إلى القمر والشمس ، ولقد انتقلت عبادة عشتار إلى بني إسرائيل أيام الملك سليمان الذي أدخل عبادتها متأسرا بطقوسها في صيدون .

(٤) خروج الاصحاح السابع ص ٩٦

٢٢ - آمنون بن داوود يزني بأخته ثامارا. (١)

٢٣ - نوح يشرب الخمر فيسكر ويتعري ويبصر عورته ولده حام. (٢)

تقول: (١) آمنون بن داوود يزني بأخته ثامارا. (٢) نوح يشرب الخمر فيسكر ويتعري ويبصر عورته ولده حام. (٣) آمنون بن داوود يزني بأخته ثامارا.

وتقول : (أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس لكونكم أكثر من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم .) (٤) مما سبق رأينا نماذج من التوراة المحرفة التي هي خليط من الأباطيل والأكاذيب والأوهام والتخيلات والافتراءات التي صنعها البشر بعون من إبليس وجنده ، فقد وصفوا الله عز وجل بصفات النقص التي لاتليق بجلاله وعظمته فقد شبهوه بالبشر حيث يصيبه ما يصيبهم من الخطأ والندم والعجز ، فقد صرع يعقوب الإله وتغلب عليه لذلك سمي إسرائيل ، وبعدم العلم لذلك طلب من بني إسرائيل أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى لا يصيبهم الهلاك حينما يهلك فرعون وأتباعه ، وبأنه ينتابه الأعمى والنوم ، وبأن له أولادا دخلوا بينات الناس فأنجبن الجبابرة ، وبالشركاء ، إلى غير ذلك من الصفات التسي لا تليق بجلاله وعظمته ، أما الأنبياء فقد وصفوهم بصفات لا يمكن وصف البشر العاديين بها ، فقد وصفوهم بعدم سماع كلام الله وينصحه وتكذيبه ، وبالزنا ، وبشرب الخمر وبالسرقة والغش والخداع إلى غير ذلك من الصفات التسي لا تليق بهم . . .

واليهود متعصبون يزعمون أن الإله لهم وحدهم وأنهم أبناء الله وأحباءه وأن النار لاتمسهم إلا أياما معدودة وأنهم شعب الله المختار الذي فضلهم على سائر البشر .

(١) صمويل الثالث عشر ص ٥٠٢

(٢) التكوين الاصحاح التاسع ص ١٥

(٣) التوراة الاصحاح ٢٠ ص ١٦

(٤) تثنية الاصحاح ٧ ص ٢٩٠

يقول ابن تيميه رحمه الله : (أما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه ، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم فنقول بالتواتر فإن اليهود بدلوا شريعة التوراة قبل أن يأتيهم المسيح ابن مريم فلما أتاهم كفروا به وكذبوه ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه ، فبأءوا بغضب على غضب .) (١)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ٤٥

الفصل الخامس

اليهود وموقفهم من الإسلام

الفصل الخامس

اليهود وموتهم من الإسلام

كان قبل الإسلام عدة قبائل من يهود يسكنون يثرب وما حولها ، وأشهرها ، بنو النضير ، وبنو قُينِقا ، وبنو قريظة .

وكان يسكن في المدينة من العرب قبيلتا الأوس ، والخزرج ، وكان اليهود إذا حدث بينهم وبين الأوس والخزرج نزاع يقولون : (إن نبيا سيبعث قد أطل زمانه سنتبعه ، ونظفر عليكم ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به ، وكذبوا بما جاء به . قال بنو إسحاق : عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيسأله . فقال لهم : معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفاته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي نذكره لكم . (١)

فأنزل الله ذلك قوله : (فلما جاءهم كتاب من عند الله صدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .) (٢)

والرسول عليه السلام لما وصل إلى المدينة المنورة وجد فيها من سبقه من المهاجرين ومن بايعوه من الأنصار ، ومالبت أن عقد أول معاقده دليته بين المسلمين واليهود والمشركين وهذه أهم نصوص هذه المعاهدة العظيمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . (إنهم أمة واحدة من دون الناس - والمؤمنون لا يتركون مفرحا (٣) بينهم أن يعطوه بالمعسروف

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ١ ، ص ٤٧ هـ

(٢) البقرة آية ٨٩

(٣) المفرح : هو من أثقله الدين والقزم فأزال فرحه .

فى فداء أو عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وأن المؤمنيين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثمًا أو وعدا أو فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن . وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أديانهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وأنه ممن تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن . وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤمّ به ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يوفى منه صرف ولا عدل . وأنكم مهما اختلفتم فى شىء فمردّه الى الله والى محمد . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين . وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته . وأن ليهود بنى النجار ويهود بنى الحارث ويهود بنى ساعدة ويهود بنى جشم ويهود بنى الأوس ويهود بنى ثعلبة ونجفة وبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف . وأن موالي ثعبه كأنفسهم . وأن بطانة يهود كأنفسهم . وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد (عليه الصلاة والسلام) . وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وأن النصر للمظلوم . وأن اليهود ينفقون مع المسلمين ماداموا محاربين إلى أن قال عليه الصلاة والسلام ((وأن الله علىّ أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو أثم . وأن من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .) (١) . هذه الوثيقة العظيمة والمعاهدة الخالدة لم يلتزم اليهود بما جاء فيها ولم يحفظوا عهودها ومواثيقها كما سيأتي .

(١) نقلا عن كتاب الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى أستاذ الحقوق والسياسة بالجامعة العثمانية بحيدر آباد .

الأسباب التي منعت يهود من اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام هي :
الحسد والكبرياء ، وتآليف قلوب أهل يثرب .

كان الرسول عليه السلام قد دعى اليهود إلى الإيمان به وبرسالته لأنهم مبعوث من عند الله برسالة وشريعة لكل البشر ، ولكنهم أعرضوا عن اتباعه حسدا وكبرا وغرورا ، وأخذتهم العزة بالإثم ، فعادوه عداً شديداً ، وغدروا به كثيرا ، وذلك لأن الرسول عليه السلام من العرب ولم يكن من اليهود . حدثت فيه بنت حبي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي اليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي ، جيبى بن أخطب ، وعمي أبو ياسر بن أخطب ، مغلبيين ، قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالين كسلانيين ساقطين يمشيان الهوينى ، قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت وقد سمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قسأل : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . (١)

والله سبحانه أخبر عن سبب حسد يهود وبغضهم وهو فضل الله على رسوله بسبب إرساله خاتما للأنبياء والمرسلين قال تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا .) (٢) يقول ابن كثير : يعني بذلك حسد هم النبي صلى الله عليه وسلم مارزقه الله من النبوة العظيمة ومنعهم من تصديقه إياه حسد هم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل ، وقد جعل الله في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزل عليهم الكتاب وحكموا فيهم بالسنة وهي الحكمة وجعل منهم الطوك ، ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهذا الإيتاء وهذا الإنعام ومنهم من صد عنه أي كفر به ، وأعرض عنه وسعى في صد

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ١ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٢) النساء آية ٥٤ - ٥٥ .

الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم أى من بني إسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل وقال مجاهد : فمنهم من آمن به أى بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه ، فالكفرة منهم أشد تكذيباً لك ، وأبعد عما جئت به من الهدى ، والحق المبين ، ولهذا قال : (وكفى بجهنم سعيراً) أى وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله . (١) ويتبين غدر اليهود وكذبهم وفجورهم بشهادة واحد منهم وهو : عبد الله بن سلام وهو حبر من أحرار اليهود حيث يقول : (لما سمعت به صلى الله عليه وسلم عرفت اسمه وصفته وزمانه الذي كنا نتوكل له فكننا مسروراً لذلك صامتا عليه حتى قدم عليه السلام المدينة فلما نزل بقاء ، فى بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا فى رأس نخله لى أعمى فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتى جالسه ، فلما سمعت الخبر بقدمه كبرت ، فقالت عمتي لى ، حين سمعت تكبيرى : خبيك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا ما زدت ، قال : فقلت لها : أى عمه ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به . فقالت : أى ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعه ؟ قال : فقلت لها : نعم قال : فقالت : فذاك إذاً قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإنى أحب أن تدخل فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتوني ، وعابوني . قال : فأد خلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأبنا سيدنا ، وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود ، إنه رسول الله وأقبلوا ماجاءكم به فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراه باسمه وصفته ، فإنني أشهد

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٥١٣ - ٥١٤ .

أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، قال : فأظهـرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالده بنت الحارث فحسبـن إسلامها . (١)

وسائل اليهود في المعارضة

انتشر الإسلام في المدينة وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويهود على عنادها واستكبارها وحسدتها تحاول منع العرب من قبول دعوة الرسول عليه السلام والإيمان به، وتفتن المسلمين عن دينهم وتضعف من عزيمتهم وتضيق عليهم السبل، وكانت لهم في ذلك وسائل متعددة وهي :

١ - إسلام أحبار من يهود نفاقا :

حاول اليهود التظاهر بالإسلام نفاقا، والإحتماء به وذلك لكي يفرقوا بين المسلمين، ويدسوا بينهم، وحملهم على النفاق أو الردء . يقول ابن إسحاق : وكان ممن تعود بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهـره وهو منافق، من أحبار يهود، من بني قينقاع: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال، ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعم محمدا أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه الخبر بما قال . عدو الله وهو في رحله، ودل الله رسولـه صلى الله عليه وسلم على ناقته (إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، فهي في هذا الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف .

ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغه حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، ورفاعة بن زيد بن التابوت

وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوا، فإنما هبست لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا . (١)

٢ - أسئلة الإحراج :

لقد كان من وسائل الكيد والمكر التي اتخذها يهود ضد الرسول عليه الصلاة والسلام وضد دعوته، استدراجه بالأسئلة الحرجة، لعله يغلط ويجاب إجابة باطلة تكون لهم وسيلة، وحجة ضده، محاولين التشهير به، وصد المسلمين عن اتباعه، ولكن الله جماعه، وعصمه من كيدهم ومكرهم، بماحياه الله من فطنة، وحذر، وقوة إرادته، فلم يظفروا منه بشيء رغم كل المحاولات الماكرة التي اتخذوها، وكل الطرق الخبيثة التي اتبعوها، فقد حفظه الله من مكرهم وكيدهم وهذه أمثلة من أسئلة الإحراج التي كانوا يسألون الرسول عنها .

أ - ادعاء وهم أنهم على الحق :

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، ورافع بن حريملة، فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتوّه من بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من عند الله حق ؟ قال : بلى، ولكم أحدثتم وجدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئتم من إحدائكم قالوا : فإننا نأخذ بما في أيدينا فإننا على الهدى والحق، ولأنوّه من بك، وتتبعك . (٢)

وقد كان غرض اليهود من هذه الأسئلة إحراج الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام جزء ١، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢، ص ١٥٥

واستدراجه إلى اليهوديه ، واقتصار دعوته على المشركين ، وأن يعتبرهم على حق فلا يدعوهم إلى الإسلام ، ويتركهم وشأنهم ، يحرقون دين الله وينشرون الفساد ، ولكن الرسول عليه السلام أدرك ما في سوءهم من مكر وخداع فبين لهم أنه على ملة إبراهيم ودينه ، وأنه يوءمن بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، ولكنهم حرقوها وبدلوها ، ولم يبينوها للناس ، بل كتموها وأخفوها وخالفوا أوامر الله ، لذلك فهو يتبرأ مما فعلوه ويعتبرهم جاحدين .

ب - إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام :

أتى نفر من اليهود ، وهم أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر وخالد ، وزيد ، وإزار بن أبي إزار ، وأيشع ، فسألوا الرسول عليه السلام : عن يوءمن به من الرسل ؟ فقال لهم عليه السلام : (نوءمن بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لانوءمن بعيسى ابن مريم ، ولا بمن آمن به . (١)

ج - قولهم : أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم :

اجتمعت الأخبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقال : أبو رافع القرظي من يهود : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له الريس : أوداك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ فقال الرسول عليه السلام : معاذ الله أن أعبد غير الله أو أؤمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني . (٢)

وقد كان غرض يهود من هذا السؤال إشاعة الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيهام الناس بأن النبي عليه السلام لا يدعو إلى التوحيد وإنما يدعو إلى عبادة نفسه ، وإثارة جدل ديني مع وفد نجران لصددهم عن الإسلام .

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ٢ ، ص ١٥٥

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٤٥

٢ - محاولة فتنة الرسول عليه السلام :

وذلك بالحكم لصالحهم ، لكي يتبعوه ويؤمنوا به .
قال ابن اسحاق : اجتمع كعب بن أسد وأبن صلوبا وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض ، وقالوا : اذهبوا بنا إلى محمد ،
لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد إنك قد
عرفت أننا أحبار يهود ، وأشرافهم ، وساداتهم ولنا إن اتبعناك اتبعتك
يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومه ، أفنحاكمهم إليك
فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك الرسول عليه السلام (١)

٣ - دخولهم في الإسلام ثم الخروج منه :

وقد كان من وسائل المكر التي اتبعتها يهود دخولهم في الإسلام
ثم الارتداد عنه ، وذلك لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم فيرتدوا مثلهم ،
ويشربوا الإضطراب ، والقلق والشك ، والحيرة بين المسلمين .

فقد اجتمع نفر من يهود وهم : عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ،
والحارث بن عوف ، وقالوا : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه
غدوة ، ونكفربه عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع
ويرجعون عن دينهم . (٢)

٤ - محاولة التشكيك والتأثير على المسلمين :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يصلي في المدينة متجها إلى المسجد
الأقصى ، واستمر على ذلك قرابة ستة عشر شهرا ، وكان عليه السلام يقلب
وجهه في السماء ، ويتمنى أن يعيدهم الله إلى قبلتهم في مكة المكرمة
فاستجاب الله لرغبته وأمره أن يتجه إلى الكعبة . قال تعالى : (قد نرى
تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .) (٣)

(١) سيرة بن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٤

(٢) سيرة بن هشام جزء ١ ، ص ١٤٥

(٣) البقرة آية ١٤٤ .

ووجد يهود فرصة سانحة لما يريدون ، فأسرعوا إلى نشر الإشاعات الكاذبة في المدينة محاولين تشكيك المسلمين ، والتأثير عليهم .

قال ابن اسحاق : (ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقرم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ، ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه . (١) ثم لم يكتف بذلك يهود ، بل حاولوا أن يشككوا المسلمين فيمن مات منهم وهو يصلي إلى المسجد الأقصى .

ه - أسئلة التعنت :

كان من وسائل الكيد والمكر التي اتبعها يهود ضد الرسول عليه السلام ، وضد الإسلام ، توجيه الأسئلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس الغرض منها معرفة صدقه ، أو التعرف على الإسلام وإنما كان الغرض منها التعنت (٢) ، والجدل وإلباس الحق بالباطل ، وإزعاج الرسول عليه السلام ، وتضليل المسلمين .

أ - طلبهم كتابا من السماء :

قال ابن اسحاق : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سليمان ، ونعمان بن أضي ، وبحري بن عمرو ، وعزيز بن عزيز ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذي حثت به لحق من عند الله ، فإننا لانراه متسقا كما تتسق التوراه ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوبا عندكم في التوراه ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ،

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ٢٤ ، ص ١٤٢

(٢) أصل التعنت التشديد ، فإذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فمرادهم يشدد عليه ، ويلزمه بما يصعب عليه أداءه وه لسان العرب

فقالوا عند ذلك جميعا : يا محمد أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، تجدون ذلك مكتوبا عندكم فى التوراة ، فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقره وه ، ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما أتى به . (١)

ب - تنهجمهم على ذات الله وغضب الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك :

قال ابن اسحاق : أتى رهط من يهود إلى الرسول عليه السلام ، فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه . فجاءه جبريل عليه السلام فسكته وقال : خفض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب مأسأله عنه ، وهو : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .) (٢) . فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب الرسول عليه السلام أشد من غضبه الأول وساورهم : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : مثل ما قال أول مره وجاءه من عند الله الجواب على مأسأله . (٣)

ج - سوء الهم عن قيام الساعة :

قال جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ (٤) . وهم أرادوا من سوء الهم التعمت ، فهم يعلمون أن علم الساعة عند الله لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب .

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٧

(٢) الاخلاص ١ - ٤

(٣) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٨

(٤) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٦

د - سوء الهم أن يفجر لهم أنهارا :

جاء رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له :
فجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك . (١)

هـ - طلبهم أن يكلمهم الله :

قال رافع بن حريملة : لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ، فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه . (٢)
وقد كان غرض يهود من هذا الطلب إخراج الرسول عليه السلام ، وضد الذين يريدون الدخول في الإسلام .

٦ - الإستهزاء والسخرية والبهتان بمن أسلم من يهود :

كان من وسائل المكر والكيد التي اتبعها يهود الإستهزاء بالسخرية بمن أسلم منهم وذلك لكي يشككوا من أسلم منهم لعلمهم يرتدون عن الإسلام ، ومنع من لم يسلم بعد من يهود لأنهم إذا رأوا الإستهزاء بغيرهم والتغيير فانهم يخافون أن يحدث لهم مثل ما حدث لغيرهم .

قال ابن اسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سلام وشعلة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورجعوا في الإسلام ، ورسخوا فيه قالت أخبار يهود ، وأهل الكفر منهم ، ما آمنن بمحمد إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . (٣)

ومن استهزأهم وسخريتهم إتخاذ الصلاة هزوا ولعبا إذا نادى إليها . قال تعالى : (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) . (٤)

٧ - الإستهزاء بالله والسخرية منه :

لم يكتف يهود بالإستهزاء والسخرية بالمسلمين ، وإنما أخذوا يسخرون ويستهزئون بالله عز وجل حيث اتهموا الله بالفقر تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(١) سيرة ابن هشام جزء ١ ، ص ٥٤٩

(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ، ص ٥٤٩

(٣) سيرة ابن هشام جزء ١ ، ص ٥٥٧

(٤) المائدة آية ٥٨

ويؤيد ذلك ما حدث بين أبي بكر وفنحاص حيث دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، ووجد منهم ناسا كثيرين اجتمعوا على حبر من أحبارهم ، وعالم من علمائهم ، فقال أبو بكر له ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراه والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر وإنه لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع الينا ، وإننا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر ، وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أى عدو الله ، فذهب فنحاص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد انظر ما صنع بي صاحبكم ، فقال عليه السلام لأبي بكر ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ، أنه زعم أن الله فقير ، وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت الله مما قال ، وضربت وجهه فوجد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلت ذلك . (١)

٨ - ترك الحكم بما أنزل الله :

ذهبت يهود إلى الرسول عليه السلام لينظروا هل هو ملك فيتبعوه ، ويصرفوا الملك حسب أهوائهم أم أنه رسول من عند الله فيحذروه ، فأرادوا امتحانه فى حكم الرجل والمرأه الزانين المحصنين فإن حكم فيهم بأمر الله فهو نبي يجب عليهم أن يحذروه ، وإن حكم بغير ما أنزل الله فهو ملك عليهم أن يتبعوه فلما حكم بما جاء فى القرآن ، والتوراه لم يتبعوه ، وكان الحكم هو الرجم حتى الموت .

عن أبى هريره أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المدراس ، حين قدم الرسول عليه السلام المدينة ، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بأمرأة من يهود قسد أحصنت ، فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وبهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما ، وولوه الحكم عليهما ، فان عمل فيهما بعلمكم من التجبيه (٢) . فأتبعوه

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٤٩

(٢) التجبيه هى الجلد بحبل من ليف مطلي بالقار ثم تسود وجوههما

ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين .

فإنما هو ملك ، وصدقوه ، وإن حكم فيهما بالرجم فإنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه فأتوه ، فقالوا : يا محمد هذا رجل زنى بعد إحصانه بأمرأة قد أحصنت فاحكم فيهما وقد وليناك الحكم فيهما ، فمشى الرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال : يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن سوريا ، وقيل آخرون من علماءهم وأحبارهم فسألهم الرسول عليه السلام ، حتى حصل أمرهم إلى أن قالوا لعبد الله بن سوريا ، هذا أعلم من بقى من التوراه فخلا به الرسول عليه السلام ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فألظ به الرسول عليه السلام المسألة يقول له : يا ابن سوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامسه عند بني إسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراه ؟ قال اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ، ولكنهم يحسدونك ، فخرج الرسول عليه السلام ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار ، ثم كفر بعد ذلك ابن سوريا وجحد نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام . (١)

٩ - تهديد يهود وتثبيط الهمم :

كان الرسول عليه السلام قد أخذ العهد على يهود بعدم غدوهم وخيانتهم وأذيتهم للمسلمين ، وعدم معاونة أحد من أعدائهم عليهم ، ولكن يهود كعاداتها لم تلتزم بعهداها ، فعندما عاد الرسول عليه السلام من بدر والمسلمون منتصرين أظهرت يهود لهم الحسد بما فتح الله عليهم من النصر والتأييد على أعدائهم فجمعهم : الرسول عليه السلام في سوق بني قريظة وقال لهم : (يا معشر يهود أسلموا أسلموا قبل أن يصيبكم اللسنة بما أصاب قريشا .) فقالوا : يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا . (٢)

(١) سيرة ابن هشام جزء ٤ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٥٠ .

١٠ - مناصحتهم للمؤمنين بعدم الإنفاق على الرسول عليه السلام وصحابته :

كان من وسائل المكر والخداع التي اتخذها يهود محاصرة الرسول عليه السلام والمسلمين اقتصاديا عليهم أن المال هو من أهم الوسائل لتدعيم الدعوه الإسلاميه واستمرارها ، فأخذوا يدعون النصح لمن أسلم من الأنصار ، ويوزعون إليهم بعدم مساعدة الرسول عليه السلام لخوفهم عليهم من الفقر إذا هم استمروا فى الإنفاق عليهم ، وهم لا يريدون النصح ، بل يريدون الكيد والمكر بالمسلمين حيث يريدون إضعاف قوتهم .

قال ابن اسحاق : وكان كردم بن قيس وأسامة بن صعيب ونافع بن أبي نافع ، وبحري بن عمرو ، وحبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ، وينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر من ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة فإنكم لا تدررون على ما يكون . (١)

ومن وسائل يهود ومكرهم وخبثهم أنهم أخذوا يوسوسون للمنافقين فجعل عبد الله بن أبي سلول يقول : (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .) (٢)

١١ - التحريش بالمسلمين :

لم تقتصر يهود على التهديد والنصح بعدم الإنفاق على المسلمين ، بل أخذوا يتحرشون بالمسلمين ، ويقومون بالعداء ضدهم ومن ذلك ما كان من أمر بني قنقاع أن امرأة من العرب قدمت تجلب لها فباعته بسوق بني قنقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا ، وشدت يهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قنقاع الذين كانوا أول يهود

(١) سيرقابن هشام جزء ٢ ، ص ١٤٩

(٢) المنافقون آيه ٧

نقضوا ما بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام مما دعا إلى الرسول عليه السلام يحاصرهم حتى نزلوا : على حكمه ، فقام عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين إلى الرسول عليه السلام حين مكنه الله منهم ، وقال لله : يا محمد أحسن في موالي ، فأبطأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال يا محمد أحسن في موالي ، فأعرض عنه الرسول عليه السلام فأدخل يده في جيب الرسول عليه السلام ، فقال له الرسول عليه السلام : أرسلني ، وغضب حتى تغير وجهه من الغضب وقال : ويحك أرسلني ، قال ابن أبي : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرء وأخشي الدوائر ، فقال الرسول عليه السلام : هم لك .

وأما عبادة بن الصامت ، وقد كان من المؤمنين ، فقد ذهب إلى الرسول عليه السلام وكان له حلف مع بني قنيقاع ، فخلعهم إلى الرسول عليه السلام وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى الرسول عليه السلام منهم ومن حلفهم وقال : يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . (١) وكان بنو قنيقاع أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول عليه السلام ، وأعلنوا كفرهم وتمردهم على الرسول عليه السلام . (٢)

١٢ - الغدر ونقض الميثاق والعهد :

إن الغدر ونقض العهد من صفات اليهود ومن طبائعهم في كل زمان ومكان فعندما جاء الرسول عليه السلام إلى المدينة كتب لليهود كتاباً أمثهم فيه على أرواحهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وحرىاتهم الدينية ، بشرط ألا يغدروا بالمسلمين ولا يخونوهم ولا يوءذوهم ولا يعينوا أحداً عليهم ، ولكن يهود كعادتها لم توف بعهودها ومواثيقها لأن الغدر طبيعتها ، فغدرت بالرسول وبصحابته الكرام مرات عديدة ، وفي مواقف شتى فكان من غدرها ونقضها للعهد أن جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمهن إلا نبي ، فقال عليه السلام : (سلوا

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء ٢ ، ص ١٣٧ - ١٣٨

عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة ما أخذ يعقوب على بنيه لكن أنا حدثكم عن شيء فعرفتموه لتتا بعنى على الإسلام فقالوا ذلك لك ، فقال عليه الصلاة والسلام ، (سلوا عما شئتم .) قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراه وأخبرنا كيف ماء المرأة و ماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (عليكم عهد الله لكن أنا أبيعتمك لتتابعني ؟ فأعطوه ماشاء الله من عهد وميثاق ، فقال ناشدتم بالذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديداً فظال سقمه منه ، فنذر الله نذراً لكن عافاه الله من مرضه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام والشراب إليه ، لحوم الإبل وألبانها) فقالوا : اللهم نعلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اللهم أشهد عليهم ، وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما عسلا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل .) قالوا : اللهم نعم ، قال اللهم أشهد ، وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه) قالوا : اللهم نعم قال : اللهم أشهد) قالوا : أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أونفارقك فقال : إن وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه .) قالوا فعندها نفارقتك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال فما يمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا إنما يأتي بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك . (١)

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٢٩ وسيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٣٧ .

١٣ - محاولة التفريق بين المسلمين بإثارة الأحقاد القديمة :

حينما باءت محاولات يهود بالفشل حيث لم يرتد المسلمون عن الإسلام رغم كل المحاولات والوسائل التي اتبعها يهود ، بل أخذ الناس يدخلون في الإسلام ويزداد يوماً بعد يوم ، بدأ يهود يفكرون في وسيلة أخرى لعلها تجدي ، وهي إثارة الأحقاد الدفينة بين الأوس والخزرج حيث كان بينهم عداوة شديدة ، وقتال عظيم قبل الإسلام وكان السبب في ذلك يهود حيث كانوا متبعين القول : فرق تسد . وهو أن يقوموا بالتفريق بينهم وبالمؤمنات ، والدسائس لكي تكون لليهود السيادة على الأوس والخزرج ، فكان لليهود ما أرادت ، وكان يوم بعثت **ﷺ** فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، فقتلا جميعاً . (١)

وأرادت يهود أن يكون لها السيادة في المدينة ولم يعجبها التأخي والحب الذي أحدثه الإسلام بين الأوس والخزرج ، فسعت إلى الوقيعه بينهم والتفريق ، فأرسلت شاس بن قيس ، وكان عظيم الكفر شديد الحسد والعداوة على المسلمين على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أفعالهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فقال قد اجتمع ملائ بني قيله بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذ اجتمع ملوئهم بها من قرار . فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم فقال أعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم أذكر يوم بعثت وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتشاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟) فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ، ص ١٤٦

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٣٨٩ ، وسيرة ابن هشام ج ٣ ، ص ١٤٧

٤١- محاولة بني النضير قتل الرسول عليه الصلاة والسلام :

بعد إجماع بني قريظة عن المدينة استمر الرسول عليه الصلاة والسلام في عهد مع بني النضير وبني قريظة ، ذلك العهد الذي أخذه حينما وصل إلى المدينة من موادعتهم ، وإقرارهم على أوضاعهم ، وتأمينهم على حريتهم الشخصية والدينية والمالية ، مقابل ذلك اشترط عليهم شروطاً وهي عدم الغدر والخيانة ومساعدة الأعداء ، والإستمرار على ما كان عليه أهل المدينة من التعاقل في الديات حيث كان يشترك في ذلك العرب ويهود لأنهم حلفاء ، فأقر ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن يهود بني النضير ، وبني قريظة كانوا يدبرون في الخفاء الكيد والمكر والخداع لما كان في قلوبهم من حقد وحسد على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين ، وكان من ذلك المكر محاولة بني النضير قتل الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم لكي يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية ومعهم جماعة من الصحابة فيهم أبو بكر وعمرو علي ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نعم نعينك على ما أحببت ثم تأمروا فيما بينهم على قتله وهو جالس إلى جنب جدار ، فقالوا : من يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة ، فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جماش ، فنهاهم عن ذلك العمل سلام بن مشكم ، وقال لهم : إنه يعلم أي الرسول عليه السلام ، فلم يستجيبوا لقوله ، وصعد عمرو بن جماش ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما دبروه له من قتل ، فقام إلى أصحابه ، وقال : لا تبرحوا حتى آتيكم وعاد مسرعاً إلى المدينة ، فلما تأخر قام الصحابة رضوان الله عليهم في طلبه فأخبرهم بما حدث ، وأمر المسلمين بحربهم ، ونزل بهم فتحصنوا في الحصون فقطع النخل ، وأحرقها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وإحراقها !

وأرسل عبد الله بن أبي وجاعته إلى بني النضير أن يثبتوا ويمتنعوا فانهم لن يسلموهم ، وإن قوتلوا يقاتلوا معهم ، وإن أخرجوا يخرجوا معهم ، وانتظر بنو النضير مساعدة عبد الله بن أبي وجاعته ، ولكنهم لم يساعدوهم وتخاذلوا عنهم ، فأنزل الله في قلوب بني النضير الرعب ، مما جعلهم يطلبون من الرسول عليه السلام أن يجليهم ، ويكف عن دماءهم ، على أن لهم

ما حملت الابل من أموالهم إلا السلاح ، فأجابهم الرسول عليه السلام إلى ما طلبوه ، فاحتلوا من أموالهم ما استطاعت حملة الإبل وكان الرجل منهم يهدم بيته من شجاف بابه ، ويضعه على ظهر البعير ، وينطلق به ، وخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام (١)

١٥ - تأليب المشركين ضد الرسول عليه الصلاة والسلام ضد المسلمين :

لم تهدأ نفوس يهود من الحقد على الرسول عليه السلام ، وعلى المسلمين بل أخذوا يدبرون مكائد أخرى للإنتقام منه بعد إخراجهم من المدينة وطردهم منها فذهب نفر منهم وهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيي بن أخطب النضري وكنانه بن أبي الحقيق النضري ، وهوذاه بن قيس الوائلي ، وابوعمار الوائلي إلى نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، حتى قدموا مكة فدعوا قريشا إلى حرب الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا لهم : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت يهود بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فلما قالت ذلك يهود فرحت قريش ، وسرهم ذلك القول ونشطوا لما دعوهم إليه يهود من محاربة الرسول عليه السلام ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود إلى غطفان فدعوهم إلى محاربة الرسول عليه السلام . وأخبروه أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم في ذلك واجتمعوا إليه وخرجت قريش ، وغطفان ومن تبعهم من المشركين لمحاربة الرسول عليه السلام في المدينة فلما سمع بهم الرسول عليه الصلاة والسلام ضرب خندقا حول المدينة . وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وقد كان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم فما زال به حيي يقنعه ويغريه ويمنيه حتى جعله ينقض العهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام ويسيراً مما كان بينه وبين الرسول من ميثاق وعهد وكان ذلك أثناء حصار المشركين للمدينة .

لقد حاصر المشركون المدينة بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر، ونقضت بنو قريظة العهد الذي بينها وبين الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان المسلمون آنذاك قد عظم فيهم البلاء واشتد الخوف، حيث أتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن. ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الفئات ولم تعقطع الأحزاب مداهمة المدينة رغم حصارها ما يقرب من الشهر حينئذ أرسل الله عليهم رياحا قوية، شديدة البرد، فصارت تكفى^١ قلوبهم، وتقوض خيامهم، وتطفى^٢ نيرانهم، وكان الله قد أفسد ما بين المشركين وما بين بني قريظة بمكيدة دبرها نعيم بن مسعود الغطفاني، وكان قد أسلم حديثا، فجاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وأخبره بأنه قد أسلم وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه يريد أن يأمره الرسول عليه السلام بما يشاء، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعه فخرج نعيم وأفسد ما بين المشركين وما بين بني قريظة من اتفاق وارتحل الأحزاب عن المدينة، وكفى الله المؤمنين القتال، وبقيت بنو قريظة في المدينة، فحاصروهم الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابه خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وحكم فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام بحكم الله، وهو قتل الرجال، وسبي النساء وتقسيم الأموال. (١) وهكذا باءت محاولات يهود بالفشل رغم كل الوسائل والمكائد التي دبروها وقاموا بها وتم النصر للإسلام والمسلمين حيث أيدهم الله بالظفر بالنصر والتأييد.

(١) سيرة ابن هشام جزء ٣، ص ١٢٧ - ١٢٨.

الفصل السادس

الرّد على اليهود

الفصل السادس

الرد على يهود

لقد علمنا مما تقدم من صفات اليهود وأخلاقهم بأنهم قوم ضربت عليهم الذلة والمسكنه وباءوا بغضب من الله، وذلك لأنهم كفروا بالله وحجداً به ووصفوه بصفات النقص التي لا تليق بجلاله وعظمته، كما عبادوا العجل، وقولهم: العزيز بن الله، ثم قتلهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم لله وللرسل، وعدم اتباعهم لما جاء في الكتب المنزلة إليهم حيث آمنوا ببعضها، وكفروا ببعض الآخر، ونقضهم للميثاق وإلياسهم الحق بالباطل، وسعيهم في الأرض بالفساد وطغيانهم، وكذبهم ومكرهم، وخذاعهم، وجبنهم، وقسوة قلوبهم، وأنهم كانوا يرون المنكر ولا ينكرونه إلى غير ذلك من الصفات السيئة التي أخبر عنها القرآن الكريم والتي استحقوا بسببها اللعنة والغضب من الله عز وجل .

والقرآن الكريم سيرد على اليهود وأعدائهم من الكفار والمشركين لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحميد .

لقد أرسل الله لكل أمة من الأمم السابقه رسولا وأنزل عليه كتابا ليستمد منه التعاليم الإلهية وتعمل به أمته ، كذلك أرسل الله موسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، وذلك لكي يتبعها بنو إسرائيل ويتذكروا أحكامها ، ويعملوا بما جاء فيها . قال تعالى : (إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .) (١) ولكن بني إسرائيل حرقوا التوراة وبدلوها ، ونسوا ما أخذ الله عليهم من عهد وميثاق بأن يقولوا على الله الحق ، وأن يطبقوا ما جاء فيها من أحكام قال تعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة

منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١)
 وقال : (فخلّف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنسى
 ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق
 الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين
 يتقون أفلا تعقلون .) (٢)

وقال : (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا هم لا يؤمنون الذين عاهدت
 منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون .) (٣)
 من الآيات السابقة تبين لنا كيف بدل بنو إسرائيل التوراة ، وحرفوها ، ولم
 يلتزموا بأوامر الله ، وشرعه وكيف نقضوا الميثاق ، وكفروا بالله ، وعصوه ،
 وهذه الصفات والأخلاق الرزيلة لا يزالون عليها حتى وقتنا الحاضر يتوارثونها
 جيلا عن جيل حتى تقوم الساعة .

يقول ابن حزم : (إن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر
 اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة ،
 ومبدلة ، وسائر اليهود يقولون : أن التي بأيدي السامرية محرفة ومبدلة .) (٤)
 فاليهود حرفوا التوراة ، وبدلوها بما يناسب أهواءهم يشهد بذلك القرآن
 الكريم كما يشهد بذلك اليهود أنفسهم حيث يعتقد السامريون أن التوراة
 التي عند سائر اليهود محرفة ومبدلة ، وسائر اليهود يعتقدون بأن التوراة
 السامرية محرفة ومبدلة كذلك وكلاهما على حق في ما يقوله عن الآخر . (٥)
 والمحرفون لهذه التوراه هم الأحيار الذين كانوا يحرمون ما أحله الله ويحلون
 ما حرمه الله ، وذلك لكي تكون لهم المناصب والرياسة ، والأموال بالباطل .
 أما التوراة العبرية الموجودة الآن فهي من كتابة عزرا .

(١) المائدة آية ١٣

(٢) الاعراف آية ١٦٩

(٣) الانفال آية ٥٥ - ٥٦

(٤) الفصل في المثل والنحل ص ١٧ جزء ١

(٥) وقد حقق الدكتور احمد السقا التوراه السامرية وبين الفروق بينها
 وبين التوراه العبرية وهي موجوده في المكتبات .

قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا سبحانه عما يشركون . يريسون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .) (١)

يقول ابن كثير : (وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار يوم القيامة لا ينصرون .) (٢)
والقرآن يرد على الأباطيل والتحريفات التي يعتقدها يهود بناء على ما جاء فى التوراه المحرفه المبدله .

تقول التوراة : (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الجيئين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والعزيريين والحوبيين ، واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم إلهك أمامك ، وضربتهم فإنك تحرمهم ، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم .) (٣)

فهؤلاء الكذبه يصورون الله فى صورة المدمر الذى لا يرحم ، والذى يوصي بعدم قطع العهد ، وبعدم الشفقة .

تنزه الله عما يقوله الكافرون وعما يصفونه من صفات النقص وهو أعدل العادلين وأرحم الراحمين ، فهو الذى أنزل رحمة واحدة فى الكون وأبقى ليوم القيامة تسعا وتسعين . فالله عز وجل له صفات ولكن ليست كصفات البشر إنما صفات تليق بجلال الله وعظمته لقوله تعالى : (ليس كمثله شئ) وهو السميع البصير .) (٤)

(١) التوبة آيه ٣١ - ٣٤

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٥١

(٣) التثنيه اصحاح ٧ ، ص ٢٩٠

(٤) الشورى آيه ١١ .

فالإسلام يأمر بالإيمان بهذه الصفات والأسماء التي وردت في القرآن الكريم وفي السنن من غير تحريف ولا تبديل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل ، والله عز وجل يأمر بالرحمة والشفقة والوفاء بالعهد فكيف يأمر بها ويوصي بني إسرائيل بعدم العمل بها .

وأما كذبهم وافتراءهم على الله وذلك بزعمهم أن الله لا يعلم ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه ويعلمون بيوت بني إسرائيل حتى لا يصيبها الهلاك واستشهدوا بما ورد في التوراة المحرفة التي تقول : (إني أجتاز أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب ويكون الدم علامة ^{علي} البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضرب للهلاك حين أضرب أرض مصر .) (١)

ونرد عليهم بأن الله عالم الغيب والشهادة عالم السر والجهر العليم بما تخفيه الصدور ويصفه بنو إسرائيل بعدم العلم ، وبأن اليهود يرشدون وهو العليم المحيط بكل شيء في هذا الكون . هل يقول هذا القول عاقل ؟

قال تعالى : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهاري .) (٢)

فإله عز وجل يخبرنا عن إحاطة علمه وتمامه وشموله بكل ما يحدث في الأرحام من حمل من حيث كونه ذكرا أم أنثى وكل ما يحصل في الأرحام من زيادة ونقصان ، ويعلم كل ما يشاء هذه العباد ، وما يغيب عنهم ، فهو العالم بكل ما يحصل في هذه الدنيا من أفعال وأقوال ، ويعلم ما يحصل في الآخرة من حساب وجزاء ، وأن علمه محيط بجميع خلقه وذلك سواء عنده من جهر بالقول أو الفعل أو من أخفاه فإن الله يعلمه فهو العليم الخبير بما في الصدور . أوصفه بنو إسرائيل بعدم العلم ؟ فكم كذبه مفترين على الله .

وأما الرد على قولهم بأن الإله يأمر بالسرقه حيث طلب من بني إسرائيل أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعته من الفضه

(١) خروج اصحاب ١٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٢) الرعد آية ٨ - ١٠

والذهب ، وإعطاء الرب نعمه للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين .

فنقول لهم : إذا كان إنسان لديه عقل بسيط لا يأمر بالسرقه فكيف يأمر الإله بني إسرائيل أن يسرقوا المصريين ؟

ولقد حرم الله السرقة ، وجعل لها عقوبة محدوده ذكرها الله في القرآن وهي قوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم .) (١)

إن الفرق كبير بين القرآن الكريم المنزل من عند الله وبين التوراة المحرفه التي حرفها البشر ، فالقرآن حرم السرقة ، وجعل لها عقوبة وضحا الشرع وهي : قطع اليد اليمنى ثم إذا عاد إلى السرقة ثانية تقطع رجله اليسرى ثم إذا عاد إلى السرقة ثالثة تقطع يده اليسرى ثم إذا عاد إلى السرقة رابعة تقطع رجله اليمنى . (٢)

وأما الرد على قولهم بأن الإله يسير في عامود سحاب . حيث تقول التوراه : (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عامود سحاب ليهدى بهم في الطريق وليلا في عامود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا .) (٣)

ف نجد التوراه المحرفه وصفت الإله بصفات البشر وهي المشي أمامهم نهسا في عامود سحاب ، وفي الليل في عامود نار ليضيء لهم . وهذا بالطبع كذب وافتراء ، فالله عز وجل لا يسير أمامهم لأنه في السماء (لا تدركه الأبصار وهو يدركها .) (٤)

يقول القرآن الكريم : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور

(١) المائدة آيه ٣٨ - ٣٩

(٢) المغنى جزء ١٠ ، ص ٢٦٤

(٣) خروج الاصحاح ١٣ ، ص ١٠٩

(٤) الانعام آيه ١٠٣

يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (١)
 قاله عز وجل يهدي أهل السماء والأرض وهذا معنى الله نور السموات والأرض . يقول السدي ، الله نور السموات والأرض فنوره أضاءت السموات والأرض ومعنى قوله تعالى : (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يرشد ويدل إلى الهداية والرشاد . من يختاره ، وليس معناه أن يسير أمامهم في عامود سحاب نهاراً وفي عامود نار ليلاً ليدلهم كما جاء في التوراه المبدله .
 وأما الرد على قولهم بأن الله يخطي ، ثم يندم :

قاله صاحب الإرادة والقدرة والاختيار وصاحب الحكمة في ما يصنع العليم الحكيم الخبير تصفه التوراه بأنه يخطي ، ثم يندم على الخطأ . حيث تقول التوراه : (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .) (٢)

إن الخطأ لا يكون إلا من البشر لأنهم ليس لديهم الإرادة والقدرة والاختيار التام وذلك لأن إرادتهم وقدرتهم واختيارهم تابعه لله عز وجل ، وكذلك ليس لديهم الحكمة والخبره لأنها من صفات الله العليم الخبير الحكيم المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص ، فالله عز وجل لا يخطي ، ولا يندم على الخطأ لأن الخطأ من صفات البشر أما الله فهو الخالق لكل ما في الكون وكل ما في الكون مخلوق لله عز وجل وهو به عليم . قال تعالى : (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم .) (٣)

قاله المتصف بهذه الصفات لا يندم على ما يفعل ، بل الذي سيندم المحرفون للتوراه والمبدلون لها وذلك يكون يوم القيامة .
 وأما الرد على قولهم ، بأن موسى عليه السلام ينصح الإله بعدم الغضب ، والندم على الشر الذي فعله بالشعب .

حيث تقول التوراه المحرفه : (فتضرع موسى أمام الرب إليه وقال لماذا يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . . . أرجع عن حموغضبك

(١) النور آيه ٣٥

(٢) خروج الاصحاح ٣٢ ، ص ١٤٠

(٣) الأنعام آيه ١٠٧

واندم على الشر . (١)

أَيكون إلهها الذي يندم على فعله ، ويقبل النصح من غيره ؟
إنه من كانت صفته كذلك ، فلا يستحق أن يكون إلهها ، والله منزّه عما يقوله الكافرون وصدق الله حيث يقول : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون .) (٢)
وبين الله جهود وكفر بني إسرائيل ، حيث دعاهم موسى عليه السلام للإيمان بالله وحده لا شريك له وعبادته ، وقد أظهر لهم المعجزات الدالة على صدقه ، والتي كان منها نجاتهم من فرعون ، وآله ، وإغراق فرعون وصحبه ، ورغم ذلك ، فقد طلبوا من موسى أن يتخذ لهم أصناما يعبدونها ، وذلك حينما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم ثم مالبتوا أن عبدوا العجل حينما ذهب موسى لمناجاة الله .

قال تعالى : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغىكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين .) (٣) . وقال : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلات جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهدى بهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين .) (٤) .

وقال : (وأشربوا في قلوبهم العجل يكفرهم .) (٥)

وأما الرد على قولهم : بأن إلهه يتعب ويستريح ويتنفس .-

حيث تقول التوراه : (في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس .) (٦)

(١) خروج اصحاح ٣٢ ص ١٤٠

(٢) الزمر آية ٦٧

(٣) الاعراف آية ١٣٨ - ١٤٠

(٤) الاعراف آية ١٤٨

(٥) البقره آية ٩٣

(٦) خروج اصحاح ٣٤ ، ص ١٤٤

فيرد القرآن على كذب هؤلاء بأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولم يصبه التعب لأنه القوي العظيم القدير، والضعف من صفات النقص التي تصيب البشر، والله منزّه عن صفات النقص فهو الكامل في كل شيء الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.

قال تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب .) (١)

وأما الرد على قولهم بأن الإله يستيقظ من مسكن قدسه: حيث تقول التوراة: (أسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه .) (٢)

فيرد القرآن الكريم على كذب التوراه المحرفه: بأن الله لا يأخذ النـوم ولا النعاس لأن هذه الصفات من صفات البشر والله ليس كالـبشر.

قال تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .) (٣)

وأما الرد على قولهم: بأن الله خلق آدم على شبهه.

حيث تقول التوراه: (وقال الله نعمل إنسانا على صورتنا كشبهنا، فيتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأُنثى خلقهم .) (٤) وقال: (اصنع أبناء آدم كصورتنا كشبهنا) (٥)

ويرد الله على هؤلاء الكاذبين بأن اللـه ليس له شبيه ولا مثل حيث يقول:

(ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .) (٦)

(١) ق آيه ٣٨

(٢) زكريا الاصحاح ٢، ص ٤٢

(٣) البقره آيه ٢٥٥

(٤) تكوين الاصحاح ١، ص ٤

(٥) الفصل في الملل والنحل جزء ١، ص ١١٧

(٦) الشورى آيه ١١

ولا يمكن لعاقل أن يقول : بأن الخالق العظيم العليم القدير الخبير ، كالمخلوق الضعيف المخلوق من ماء مهين حقير . وهل من المعقول أن يكون الخالق كالمخلوق ؟

وأما الرد على قولهم : بأن الله له أولاد يدخلون ببينات آدم فيلدن الجابرة : حيث تقول التوراة : (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا . . . وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر .) (١)

ما أقبح هؤلاء القوم وما أضلهم أيكون لله أولاد وهو الغني الصمد الذي لا يحتاج للولد ولا لأي مخلوق في الكون حيث كل المخلوقات محتاجة إليه . ويرد القرآن الكريم عليهم بقوله : (قل هو الله احد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .) (٢) وقوله : (وأن تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا .) (٣) .

فتعالى الله عزت قدرته وهو العظيم الغني أن يتخذ زوجة وأن يكون له أولاد فالإنسان هو الذي يحتاج إلى الزوجه والأولاد أما الله عز وجل فهو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في قضاء حوائجها .

وأما الرد على قولهم : بأن الله يكذب حيث وعد أن يفدي قبايل إلى سبعة ولم يفده . (٤) تنزه الله عما يقوله الكافرون ، فالله عز وجل إذا وعد لم يخلق ، وهو القائل في القرآن : (وعد الله لا يخلف الله الميعاد .) (٥) .

يقول ابن حزم : (إن ذكر السبعة هنا حمق لأن لأمك الذي قتله هو الخامس من ولد قابين ، وقابين هو الخامس من آباء لأمك فلأم دخل للسبعة ههنا .) (٦)

(١) تكوين الاصحاح ٦ ، ص ١٠

(٢) الاخلاص آيه ١ - ٤

(٣) الجن آيه ٣

(٤) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٢١

(٥) الزمر آيه ٢٠

(٦) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٢١

فهو لا هم الكذب وليس الله عز وجل ، فالله قد حرم الكذب فكيف يحرمه ويقوم به ؟
 فالله عز وجل هو أصدق الصادقين فهو الحق ، وقوله الحق ولا يأمر إلا بالحق
 والصدق حيث جاء في القرآن : (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
 وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاهلين) (١)
 وقال : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فسي
 أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون .) (٢)

والرد على قولهم : (إن ساره تكذب الله وتراجعه :
 حيث قالوا : إن الله تعالى قال : إن ساره ضحكت ، وقالت ساره : لم أضحك
 فقال : بلى قد ضحكت .

يقول الإمام ابن حزم : فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء ، وحاشا لساره
 الفاضله المنبأه من الله عز وجل بالبشاره من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول
 وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت فتجمع بين سواتين إحداهما كبرى
 من الكبائر ، وقد نزه الله الصالحين عنها فكيف الأنبياء ، والأخرى أدهى
 وأمر وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ
 بالله من الضلال . (٣)

والرد على قولهم ، أن إبنتي لوط تسقيان والدهما الخمر لكي يزني بهما
 وينجبا منه نسلا . حيث قالت إبنة لوط الكبرى لأختها الصغرى أبونا شيخ
 وليس أحد يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق أبانا الخمر ونضاجعه ، ونستبق
 منه نسلا ، فسقتا أباهما الخمر وضاجعت الكبرى أباهما ، ولم يعلم بذلك ،
 فحملت منه وكذلك فعلت الصغرى ما فعلته أختها فحملت من أبيها فولدت
 الكبرى إبنا اسمه مؤاب وهو أبو المؤمنين إلى اليوم وولدت الصغرى إبنا
 سمته ابن عمي وهو أبو العمونين . (٤)

(١) الزمر آية ٧٤

(٢) الأحقاف آية ١٦

(٣) الفصل في المثل والنحل جزء ١ ، ص ١٣٢

(٤) تكوين اصحاب ١٩ ، ص ٢٩

هذا الكلام فى غاية الحق والكذب أترى انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الأرض أحد يضاجعهما ؟

وهل يسمح الله لنبيه بأن يفعل الفاحشه مع ابنتيه ؟؟ فان قيل لا لوم عليه فى ذلك لأنه كان سكران ولم يعلم بذلك . فكيف عمل إذ رأها حاملتين واذ رأها قد ولدتا ولدين غير شرعيين ثم تربيان أولاد الزنا ؟ ثم اطلاقهم على الله تعالى أنه ينسب أولاد ذينك الزنيمين فرهب الزنا إلى ولادة لسوط عليه السلام حتى ورثهما بلدين كما ورث بنى إسرائيل وبنى عيسو سواء بسواء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فان قيل إن الزنا كان مباحا قلنا لهم فقد صح النسخ الذي تنكرونه . (١)

وهذا مجرد فرض لأن الزنا لم يكن حلالا فى أي شريعة من الشرائع بل كل الشرائع السماويه حرمته .

والرد على قولهم : بأن يعقوب يسرق ويغش، ويخدع أخاه عيسولكي يأخذ منه البكوريه والبركه . (٢)

فهذه الأفعال لا يمكن أن تصدر من إنسان عاقل حتى مع الأعداء ، فكيف يصدر ذلك من نبي مع أخيه النبي ، والله عز وجل قد عصم الأنبياء من الخداع والكذب والغش ، ومن الذنوب الصغيره والكبيره ، ولكن هذا الكذب وخداع من هؤلاء الكفره الضالين وصدق الله حيث يقول : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .) (٣)

والرد على قولهم : بأن يعقوب عليه السلام صارع الله وانتصر يعقوب على الله حيث جعله يمشي وهو يعرج من رجله ، وقال الله ليعقوب إن كنت قويا على الله فكيف على الناس ، ولذلك سمي يعقوب إسرائيل ، حيث معنى إيل : إله ، وأسرأى قهر أي قهر الإله . (٤)

ما أكذب هؤلاء القوم وما أضلهم ، أيعجز الله القوي العزيز خالق السموات والأرض ومن فيهن المالك لها على قهر يعقوب المخلوق الضعيف الذي

(١) الفصل فى المثل والنحل جزء ١ ، ص ١٣٤

(٢) التكوين من ٢٨ - ٢٩

(٣) البقره آيه ٩

(٤) الفصل فى المثل والنحل جزء ١ ، ص ١٤٢

خلقه الله من ماء مهين حقير ؟ وهل يمكن لأي مخلوق في هذا الكون أن يصارع الله أو يجزئ على ذلك ؟

ولكنهم كاذبون خادعون ضالون طاغون ، لذلك استحقوا اللعنة والخزي من الله نتيجة كفرهم وضلالهم وتحريفهم وإلباسهم الحق بالباطل .

قال تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .) (١)
وقال : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .) (٢) .

وأما الرد الله على قولهم : بأن راء وبين يضاجع سرية أبيه بلهة وهي أم أخويه دان ونفثالى . وقولهم أن :

يهودا يطلب الزنا من امرأة مقابل جندي " يعطيها إياه وقد لقيها في الطريق ، وكانت هذه المرأة زوجة رابنه وهو لا يدري ، فحملت منه ولما علم بأنها حامل أراد حرقها ، وحينما علم بأنها حامل منه أسقط الحكم عنها وهسذه المرأة هي جدة داوود وسليمان عليهما السلام . (٣) وقولهم أن :

يعقوب يتزوج بأمرأة فدمست اليه أخرى ليست أمراة فولدت له أولادا منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء . (٤) وقولهم أن :

داود يزنى جهارا بأمرأة رجل من جنده فحصنة ، وزوجها هي وأنها ولدت من ذلك الزنا إبنا مات ثم بعد ذلك تزوجها فأنجبت له سليمان عليه السلام . (٥)

هذه نماذج مماورد في التوراه المحرفه التي حرفها شر ذمة البشر بعون من الشيطان الذين لا يعرفون شيئا عن عصمة الأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم

(١) البقره آيه ٦٣ (٢) البقره آيه ١٦

(٣) تكوين الاصحاح ٣٨ ، ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ٤٧

(٥) صمويل الثاني اصحاح ١١ - ١٢ ، ص ٤٩٧ - ٤٩٩

ليكونوا هداة للأمم يهتدي بهم ويقتدي أثرهم وصدق الله حيث يقول : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) . ويقول : (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) (٢) ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس .) (٣) وأن من ينسب العيب إلى الرسل الكرام فكأنما ينسبه إلى الله عز وجل ، ولكن هذا يهون بالنسبة لما وصفوا به الله عز وجل ، فقد وصفوه بصفات النقص التي لا تليق بجلاله وعظمته تنزه الله وتقدس عما يقوله الكافرون عنه وعن رسالته الكرام .

وأما كذبهم وقولهم : بأن الله قال لموسى : (قل لفرعون السيد يقول : إسرائيل بكر ولدي ، ويقول لك الإذن لولدي ليخذ مني وإن كرهت الآن سأهلك بك ولدي .) (٤) .

وكذلك ما حكاه القرآن عنهم وقولهم : (وقالت اليهود عزيز ابن الله) (٥) فحاشا لله أن يكون له ولد وهو الغني الذي لا يحتاج للولد فالإنسان لضعفه يحتاج للولد أما الله فهو الصمد الذي تقصده كل الخلائق لقضاء حوائجها وهو لا يحتاج إلى أحد .

قال تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .) (٦)

وقال : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا .) (٧) .

(١) الانعام آية ٢٤

(٢) ص آية ٤٧

(٣) الحج آية ٧٥

(٤) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٥٣

(٥) التوبة آية ٣٠

(٦) الاخلاص آية ١ - ٤

(٧) الاسراء آية ١١١

ولقد رد الله عليهم بقوله : (ذلك قولهم بأفواههم يضايعون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أتى يوفى فكون .) (١)
 فنسبتهم الولد إلى الله مأخوذ من أقوال الوثنيين من قبل .
 وقد بين الله إجرام الذين قالوا : بأن لله ولداً، فهذا القول تكاد السموات تتفطر وتتشقق الأرض من هولته، فهو قول عظيم في الكفر .
 قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً .) (٢) .

والله عز وجل قد تنزه عن اتخاذ زوجة فكيف يكون له ولد ؟ وهو القائل :
 بديع السموات والأرض أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيئاً
 وهو بكل شيئاً عليم . (٣)

وقال : (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً .) (٤)

والرد على قولهم : أن هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل لكي يعبدوه . (٥) : فما شاء الله أن يكون هارون الذي صنع لهم العجل لكي يعبدوه ، فهو رسول وأخو رسول من أولي العزم ، فالذي صنع لهم العجل السامري يشهد بذلك القرآن الكريم حيث يقول : (قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحوّل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها كذلك ألقى السامري فأخرج لهم

(١) التوبة آية ٣٠

(٢) مريم آية ٨٨ - ٩٣

(٣) الأنعام آية ١٠١

(٤) الجن آية ٣

(٥) خروج الاصحاح ٣٢، ص ١٣٩ - ١٤٠

عجلا جسدا له خوار فقال : هذا الهك وإله موسى فنسى . أفلا يــــرون
 أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هــــارون
 من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا
 لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال ياهارون ما منعك
 إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أف عصيت أمري . قال : بينوهم لا تأخذ بلحيتي
 ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي : قال
 فما خطبك ياسامري . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثــــر
 الرسول فنبتتها . وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فإن لك في الحياة
 أن تقول لا ماساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى الهك الذي ظلمت
 عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسا ، وإنما الهك الله الذي لا إله
 إلا هو وسع كل شيء علما . (١)

فرد الله على اليهود وبين لهم بأن السامري هو الذي صنع لهم العجل
 وليس هارون .

والرد على قولهم : بأن الله جعل موسى إليها لفرعون وأخاه هارون نبيا .
 حيث تقول التوراه : (فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إليها لفرعون وهارون
 أخوك نبيا .) (٢)

يرد القرآن عليهم مبينا كذبهم وضلالهم بقوله : (اذ هبا إلى فرعون إنه طغى .
 فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا
 أو أن يطغى . قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى . فأتياه فقولا إنا رسولا
 ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام
 على من اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى
 قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .) (٣)
 لقد بينت هذه الآيات المباركات بأن الله أرسل موسى وهارون رسلا إلى
 فرعون وليس موسى إليها ، وحينما سأل فرعون موسى من ربه ؟ قال له : ربنا الذي
 أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ولم يقل له أنا كما تدعي التوراه المحرفة .

(١) طه آيه ٨٥ - ٩٨

(٢) خروج الاصحاح ٧ ، ص ٩٦

(٣) طه آيه ٤٣ - ٥٠

والرد على قولهم: بأن سليمان عليه السلام يعصى الله ولم يستمع إلى أوامره حيث يتزوج من النساء التي نهى الله من التزوج منهن، فأمالوا قلبه عن الله إلى آلهتهن حيث صنع سليمان الشرفى عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداوود أبيه. (١)

فيرد القرآن على قول هؤلاء الكاذبين بقول الهدد لسليمان عن أهل سبأ: (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .) (٢) وكذلك قول بلقيس ملكة سبأ: (قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .) (٣) فلم تقل بلقيس أنها آمنت بالآلهة التي تتحدث عنها التوراه، إنما قالت: آمنت بالله رب العالمين، حيث لا يوجد إله غير الله عز وجل .

ويرد الله عليهم مبينا كذبهم حيث يقول: (ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب .) (٤) ويقول: (وإنا له عندنا لزلفى وحسن مآب) (٥) ويقول على لسان سليمان: (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأد خلنى برحمتك فى عبادك الصالحين .) (٦) ويعدد الله أنبياءه فى قوله: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء، إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا من قبل ومن ذريته (داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون) وكذلك تجزى المحسنين .) (٧) . فبعد أن ذكر الله الأنبياء ومنهم سليمان عليه السلام قال: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .) (٨) .

(١) الملوك الاول اصحاح ١١، ص ٥٥٣ - ٥٥٤

(٢) النمل آيه ٢٥ - ٢٦

(٣) النمل آيه ٤٤

(٤) ص آيه ٣١

(٥) ص آيه ٤٠

(٦) النمل آيه ١٩

(٧) الانعام آيه ٨٣ - ٨٤

(٨) الانعام آيه ٩٠

فأله عز وجل جعل الأنبياء قدوة ويأمرنا باتباعهم فكيف يقع منهم ما أسنده اليهود إليهم من أعمال وأقوال باطلة . ؟

والرد على قولهم ، أن آمنون بن داوود يزنى بأخته ثامار . (١)

وأن نوح عليه السلام يسكر بعد شربه الخمر ، ويبصر عورته ابنه هَام (٢)

فنقول : إن هؤلاء الكاذبين لا يعرفون شيئاً عن عصمة الأنبياء الذين أختارهم الله واصطفاهم لرسالته ولهداية البشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وبما أن هؤلاء قد اقتروا على الله عز وجل فليس يبيد أن يفتروا على الرسل الذين هم عبيد الله ورسوله ، وبما أنهم قتلوا الأنبياء فليس يبيد عليهم وصفهم بهذه الصفات .

والرد على قولهم : أن الله اختار بني إسرائيل وفضلهم وميزهم على سائر البشر .

حيث تقول التوراه : (أنا الرب ، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي .) (٣)

وتقول : (أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون

له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس لكونكم أكثر

من الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم .) (٤)

وكذلك ما حكاه القرآن من قولهم : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء

الله وأحباؤه .) (٥)

فرد الله عليهم بقوله : (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر

للمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه

المصير .) (٦)

(١) صمويل الثالث عشر ص ٢

(٢) تكوين اصحاح ٩ ، ص ١٥

(٣) اللاويين - اصحاح ٢٠ ، ص ١٩١

(٤) التثنية اصحاح ٧ ص ٢٩

(٥) ، (٦) المائدة آية ١١٨

فرد الله على كذب اليهود بأنهم ليسوا أبناء الله وأحياءه ، بل هم بشر كغيرهم من خلق الله يغفر للمؤمن منهم ويعذب الكافر منهم والله هو المالك للسموات والأرض ومن فيهن والمتصرف فيهن كما يريد ، وإليه مصير كل الخلائق .

والرد على قولهم : بأن النار لا تصبهم إلا أياما معدودة .

قال تعالى عنهم : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة .) (١)

فرد الله عليهم بقوله : (قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدہ أم تقولون على الله ما لا تعلمون .) (٢) .

فبين الله كذب اليهود وسألهم هل أخذوا من الله عهدا بالألأ يعذبهم ، أم يقولون بلا علم . ؟ بلا شك هم كاذبون في قولهم وفي اعتقادهم لأن الله لم يعطهم عهدا على ذلك بل سيثيب المؤمن ويعاقب الكافر . قال تعالى : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وكملموا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون .) (٣)

فأله عز وجل جعل الثواب والعقاب بناءً على الإيمان والعمل وليس على الأُحساب والأنساب .

والرد على قولهم : يد الله مغلولة ، أى أن الله يخيل تعالى الله عن ذلك وتنزهه . فيقول القرآن عنهم : (وقالت اليهود يد الله مغلولة .) (٤)

فرد الله عليهم مبينا كفرهم وكذبهم بقوله : (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحسب المفسدين .) (٥) .

(١) ، (٢) البقره آيه ٨٠

(٣) البقره آيه ٨١

(٤) ، (٥) المائدة آيه ٦٤

هو " الكفرة الكذبة يصفون الله بالبخل وهم البخلاء الذين امتلأت قلوبهم حسداً وبغضا ، أما الله فهو صاحب الفضل والسعة والنعمة الذي عنده خزائن كل شيء " لاشريك له وهو الذي يرزق عباده المؤمن والكافر ليلا ونهارا بلا انقطاع .

وأما الرد على قولهم : (إن الله فقير ونحن أغنياء .) (١) فقد رد الله عليهم بقوله جل وعلا : (سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق .) (٢) تهديد ووعيد من الله بأنه سيكتب قولهم وقتلهم للأنبياء بلا ذنب اقترفوه وبأنه سيجزيهم على ذلك عذاب النار .

ولقد رد الله على شبههم التي آثاروها عند تحويل القبلة : بقوله : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله الشرق والغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .) (٣)

يعلم الله رسوله عليه السلام أن يرد على هؤلاء السفهاء من اليهود ومن على شاكلتهم المعترضين على تحويل القبلة بأن الجهات كلها لله عز وجل وهو المتصرف فيها بحكمته وعلمه وإرادته ، وليس لأحد أن يعترض على ذلك . وقد بين الله الحكمة من تحويل القبلة إلى الكعبة وهي : حتى يظهر ويتبين من يطيع الرسول ويتبعه ، ومن يعصيه ولا يتبعه .

قال تعالى : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .) (٤)

وقد بين الله أثر تحويل القبلة في نفوس المؤمنين عن غيرهم من الكافرين . قال تعالى : (وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله .) (٥)

يقول الله لرسوله عليه السلام : (إنما شرعنا لك التوجه إلى بيت المقدس وأولا ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك

(١) ، (٢) آل عمران آية ١٨١

(٣) ، (٤) ، (٥) البقرة آية ١٤٢ - ١٤٣ .

حيثما توجهت ممن يرتد عن دينه وإن كانت لكبيرة وهى صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة ، وإن كان هذا الأمر عظيما فى النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول عليه السلام وأن كل ما جاء به حق لا مريّة فيه ، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يكلف عباده بما يشاء وينسخ ما يريد ، وله الحكمة البالغة التامة فى جميع ذلك بخلاف الذين فى قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا . (١)

ولقد رد الله على يهود الذين شككوا المسلمين فيمن مات منهم وهو يصلي إلى المسجد الأقصى بقوله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) (٢) أي أن الله لا يضيع أجر صلاة من مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ، بسبب أجره عند الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . وقد أخبر الله رسوله عليه السلام بأنه لو جاء لليهود ومن على شاكلتهم من الكفار بالأدلة والبراهين على أن ما جاء به هو الحق لم يتبعوه عنادا وكبرا وحسدا منهم .

قال تعالى : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين .) (٣) يخاطب الله رسوله عليه السلام ، والخطاب للمسلمين جميعا ، وجاء الخطاب فى صيغة تهديد ووعيد بعدم اتباع آراء اليهود التابعه من هواهم وشهواتهم فلو اتبع الرسول عليه السلام وهو أفضل البشر أهواء أهل الكتاب ورغباتهم لجازاه كما يجازي الظالمين .

ثم بين الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين بأن أهل الكتاب من يهود ونصارى يعرفون النبي عليه السلام معرفه حقيقه يقينيه ، كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يكتُمون معرفته وصفته الحقه الموجوده فى التوراة والإنجيل ، ويعرفون أن ما جاء به هو الحق ، ولكنهم لا يؤمنون به حسدا وعنادا وكبرا لأنه من العرب وليس من بنى إسرائيل .

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١٩١

(٢) البقرة آية ١٤٢

(٣) البقرة آية ١٤٥

قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .) (١) .
قاله عز وجل يخبر الرسول عليه السلام والمؤمنين بأن ما جاء به من الوحي ومن تحويل القبلة هو الحق الذي ليس فيه شك ، وأن ما يقوله اليهود وأعوانهم من أهل الكفر والضلال : هو الباطل فلا يلتفت إلى أقوالهم لأنها كذب وفيها الكفر والجحود بالله عز وجل .

ولقد رد الله على اليهود الذين أثاروا الوقيعة والفتنة بين المؤمنين ، وحذر المؤمنين منهم وبين لهم كيدهم ومكرهم ووخ اليهود على أفعالهم السيئة التي فعلوها بالمؤمنين ، وبين لهم الطريق المستقيم الذي يتبعوه لكي يكونوا مهتدين .

قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله ، فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .) (٢)

يقول ابن كثير : في هذه الآيات تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم وكفرهم بآيات الله وصددهم عن سبيل الله من أراد من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم أن ما جاء به الرسول حق من عند الله ، وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه ، وما بشروا ، ونوهوا به من ذكر النبي الأمي وخاتم الأنبياء ، وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر بالتكذيب والجحود

(١) البقرة آية ١٤٦ - ١٤٧

(٢) آل عمران آية ٩٩ - ١٠٣

والعناد ، فأخبرهم الله بأنه ليس بغافل عما يعملون ، وسيجزئهم على ذلك ^{بوع} لا ينفذ مال ولا بنون ، ثم يحذر الله المؤمنين أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم من إرسال رسوله ويودون لو يردونكم بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم . ويقول الله عز وجل : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .) يعنى الكفر بعيد منكم فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم ، ومن يعتصم بالله يتوكل عليه يهده ويبدله ويسدده إلى الطريق المستقيم وهو طريق الإيمان . ويأمر الله المؤمنين بتقواه حق التقوى وأن يجاهدوا في سبيله حق جهاد ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا بالقسط . ويأمر الله المؤمنين بالاعتصام بعهد الله وبالقرآن وبالجماعه وعدم التفرق وأن يتذكروا نعمة الله عليهم حينما كانوا أعداءً فآلف بين قلوبهم ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها بهدايتكم إلى الإيمان . (١)

فأله عز وجل يأمر المؤمنين جميعا في كل عصر من العصور بالاعتصام وعدم التفرق كما كان شأنهم في الجاهلية أعداءً متقاتلين ، وألا يستمعوا إلى الأعداء من اليهود وغيرهم الذين يريدون إثارة الفتن والتفريق بين المؤمنين لتكون لهم السيادة كما يقال : فرق تسد .

ولقد رد الله على يهود الذين سألوا الرسول عليه السلام قاصدين بذلك إخراجهم وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وإظهار الرسول عليه السلام أمامهم بمنظر العاجز عن إجابتهم . ومن هذه الاسئلة أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما أنزلت التوراة مكتوبة على موسى .

قال تعالى عنهم : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء .) (٢)

فرد الله عليهم موبخاً لهم ومسلماً للرسول عليه السلام بأن لا يحزن فقد سأل أجداد هؤلاء من موسى أكبر من ذلك وهى : رؤية الله عز وجل عياناً بأبصارهم وأن حاضر هؤلاء كما ضي آباؤهم وأجدادهم وهو العناد والكبر والعنت .

قال تعالى : (فقد سألو موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .) (٣) وكان نتيجة تبجحهم مع الله عز وجل ومعرسولسه

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٣٨٧-٣٨٩ ، (٢) ، (٣) النساء آية ١٥٣

أن أرسل عليهم صاعقة بسبب ظلمهم وطغيانهم . ورغم الأدلة والمعجزات والبراهين التي أتى بها موسى دليلاً على صدقه اتخذ بنو إسرائيل العجل ، فعبدوه من دون الله فعفيا الله عنهم بسبب توبتهم التي تابوها الى الله وذلك بقتل أنفسهم ، وأعطى الله موسى الحجج والمعجزات الواضحة . قال تعالى : (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً .) (١) .

ولقد بين الله جحود بنى إسرائيل وعنادهم في قوله تعالى : (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً .) (٢)

يقول ابن كثير : (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وذلك حين امتنعوا عن الإلتزام بأحكام التوراة ، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام رفع الله على رؤوسهم جبلاً ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم كما قال تعالى : (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة .) (٣) .

ولكن بنى إسرائيل كعادتهم نقضوا العهد الذي أخذه الله عليهم فلم يدخلوا باب مدينة بيت المقدس خاضعين طائعين شاكرين لله بل خالفوا ما أمرهم الله به من القول والفعل ، وتحايلوا على صيد الحيتان التي نهاهم الله عن صيدها يوم السبت ، وتكثروا عهودهم وكفروا بالله وقتلوا الأنبياء بلاحق وبلاذنب وارتكبوا السيئات والمعاصي والذنوب لذلك عاقبهم الله باللعنة والخزي والذل والسكنة والغضب من الله في هذه الدنيا ويوم القيامة العذاب العظيم .

قال تعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً .) (٤)

(١) النساء آية ١٥٣

(٢) النساء آية ١٥٤

(٣) تفسير ابن كثير جزء ١ ص ٥٧٣

(٤) النساء آية ١٥٥

لقد بينت لنا الآيات السابقة بعضاً من صفات اليهود القبيحة اللازمة لهم على مدى الدهور .

ومن المسالك الخبيثة الحقيرة التي اتبعتها يهود التلاعب بأحكام الله ، ومحاولتهم بذلك أن يفتنوا الرسول عليه السلام .

لقد استعمل اليهود كل ما يملكونه من مكر و خداع و خبث للتكيد بالإسلام والمسلمين ومن ذلك التقاضى عند الرسول عليه السلام آملين أن يقضى ويحكم بينهم بغير ما أنزل الله فيشيعوا ذلك بين الناس بأن محمداً غير صادق في نبوته لأنه لو كان صادقاً لحكم بما أنزل الله ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أحبب مكرهم وكيدهم حيث حكم فيهم بما أنزل الله ، فهم أرادوا أن يحكم في زانيين بغير ما أنزل الله .

فرد الله عليهم مواسياً رسوله ومبينا صفات اليهود التي تتكرر في كل زمان ومكان فقال عز وجل : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً . وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) (١)

من الآيات السابقة تبينت لنا بعض من صفات اليهود المجبولين عليها وهي : الإسراع في الكفر - الإيمان باللسان دون القلب - الإستماع إلى الكذب - تحريف الكلام - عدم الحكم بما أنزل الله - أكل الحلال الحرام - وقد كسرت الآيات توبيخهم وتأنيبهم لتلاعبيهم بالدين وانحرافهم عن الطريق المستقيم إلى الطريق الحقيرة وحذرت الرسول عليه السلام والمؤمنين منهم ومن خداعهم ومكرهم وشرهم وبينت لهم ما فيه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة .

ولقد عجب الله من تحكيم اليهود للرسول عليه السلام بعد علمهم بما فسى التوراه من حد الزانى ثم تركوا الحكم الذى لجئوا اليه طلبا للرخصة، فأعرضوا عنه، وقد حكم فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجم حتى الموت وهذا الحد موجود فى التوراة، ولكنهم أعرضوا عنه وبدلوه بالتجبية.

يقول الرازى : (لقد ظهر جهلهم وعنادهم فى هذه الواقعة من وجوه وهى :

- ١ - عدولهم عن حكم كتابهم .
- ٢ - رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل .
- ٣ - إعراضهم عن حكمه بعد أن حكموه فبين الله جهلهم وعنادهم لثلايغتهم هتتر أنهم أهل كتاب وحافظين . (١)

ولقد ردا الله عز وجل على يهود الذين حاولوا أن يردوا المسلمين عن دينهم وذلك بإظهارهم الإيمان ثم رجوعهم بعد ذلك إلى الكفر حتى يدخل الشك فى قلوب ضعاف الإيمان ويجعلهم فى حيرة واضطراب فقد كانوا ينظرون إلى يهود بأنهم أهل كتاب وأنهم أعلم منهم حيث كانوا أميين ، وأنهم ما ارتدوا عن الإسلام، إلا لعلمهم بنقص فيه وصيب .

قال تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبوع دينكم .) (٢)

فرد الله عليهم بقوله : (قل إن الهدى هدى الله .) (٣)

أى أن هداية الله ليست مقصورة على اليهود وإنما هى ملك لله عز وجل وحده يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين ، ثم يبين الله قبائح اليهود وأنا نيتهم التى جعلتهم يتواصون بعدم الإيمان وهى :

- ١ - (أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم) أى لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلمونه منكم ويساؤونكم فيه ويمتازون عليكم لشدة إيمانهم .

(١) تفسير الرازى جزء ٣ ، ص ٤٠٧

(٢) ، (٣) آل عمران آية ٧٢ - ٧٣

٢ - (أويحاجوكم به عند ربكم) أى يتخذونه حجة عليكم بما فى أيديكم وتقوم عليكم الحجة فى الدنيا والآخرة. (١) وقد بين الله تعصب اليهود وعنصريتهم للباطل حيث تواصلوا بالأيوه من منهم إلا لمن كان على دينه وشاكلته.

فرد الله على يهود بقوله: (قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .) (٢) يقول ابن كثير: الأمور كلها تحت تصرف الله وهو المعطى المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام، ويظل من يشاء فيعمى بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمد أ على سائر الأنبياء وهداكم به إلى أكمل الشرائع . (٣) ولقد رد الله عز وجل على يهود وويخهم على تحالفهم مع المشركين وقولهم: بأنهم أهدى من المؤمنيين، وبين ماجبل عليه اليهود على مر العصور من بخل وحسد وأنانية وجحود للحق وكفران، وذلك حينما ذهب حبي بن الأخطب، وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهمل كتاب و علم فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالا ما أنتم؟ وما محمد؟ فقالوا نحن نصل الأرحام وننحر الكوماً ونسقى الماء على اللين ونفك العانى، ونسقى الحجيج، ومحمد صننور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى. (٤)

وقد صور الله رأيهم بقوله: (ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً .) (٥)

(١) تفسير ابن كثير جزء ١، ص ٢٧٣

(٢) آل عمران آية ٧٣ - ٧٤

(٣) تفسير ابن كثير جزء ١، ص ٢٧٣

(٤) تفسير ابن كثير جزء ١، ص ٥١١

(٥) النساء آية ٥١

فرد الله عليهم مبيناً حكمه فيهم : (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً .) (١)

فهذا إخبار من الله بلعنهم وطردهم من رحمته وبعد نصرتهم في الدنيا والآخرة وذلك لكونهم ذهبوا يستنصرون بالمشركين ضد الرسول عليه السلام والمؤمنين ، وقد استجاب لهم المشركون وجاءوا معهم يوم الأحزاب لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، والتي نصر الله فيها المؤمنين ، وخذل الأحزاب من الكفار والمشركين .

ولقد صور الله كذب اليهود في قولهم : (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً .) (٢)

فهم ما قالوا هذا القول الكاذب إلا إرضاءً لقريش حتى يستميلوها لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وقد بين الله بأن اليهود تركوا العمل بما جاءهم من التوراة وهم قد أوتوا نصيباً من الكتاب فلو كانوا عاقلين ومطبقين لأحكام التوراة لما فضلوا عبادة المشركين على عبادة المسلمين .

ثم وبخ الله يهود على بخلهم وحسد هم وأنانيتهم التي جعلتهم لا يؤمنون بالرسول عليه السلام حسداً وعناداً ، وأنانيتهم التي جعلتهم لا يتمنون الخير لأحد من غير اليهود .

قال تعالى : (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤمنون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً .) (٣)

وأنكر الله على يهود بخلهم وحسد هم وأنانيتهم ، فلو كان لهم نصيب من الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس شيئاً ولو كان قدر النقيير وهو النقطة التي في التوراة ، والذي منعهم من الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حسد هم كونه من العرب ولم يكن من بنى إسرائيل مع أن الله قد أعطى

(١) النساء آية ٥٢

(٢) النساء آية ٥١

(٣) النساء آية ٥٣ - ٥٥

بنى إسرائيل النبوة والحكمة والملك فمنهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
ومنهم من كفر به والله قد أعد للكافرين عذاباً أليماً فى جهنم سعيراً .
ولقد رد الله على اليهود وبين ما أعد لهم من العذاب الأليم والجـزاء
العظيم بسبب إيدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وذلك
أن اليهود كانوا يؤذون الرسول عليه السلام بالقول وبالفعل ومن ذلك قولهم :
راعنا بدلا من اسمع لنا ، والسام عليكم بدلا من السلام عليكم ، كذلك إذا نودى
للصلاة إتخذوها هزواً ولعباً . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم .) (١)

يقول ابن كثير : (أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدون
من التنقيص فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا . يقولوا : راعنا ، ويورون بالروعة
وكذلك جاءت الاحاديث أنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون : السام عليكم
والسام هو الموت .) (٢)

لذلك نهانا الله عن التشبه بالكافرين فى القول والفعل ، وحذرتنا من ذلك ،
وبين لنا عداوة الكفار والمشركين ، وحسد هم وعدم تمنى الخير للمؤمنين
قال تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل
عليكم من خير من ربكم .) (٣)

ثم بين الله للمؤمنين ما أنعم عليهم من خير وهو بعثة الرسول عليه السلام ،
وإنزال القرآن الكريم الذى فيه كل ما يحتاج البشر من تشريع وقضائل واخلاق
وعلوم .

قال تعالى : (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .) (٤)

ولقد نهى الله عز وجل المؤمنين من موالاة أهل الكتاب ، والكفار ومحبتهم
بسبب إستهزائهم بالدين وخاصة الصلاة التى إتخذوها هزواً ولعباً .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين إتخذوا دينكم هزواً
ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم
مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة إتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم
لا يعقلون .) (٥)

(١) البقرة آية ١٠٤ (٢) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١٤٨

(٣) البقرة آية ١٠٥ (٤) البقرة آية ١٠٥

(٥) المائدة آية ٥٢ - ٥٨

ولقد بين الله سبب نعمة أهل الكتاب على المؤمنين وهي إيمانهم بالله عز وجل وما أنزل من الكتب التي قبل القرآن والتي لم تحرف وإيمانهم بالقرآن .

قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون .) (١)

وقد رد الله عز وجل عليهم بأن شر الناس جزءاً^{٥٩} عنده يوم القيامة هم الذين لعنهم الله ، وغضب عليهم ، وأبعدهم من رحمته وطردهم منها ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكاناً ، وأضل وأبعد عن الصراط المستقيم وهو طريق الإيمان والحق حيث ابتعدوا عنه ، واتبعوا طريق الشيطان وهو طريق الضلال والكفر .

قال تعالى : (قل هل أوتيتكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل .) (٢)

وأما محاولتهم قتل الرسول عليه الصلاة والسلام فقد حفظ الله رسوله عليه الصلاة والسلام من هذه الشفاعة الدنيئة التي تدل على خسة ما قاموا به طالباً من المؤمنين أن يشكروا الله على هذه النعمة وهي نجاة الرسول صلى الله عليه وسلم من كيدهم ومكرهم . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .) (٣)

يقول ابن كثير : (أنها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحي لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين حيث وكلوا عمرو بن جاش بن كعب بذلك وأمره ان جلس النبي عليه السلام تحت الجدار ، واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحي من فوقه ، فأطلع الله نبيه عليه السلام على ما تماثلوا عليه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ورجع أصحابه من وراءه .) (٤)

(١) المائدة آية ٥٩

(٢) المائدة آية ٦٠

(٣) المائدة آية ١١

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٢

وكذلك حينما نجاه الله رسوله عليه السلام من الموت حينما وضعت له امرأة يهودية السم في الشاة، فجاه الله منها، وهذه نعمة من الله تستحق أن نشكره عليها، كما أنها فضيحة لليهود، ولسرائرهم، وليتهم أدركوا أنها من الله فآمنوا، فانتفعوا بإيمانهم، ولكن ذلك لم يحصل .

قال ابن إسحاق : (لما أطمأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، وكانت قد سألت أى عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها : الذراع، فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لآك منها مضفة ولم يسفها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، وأنه مات من السم أي يشرح. (١)

فأله عز وجل رد كيد اليهود في تحورهم حيث نجا رسوله منهم وحفظه وعصمه منهم كما حفظ دينه وشرعه منهم، وعلى الله يتوكل المؤمنون .
يقول ابن كثير : (من توكل على الله كفاه ما أهمه وحفظه من شر الناس وعصمه .) (٢)

قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل الله مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً .) (٣)

ولقد رد الله على قولهم : (لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا .) (٤) وقد كان غرضهم من ذلك التهديد والتشبيط فرد الله عليهم بقوله : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .) (٥)

(١) فتح الباري جزء ٧، ص ٤٩٧

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢، ص ٣٢

(٣) الطلاق آية ٢ - ٣

(٤) تفسير ابن كثير، جزء ٢، ص ٣٥٠

(٥) آل عمران آية ١٢ - ١٣

يقول الله عز وجل : قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله ، ومظهر كلمته ، ومعل أمره في طائفتين تقاتلا وهم مشركوا قريش يوم بدر ، والمؤمنون الذين قاتلوا في سبيل الله وكان المشركون يرون المؤمنين مثلهم في العدد رأى أعنيهم أى جعل الله ذلك فيما رآوه سببا لنصرة الإسلام عليهم ، وقيل أن المسلمين كانوا يرون الكافرين ضعفيهم في العدد ومع ذلك نصر الله المؤمنين على الكافرين ، والله يوفى بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة فهم ليبتدى به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . (١)

ولقد رد الله على يهود الذين وسوسوا للمنافقين بعدم الإنفاق على الرسول وعلى المؤمنين حتى ينفضوا ويتركوا المؤمنين والرسول عليه السلام قائلاً : والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . (٢) فبين الله عز وجل لليهود وللمنافقين ، أن خزائن السموات والأرض بيده ، فلو امتنع أهل الأرض جميعاً عن مساعدة هذا الدين فإن الله سيسخر له من يوفى بنصره ، وينصره وينشره .

ولقد رد الله على يهود الذين حاولوا مناصحة المؤمنين بعدم الإنفاق على الرسول وصحابته بقوله : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً .) (٣) . فبين الله بأنه أعد جهنم لهم يصطلون بحرهما وينالون فيها الهوان والذل .

ولقد رد الله على يهود الذين تركوا الحكم بما أنزل الله ، ولم يتبعوا الرسول بعد أن عرفوا وتأكدوا بأن نبي مرسل من عند الله قائلاً لرسوله : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤمنوا فاحذروا .) (٤)

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٣٥٠

(٢) المنافقون آية ٧

(٣) النساء آية ٢٧

(٤) المائدة آية ٤١

ورد الله على يهود الذين استهزأوا بمن آمن منهم، وقالوا : ما آمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبا إلى غيره .)
فرد الله عليهم بقوله : (ليسوا سواكم من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يوءنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير قلن يكفروه والله عليم بالمتقين . إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صرأصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .) (١)

يقول الله عز وجل : ليس كل اليهود سواء بل منهم الذين آمنوا بالله واتبعوا شرعه وقاموا على أمره يتلون آيات الله آناء الليل والنهار، ويكثرون من التهجد ويوءنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فهوؤلاء من الصالحين وما يفعلوا من خير وعمل صالح فلا يضيع عند الله بل يلجرهم الله عليه ويجازيهم الجزاء العظيم لأن الله عليم بالمتقين منهم حيث لا يخفى عليه أعمالهم ولا يضيع عنده أجر المحسنين منهم . أما الكفار فإنها لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ولا شقنهم عن الله ولا ترد عنهم بأس الله إذا أراد الله بهم بأسا ، وأولئك ملازمون النار ومخلدون فيها ، ثم ضرب الله مثلا لما ينفقه الكافرون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها برد شديد أصابت حرث قوم كافرين فأحرقته وأفسدته وكذلك الكفار يحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باتباعهم طريق الضلال والكفر فاستحقوا لذلك عذاب الله وغضبه .

ولقد رد الله على يهود الذين تهجموا على ذات الله ، حيث سألوا عما خلق الله ؟ وعن ذراع الله ؟ وعن عضد الله ؟

فأنزل الله فيهم قوله : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يسوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون .) (٢)

(١) آل عمران آية ١١٣ - ١١٧

(٢) الزمر آية ٦٧

ولقد رد الله على اليهود الذين سألوا الرسول عليه السلام أن يخبرهم متى تقوم الساعة إن كان نبياً كما يقول ؟

فأمر الله نبيه أن يقول لهم : (قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفي عنها، قل إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) (١)

ولقد أرادت يهود من سوءها التعنت والجدل، فهم يعلمون أن علم الساعة عند الله لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب .

ولقد رد الله على يهود الذين إدعوا أنهم على حق، فأنزل فيهم قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين .) (٢) يقول الله تعالى لرسوله عليه السلام : أن يقول لأهل الكتاب : بأنهم ليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا التوراة والإنجيل، ويؤمنوا بجميع الكتب المنزلة من الله على أنبيائه ويعملوا بما فيها ويؤمنوا بمحمد عليه السلام ويتبعوه . (٣)

ولقد رد الله على يهود الذين أنكروا نبوة عيسى عليه السلام فقالوا : لانو من بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به .

فأنزل الله فيهم قوله : (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل، وإن أكثركم فاسقون .) (٤)

ولقد رد الله عليهم قولهم : أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم ؟ فأنزل الله فيهم قوله تعالى : (ما كان لبشر أن يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين

(١) الاعراف آية ١٨٧

(٢) الفائدة آية ٦٨

(٣) تفسير ابن كثير جزء ٢، ص ٨١

(٤) المائدة آية ٥٩

بما كنتم تعلمون الكتاب، وبما كنتم تدرسون . (١)

فبين الله لهم بأن دعوة جميع الرسل واحدة وهى توحيد الله وعبادته
وعدم الإشراف به ودعوة الناس لذلك .

ولقد رد الله عليهم حينما طلبوا من الرسول عليه السلام : أن يفجر
لهم أنهارا لكى يتبعوه ويصدقوه ، فأنزل فيهم قوله : (أم تريدون أن تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سـواء
السبيل .) (٢)

فقد بين الله لهم بأن الأسئلة على وجه التعنت توعدى إلى الكفر .

ولقد رد الله على يهود الذين حاولوا مع الرسول أن يحكم لهم ويكون الحكم
لصالحهم حتى يتبعوه ، ويؤمنوا به .

فأنزل الله فيهم قوله : (وأن أحكم بينهم بما أنزل^{الله} ولا تتبع أهواءهم . واحذرهم
أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله
أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية
يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .) (٣)

يأمر الله عز وجل رسوله عليه السلام الحكم بين الناس جميعا بما أنزل الله
وهو القرآن الكريم ولا يتبع آراءهم ويحذر أعداء اليهود أن يدلسوا عليه
الحق فيما ينهونه إليه من الأمور فلا يغتربهم فإنهم كذبة كفره خونية ،
فإن أعرضوا عن حكم الله وخالفوا شرعه فإن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته
فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت ضلالهم
وتكالهم . (٤)

ولقد رد الله على يهود الذين زعموا أن جبريل عدو لهم ولم يؤمنوا بالرسول
عليه السلام لأن جبريل وليه ونقضوا العهد الذى أعطوه للرسول عليه السلام
إذا أخبرهم وأجابهم على أسئلتهم ، فأنزل فيهم قوله : (قل من كان

(١) آل عمران آية ٧٩

(٢) البقرة آية ١٠٨

(٣) العائدة آية ٤٩ - ٥٠

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٦٨

عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصداً لما بين يديه وهدى وبشرى
 للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو
 للكافرين . ولقد أنزلنا آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلفوا
 عاهدوا عهداً نبؤهم ففريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . (٣)

وهكذا رد القرآن على عقائد اليهود المحرفة في الله وفي الرسل ورد على
 مواقفهم العدائية التي كانت ضد الإسلام والمسلمين والتي لاتزال حتى الوقت
 الحاضر مستمرة في كل بقاع العالم الإسلامي .

الفصل السابع

المسيحية

الفصل السابع

المسيحية

المسيحية في أصلها دين سماوي ، فقد بعث الله عيسى عليه السلام كما بعث محمد أ عليه الصلاة والسلام ، وأنزل على عيسى عليه السلام الإنجيل كما أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام القرآن .

قال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمن وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .) (١)

فقد أرسل الله عيسى عليه السلام بشيراً ونذيراً كما أرسل غيره من الرسل لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل .

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .) (٢)
قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل .) (٣)

فعيسى رسول من الله عز وجل كغيره من الرسل دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له والى توحيد ه .

قال تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .) (٤)

(١) النساء آية ١٦٣ - ١٦٥ (٢) الشورى آية ١٣

(٣) الحديد آية ٢٦ - ٢٧ (٤) المائدة آية ١١٦ - ١١٧

فمن هذا النص يتبين لنا أن عيسى عليه السلام دعا إلى التوحيد الخالص لله عز وجل ، وقد أيدته الله بالمعجزات الدالة على صدقه بأنه رسول من عند الله كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم .

معجزات عيسى عليه السلام

لقد أيد الله عيسى عليه السلام بالمعجزات كما أيد الأنبياء الآخرين بالمعجزات الدالة على صدقهم بأنهم رسل من عند الله .

١ - المعجزة الأولى : أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، فالخالق هو الله عز وجل ولكن الله أجرى هذه المعجزة لسيدنا عيسى عليه السلام .

٢ - المعجزة الثانية : إحياء الموتى بإذن الله .

٣ - المعجزة الثالثة : إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله .

٤ - المعجزة الرابعة : إنزال مائدة من السماء بإذن الله .

٥ - المعجزة الخامسة : إخباره عليه السلام بأمر غائبة عن حسه بإذن الله .

قال تعالى : (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم إذ ذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين .) (١)

وقال تعالى : (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم . هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال إتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيـداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إنني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين .) (٢)

(١) المائدة آية ١١٠

(٢) المائدة آية ١١٢ - ١١٥

وقال تعالى مخبراً عما قال عيسى لقومه : (وأنبيكم بما تأكلون وماتدخرون
فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين .) (١)

ومن المعجزات التى أيد الله بها عيسى عليه السلام وجوده بلا أب وتكلمه فى
المهد . يقول الشهرستاني : (وكانت له آيات ظاهرة وبيئات زاهرة مثل
إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه
وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطفة من غير تعليم سالف .) (٢)

ولقد بعث الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة كما قال تعالى :
(ورسولا إلى بني إسرائيل أنى قد جئكم بآية .) (٣) . وكما قال عيسى عليه
السلام لقومه : (لم أرسل إلا إلى خرافجني إسرائيل الضالة .) (٤) .

ورغم ما بذله المسيح عليه السلام من جهود فى نشر دعوته ، ورغم ما أجرى
الله عليه من معجزات باهرات تدعو إلى الإيمان به ، فإن بني إسرائيل لم
يستجيبوا لدعوته ولم يؤمنوا به إلا عدد قليل . أما أكثر اليهود فقد أنكسروا
دعوته . وحاولوا قتله حيث دبروا مكيدة لصلبه ، فنجاه الله منهم والقسى
الشبه على واحد منهم ظانين أنه عيسى عليه السلام .

قال تعالى : (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم .) (٥)

ثم رفعه الله إليه بعد أن توفاه . قال تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خيرالماكرين
إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا .) (٦)

(١) آل عمران آية ٤٩

(٢) الطل والنحل للشهرستاني ، ص ٥٩ ، جزء ٦٢

(٣) آل عمران آية ٤٩

(٤) متى الاصحاح ١٥ ص ٢٨

(٥) النساء آية ١٥٢

(٦) آل عمران آية ٥٤ - ٥٥

مما سبق رأينا أن عيسى عليه السلام كان يدعو إلى العقيدة السمحاء عقيدة التوحيد الخالصة لله عز وجل التي دعا إليها جميع الرسل والأنبياء لكن هذه العقيدة بعد أن رفع الله المسيح إليه لم تبق كما كانت إنما حرفوها وبدلوها وغيروها كما غيروا وبدلوا وحرفوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام .

يقول ابن القيم : (وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضها وأنها مأقيا من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم . وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس من الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح (قصة صلبه وما جرى له ، وأنه أصاب كذا وكذا ، و صلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى ، وغاية أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً .

والنصارى لا يقرّون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله بل كل فرقة منهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا . (١)

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تأليف ابن قيم الجوزية

تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

الأنجيل المعتبرة عند النصارى١ - إنجيل متى :

ألفه متى اللاواني تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام وقد كتبه بالعبرانية في بلد يهوذا بالشام .

٢ - إنجيل مرقس : (مرقس)

ألفه مرقس الهنارونى تلميذ شمعون الصفا بن توما المسمى باطـرـة بعد إثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليه السلام وقد كتبه باليونانية في بلد إنطاكية من بلاد الروم ويقولون أن شمعون المذكور هو الذى ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسبه إلى تلميذه مرقس وشمعون هو تلميذ المسيح

٣ - إنجيل لوقا :

ألفه لوقا الطبيب الإنطاكى تلميذ شمعون باطـرـة وكتبه باليونانية في بلد أقالية بعد تأليف مرقس .

٤ - إنجيل يوحنا :

ألفه يوحنا ابن سيذاي من تلاميذ المسيح بعد رفع المسيح بيضع وستين سنة وكتبه باليونانية في بلد إشيانية .

ويوحنا هو الذى ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية .
والنصارى يعظمون كتاب الإفركسيس الذى ألفه لوقا الطبيب فى أخبار الحواريين وأخبار بولس البنايين .
كتاب الوحي والإعشلاق :

ألفه يوحنا بن سيذاي وهو فى غاية السخافة والركاكة لما فيه من خرافات .

الرسائل القانونية :

وهى سبع رسائل : ثلاث رسائل ليوحنا بن سيذاي - ورسالتان لباطـرـة شمعون . ورسالة واحدة ليعقوب بن يوسف النجار والثانية لأخيه يهوذا .

رسائل بولس :

وهي خمس عشرة رسالة مملوءة حمقاً ووعونةً وكفراً . (١)

هذه الأناجيل التي هي معتمد النصارى هناك إختلاف في تاريخ تدوينها وفي ترجمة بعضها ، وفي نسبة من كتبها .
فمثلاً إنجيل متى كتب بالعبرية ولكن هناك إختلاف في من ترجمه إلى اليونانية ؟
وفي أي عام دون ؟ وفي أي عام ترجم ؟ وعدم وجود النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية والجهل لحال المترجم كل ذلك يودي إلى عدم الثقة به واليقين منه .

يقول الأستاذ أبوزهرة : (ولاشك أن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره ، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها ، وكل هذا يودي إلى فقد حلقات في البحث العلمي .) (٢)

ويقال بأن متى كان من تلاميذ المسيح وكان قبل ذلك جابياً للرومان .
أما إنجيل مرقس فيقولون : أنه كتب بتدبير من بطرس وآخرون يقولون أن مرقس ماكتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس فقد قرر الكاتب القديم أربينوس : أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس . كذلك إختلفوا في زمن تأليفه فيقول هورن : ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ مابعد ها إلى سنة ٦٥ والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ م ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين أنه كتب سنة ٥٦١ م .

أما إنجيل لوقا فقد إختلف في مولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل ، فمنهم من يقول : (إنه إنطاكي ولد بإنطاكية ومنهم من يقول إنه روماني ولد بإيطاليا ومنهم من يقول : إنه كان طبيباً ، ومنهم من يقول أنه كان مصوراً وكلهم متفقون بأنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من تلاميذ الحواريين وإنما من تلاميذ ورققاء بولس الذي له شأن خطير على المسيحية .

(١) الفصل في الطل والاهواء والنحل - لابن حزم جزء ٣ ، ص ٢ - ٣

(٢) محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة ص ٤٩ .

كذلك اختلف في القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل كما اختلف في تاريخ تدوينه . (١)

هذه الأناجيل الثلاثة لم تصرح بألوهية المسيح عليه السلام وإنما الذي صرح بألوهيته إنجيل يوحنا الذي سنتكلم عنه الآن حيث يعتقد النصارى أن كاتب إنجيل يوحنا هو الحوارى بن زيد الذي كان يحبه المسيح عليه السلام، ولكن بعضاً من محققي المسيحية . أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل يوحنا الحوارى بل أنه لا يمت إليه بصلة وأن هذا الإنكار ليس الآن وإنما كان قد ابتدأ في القرن الثاني الميلادي فإن العلماء بالمسيحية أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى .

قال استادلن : (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إليه .) (٢)

ويقول الشيخ أبوزهرة : لقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى مانصه : (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوراً أراد صاحبه مضادة اثنتين من الحواريين بعضهم لبعض وهما القديسان يوحنا ، ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متون الكتاب أنه الحوارى الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت إسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنما لنراف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى .) (٣)

(١) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٠ - ٥٤

(٢) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٥

(٣) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٥ - ٥٩

كذلك قد اختلف في تاريخ تدوينه كغيره من الأناجيل .
ويقال : أنه كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد ساد عندهم فكرة
أن المسيح ليس بآله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقر تلك الحقيقة
فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية، فكتب هذا
الإنجيل .

وقد قال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه : (أن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما
لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانا ، وأنه لم يكن قبل أمه
مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا
منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون
وأن يكتب بنوع خاص ألوهية المسيح . (١)

كما قال بمعنى ذلك يوسف الديس في مقدمة تفسيره، وصاحب مرشد الطالبين .
فالجميع يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتسبب
لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها لعدم وجود نص في الأناجيل
الثلاثة بعينها .

رسائل الرسل

وتسمى الأسفار التعليمية ما عدا رسالة أعمال الرسل . وعددها اثنتان وعشرون رسالة .

- ١ - الأولى : وتسمى أعمال الرسل وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل .
- ٢ - أربع عشرة رسالة كتبها بولس .
- ٣ - ورسالة كتبها يعقوب .
- ٤ - ورسالتان كتبها بطرس .
- ٥ - وثلاث رسائل كتبها يوحنا .
- ٦ - ورسالة كتبها يهوذا .

هذه الرسائل تعليمية وعظية ، وتتعرض كثيراً لذكر بنوة المسيح وتخليصه للعالم من خطيئته .

٧ - رسالة أخرى تسمى السفر النبوي وهي رؤيا يوحنا اللاهوتي ، وتعننى بيان ألوهية المسيح وسلطانه فى السماء ، وعلمه بحال الكنيسة والقائمين عليها .

هذه الرسائل كتبت باليونانية . (١)

(١) كتاب النصرانية ص ٧٦-

رسائل الرسل : أطلق هذا الإسم على واحد وعشرين سفرًا فى العهد الجديد كتبها الرسل إلى كنائس معينة أو أشخاص معينين أو إلى المسيحيين بصفة عامة . . وقد كتب بولس أربعة عشر رسالة أو ثلاثة عشر رسالة ، ويعقوب واحد ويطرس رسالتين ويوحنا ثلاثاً ويهوذا واحدة ولاشك فى أن العهد الجديد لا يتضمن جميع ما كتبه الرسل غير أن الكنيسة الأولى قررت أن هذه الرسائل الحالية هى القانونية التى كتبت بإلهام الروح القدس (كما يزعمون) وقد كتبت بعض الرسائل قبل كتابة الأناجيل فرسالة يعقوب ربما كانت هى أسبق أسفار العهد الجديد حيث كتبت حوالي ٣٥٠ م .

وكل الرسائل ما عدا الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يوحنا الأولى تبين فى بدايتها إسم كاتبها وإسم الكنيسة أو الشخص الموجهة إليه أما رسالته بطرس ويهوذا فإنها موجهة إلى جماهير المؤمنين . قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٠ .

والآن سنتكلم عن بولس مؤسس النصرانية المحرفة .

فقد اختلف في جنسيته وفي ديانته ، حيث كان من أشد الأعداء على المسيحية وكان نشيطاً ، ذكياً ، قوي التأثير على من حوله ، لذا استطاع أن يؤثر على المسيحيين مدعياً بأنه رأى عيسى عليه السلام حيث عاتبه على أفعاله بالمسيحين وأمره أن يدعو بالمسيحية فأدعى بأن الإلهام يأتيه ، لذلك كتب هذه الرسائل الكاذبة المزورة التي نادى فيها بالوهية المسيح ، وأخذ يطوف في الأقاليم ، ويلقي في الجموع دعواه الكاذبة ، وأقواله المحرفة الباطلة .

يقول ابن القيم : (بولس الشمشاطى هو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصرارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مريبوب ، لا يختلف فيه إثنان منهم ، فقال بولس هذا وهو أول من أفسد دين النصرارى - إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانا كواحد من أناسي جوهره ، وأن ابتداء الإبن من مريم ، وأنه إصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الأنسي صحبتة النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشية ، ولذلك سمي ابن الله وقال : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد .) (١)

هذه المصادر الكاذبة هي التي استقت منها النصرارى ديانتهم المحرفة العبدلة ، التي لا تدين إلى دين سماوي . وعلماً بأنه يوجد إنجيل برنابا هذا الإنجيل الذي لم تعترف به الكنائس وأنكرته ، فليس معتبراً عند المسيحيين مصدرأ دينياً ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوربية ، وقد إتجهوا إليه بالبحث والعناية رغم إنكار الكنيسة له .

وكتب هذا الإنجيل هو الرسول برنابا وهو قديس من قديسي المسيحية وقد جاء في هذا الإنجيل :

- ١ - أن المسيح لا يعتبر إليها ولا إبن إله .
- ٢ - أن الفصح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للفداء هو إسماعيل وليس إسحق .

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص ٣١٨

٣ - أن المسيح المنتظر هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس يسوع عليه السلام.

٤ - أن عيسى عليه السلام لم يصلب وإنما شبه لهم حيث ألقى الله المشبهه على يهودا الإسخريوطي . (١)

مقائد النصارى بعد التحريف

كانت عقيدة النصارى التى جاء بها المسيح عليه السلام غاية فى البساطة فقد كان يعلن التوحيد كما يعلن أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بعث إلى خراف بني إسرائيل الضالة وكان يعلن بأنه مبعوث إلى بني إسرائيل خاصة . يقول شارل جينييز : (كانت رسالة المسيح قائمة على التوحيد وكان هم السيد المسيح كل همه أن يدعو إلى الخلق الكريم . إنه يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف ، ولم يدخل فى تفاصيل العقائد ، ولم يتحدث عن شريعة ، وكان يوء من بأنه نبي من أنبياء بني إسرائيل ، وكان أنبياء بني إسرائيل فيما عدا موسى عليه السلام لا شأن لهم بحديث عن عقيدة أو عن تشريع ، التوحيد وخلق كريم ، فى ذلك يتلخص جوهر دعوة عيسى ، أما المسيحيه الحاضره بكل ما فيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام .

وأن المسيحية بدأت تنفصل منذ دخلها بولس ، وأن عقيدة بنوة المسيح إنما هى عقيدة كانت أثراً لخطأ فى ترجمة كلمة (عبد الله) التى كان يقولها السيد المسيح كثيراً . كيف تترجم : (عبد الله) ؟

وما كان أمام القديس بولس إلا أن يترجمها بكلمة (طفل) أو بكلمة (خادم) واختار بولس أن يترجمها بكلمة (طفل) طفل الله .

وكان لذلك تغير هائل فى المسيحية ، وفى الفكرة الدينية عن صورة الإله فى الفلسفة عامة ، وفى الدين المسيحي خاصة . (٢)

(١) محاضرات فى النصرانية ، ص ٦٤ - ٧٤

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ، تأليف شارل جينييز ترجمة الدكتور عبد

يقول مرقس في إنجيله : (سأله أحد الكتبة أي وصية هي أول الكل ؟ فأجابته يسوع : إن أول كل الوصايا هي إسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى .

فقال الكاتب : جيداً يا معلم . بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ومحبيب من كل قلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة . (١)

فبين المسيح عليه السلام أن أول كل الوصايا هي توحيد الله وحبه لأنها أساس الدين وجوهره .

وسأله واحد قائلاً : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . (٢)

فمخيس عليه السلام يعترف بأنه بشر يخطئ ، أما صفات الكمال فهي لله عز وجل المنزه عن كل نقص .

وحيثما عرض إبليس على المسيح عليه السلام أن يعطيه جميع ممالك العالم ومجدها إن خر وسجد له قال يسوع : اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . (٣)

رفض عيسى عليه السلام ممالك العالم ومجدها لكي لا يشرك بالله الواحد المعبود .

هكذا كانت عقيدة المسيح قبل أن يحرفها يوحنا وبولس . كانت عقيدة صافية منزلة من عند الله كسائر العقائد الربانية التي أنزلها على جميع الأنبياء والرسل .

أما العقيدة الجديدة فهي من صنع البشر عقيدة باطلة كاذبة لا يقبلها العقل ولا المنطق وسوف نعرضها لكي يرى من له عقل وتفكير هذه الترهات والأباطيل .

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ ، ص ٧٩

(٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ ، ص ٧٤

(٣) إنجيل متى الإصحاح الرابع ، ص ٧

عقيدة النصارى المحرفة في الله عز وجل

يعتقد النصارى بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله .
قال تعالى : (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم
يضاهون قول الذين كفروا من قبل قائلهم الله أنى يوءفكون . إتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا
إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .) (١)
وهناك من يرى بأن المسيح هو الله حاشا ما يقولون وتعالى الله عما يقولون
علواً كبيراً .

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن
يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض
جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء
قدير .) (٢)

وقال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنهم يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار .) (٣)
وهناك من النصارى من يذهب إلى أن الله ثالث ثلاثة حيث جعلوا المسيح
وأمه إلهين مع الله . (٤)

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله
واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم .) (٥)
وهناك من أله مريم . إجتمع النصارى في عهد قسطنطين الرومي بن هلانة
الحرانية الفندقية وفي زمنه أقرتبتديل دين المسيح (٦) وهو الذي كان قد
أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفي رجل ،

(١) التوبة آية ٣٠-٣١

(٢) المائدة آية ١٧

(٣) المائدة آية ٧٢

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٨٢ (٥) المائدة آية ٧٣

(٦) أي أقر التبديل الذي بدأ مبكراً كما قلنا عن يوحنا وبولس .

فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه (سنهوس) وهى الأمانة ولفظها : (نوء من بالله الأب الواحد خالق مايرى وما لايرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدتها ، وأخذ وصلب ، وقتل أيام بيلاطس البنطسي ومات ودفن ، وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء وجلس يمين أبيه وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونوء من بالروح القدس روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محبته وبعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قد يسيه سليحية جاثقية ، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الأبدين . (١)

فهذا تصريح واضح لما قرروه وأعلنوه بأن المسيح رب ويأنه ابن الله ، وأنه ولده البكر الذى ليس له ولد غيره ، وأنه ليس عبداً مخلوقاً بل هو خالق وأنه إله حق . ولد من إله حق مساو لأبيه فى الجوهر بيده أتقن العوالم ، وبيده ذاق ألم المسامير التى سمرت فى يده ، ويعودته مرة ثانية ليقتضى بين الأموات .

هذه العقيدة المحرفة يوضحها الدكتور بوست فى تاريخ الكتاب المقدس فيقول : (طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب والله الابن ، والله الروح القدس ، فالإب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس التطهير . فبعضهم من قائل أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق . (٢)

(١) هداية الجيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٦٧ - ٢٦٩ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ، ص ١١٥

(٢) محاضرات فى النصرانية ، ص ١١٢

أما فلاسفة المسيحية فيعتقدون أن الله عز وجل يتكون من ثلاثية أقانيم (١) . أي ثلاثة عناصر أو أجزاء وهي : الذات والنطق والحياة فالله موجود بذاته .

ناطق بكلمته .

حي بروحه .

ولكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطينا وصفاً معيناً ومظهراً خاصاً .

فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الآب .

وإذا نطق فهو الإبن .

وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس .

ويرى فلاسفة النصارى أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله ، فكم

أن الله مثلث الأقانيم كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر .

فكما أن الله ذات كونية كذلك فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله

وكما أن الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله .

وكما أن الله حي كذلك فالإنسان حي على صورة الله ومثاله . (٢)

يقول القمص إبراهيم : (لا يصح مطلقاً نفي التثليث لأنه بانتقائه تنتفى أنت ،

إذ هو إنموذجك ومصدر صفاتك الذاتية الثلاثية . الذات والنطق والحياة

وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح إنتفاؤك ، وأنت موجود . . . بنفى الأقانيم

الثلاثة الإلهية . .) (٣)

لقد شبه الكاذبون الحقيرون الله جل جلاله صاحب العظمة والسلطان الذي

ليس كمثل شئ ، الذي له جميع صفات الكمال المنزه عن كل عيب شبهه

(١) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفرداً أقنوم وهي تعنى شخص أو كائن

مستقل بذاته كما جاء ذلك في كتاب (الله واحد أم ثلاث) لمحمد

مجدى مرجان .

(٢) الله واحد أم ثلاث ص ٩ - ١٠ تأليف محمد مجدى مرجان .

(٣) نفس المصدر ص ١٠

بالإنسان الضعيف الذي هو مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ثم لم يكتفوا بهذا التشبيه بل شبهوه بالتفاحة فهي لها ثلاثة خواص هي : الذات والطعم والرائحة ويمكن التمييز بين هذه العناصر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة فالرائحة تختلف عن الطعم اللذان يختلفان عن الذات وكما لا يمكن وجود التفاحة بدون رائحة وطعم ، كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الإبن والروح القدس فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله . (١)

وكذلك شبه الله جل جلاله آخرون بالشمس التي تتكون من ثلاثة عناصر هي : الجرم - الشعاع - الحرارة . (٢)

ومثله آخرون بالشجرة التي لها أصل ، وثمر ، وساق وآخرون مثله بينبوع الماء أو فتيلة الشمعة .

فيقول الأستاذ محمد مجدى مرجان : (وكثرت التشبيهات والفلسفات فسى شرح الله الثالث .) (٣)

وظائف الثالث كما يعتقد المحرفون من النصارى :

بعد أن قسموا الله إلى ثلاثة أقسام وجعلوا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ثلاثة آلهة جعلوا لكل إله مجموعة من الأعمال والوظائف فكل منهم خصائص ومميزات تختلف عن الآخرين :

الله الآب جعلوه مصدراً للعدل

الله الابن جعلوه مصدراً للرحمة

الله الروح القدس جعلوه مصدراً للنعمة

والله الآب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة .

الله الإبن ينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب ، الله الروح القدس ينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الظاهرة وتقديس النفوس . (٤)

(١) الله واحد أم ثلاث ، ص ١٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ١٢٠

(٣) الله واحد أم ثلاث ، ص ١٦

(٤) الله واحد أم ثلاث ، ص ٢٧ - ٢٨

حقيقة الآب

الله الآب هو: الأقدم الأول من الثالوث المسيحي، وقد سمي أباً لأن له في اعتقاد فلاسفة المسيحية إبناً فمن أجل وجود هذا الإبن سمي الله أباً وهذا الإبن من أجله دعي الله أباً وعيسى عليه السلام إبن الله وبما أنه مولود من الله فهو له مثل الله أبوه . (١)

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن الأب لفظ يطلقه المسيحيون على الله لأنه الآب (السموي) ويعتبر الله في الديانة المسيحية أباً فيقال (أبانا الذي تقدس في السماء) .

حقيقة الابن

يعتقد أصحاب الثالوث أن الله الإبن هو كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت إبناً للذات، وصارت الذات أباً للكلمة وكل من الذات والكلمة أقنوم قائم بذاته يدعى الأول الأب والثاني الإبن . (٢)

يقول يوحنا في إنجيله : (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكسان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء كان به وبغيره لم يكن شيء مما كان ، والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحد من الأب مملوء نعمة وحقا .) (٣)

فهو يعتقد أن الله الكلمة وهو الله الإبن منذ بدء الخليقة، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر وهو الإبن الوحيد لله عز وجل .

حقيقة الروح القدس

يعتقد النصارى أن الروح القدس الذي يمثل عنصر الحياة من الثالوث المقدس يعتبر أقنوماً قائماً بذاته، وإلهاً مستقلاً بنفسه فالثالوث المقدس يتكون من ثلاثة أقانيم هي الذات والنطق والحياة .

(١) ، (٢) الله واحد أم ثالوث ، ص ٩٤ و ص ١٠٤

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ١ ، ص ٤٥

فالذات هو الله الأب .

والنطق هو الله الابن .

والحياة هي الله الروح القدس .

يقول يس منصور: (إن الروح القدس هو الأتوم الثالث في اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة بل هو ذات حقيقي شخص حي ، وأتوم متميز ولكنه غير منفصل وهو وحدة أتومية غير أتوم الأب وغير أتوم الابن وساولهم في السلطان والمجد ومشارك وإياهما في جوهر واحد ولاهوت واحد .

وأنه سر عظيم أعلنه الكتاب المقدس ويقبله العقل وإن يكن فوق العقل . (١)
وجاء في قاموس المقدس أن روح القدس وهو الأتوم الثالث قد سمي روحاً لأنه مبدئ الحياة والروح ودعي قدوساً لأنه من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن ويدعي روح الله وروح المسيح وينسب إليه أسماء الله وصفاته . وأعماله وعبادته . (٢)

(١) الله واحداً ثالثاً ، ص ١١٦ - ١١٧

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤

الفصل الثامن

موقف النصارى من الاسلام والمسلمين

الفصل الثامن

مؤلف النصرى من الإسلام والمسلمين

لقد بدأ الرسول عليه السلام دعوته في مكة ولم يكن له أعداء من النصرى واليهود لأنهم كانوا أفراداً قليلين بل كان أعداءه من الوثنيين، ولما هاجر عليه السلام إلى المدينة كان هناك جاليات كثيرة من اليهود الذين عادوا الرسول عليه السلام والمؤمنين كما تقدم ذكرهم، ولما بدأ الإسلام ينتشر في المدينة وما حولها أخذ النصرى الذين كانوا في مشارف بلاد الشام من الروم وعمالهم من الغساسنة والنصارى الذين في الجنوب يقلقون، لذلك أخذوا في مضايقة المسلمين حيث بدأوا بالإعتداءات غير عابئين حتى بالأعراف الدولية التي كانت معروفة في ذلك الوقت كما هي معروفة في كل وقت من الأوقات وهي تأمين الرسل . (١)

يقول ابن كثير : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاق من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوههم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فارتث منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى الرسول عليه السلام فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .) (٢)

ولم يكتف النصرى بغدر الرسل، بل أخذوا يغدرون بمن دخل في الإسلام وذلك مثل ما حصل لعمر والجذامي .

(١) تأمين الرسل كان معروفاً في ذلك الوقت يخبرنا التاريخ أنه لما نهى الرسول عليه السلام عن كعب بن مالك وصاحبيه أرسل إليه صاحب إيلة رسولاً يقول له : بلغني أن صاحبك قد قلاك ولست بداره لو أن فالحق بنا نكرمك، فرد عليه كعب قائلاً، وهذه أيضاً من البليّة والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلت لقتلتك، ثم أخذ الرسالة ورمى بها في التنور، فكعب بن مالك نطق بتقليد كان معروفاً في ذلك الوقت.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جزء ٣، ص ٢٤١ دار الفكر بيروت .

يقول ابن هشام : (بعث فروة بن عمرو النافرة الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله بمعان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ ذلك الروم من إسلامه ، طلبوه ، حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء .) (١)

فمن هذا نرى أن الروم بدأوا يدبرون المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين لأنهم أصبحوا يدركون أن الخطر آت عليهم من هذا الدين الجديد ، وهذا يجب أن نذكر حادثة حصلت مع قيصر الروم وهي :

حينما أرسل الرسول عليه السلام إلى هرقل ملك الروم يدعوها إلى الإسلام طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبوسفيان قد قدم في طائفة من قريش للتجارة ، وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل أبوسفيان وأمر الباقيين إن كذب أن يكذبوه فصار يجدهم موافقين له في الأخبار . فسألهم هل كان في آباءه ملك ؟ فقالوا : لا . وهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قالوا : لا . وسألهم أهو ذو نسب فيكم ؟ قالوا : نعم . وسألهم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقالوا ماجربنا عليه كذبا . وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشراقهم ؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه ، وسألهم هل يزيدون أم ينقصون ؟ فذكروا أنهم يزيدون . وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة بعد أن يدخل فيه فقالوا : لا . وسألهم هل قاتلتموه ؟ قالوا : نعم ، وسألهم عن الحرب بينهم وبينه ؟ فقالوا : يدال علينا المرة وتدال عليه الأخرى ، وسألهم هل يغدر ؟ فذكروا أنه لا يغدر . وسألهم بماذا يأمركم ؟ فقالوا : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وبينها عما كان يعبد آباءنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فأجابهم هرقل بأن هذه صفات الأنبياء ، وبأنه كان يعلم بأن نبياً يبعث ولم يكن يظن أنه من العرب ولولا خوفه وحرصه على الملك والجاه لذهب

إليه وآمن به وبأن الرسول سيملك موضع قدميه هاتين .

يقول هرقل : (وهذه صفات الأنبياء ، وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث ولم أكن أظن أنه منكم ولوددت أني أخلص إليه ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه وإن كان مايقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين .) وقد كان المخاطب بذلك أبا سفيان وهو حينئذ كافر ومن أشد الناس عداوة للرسول عليه السلام ، قال أبو سفيان : فقلت لأصحابي ونحن خرج لقد ظهر أمر الله بن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، ومازلت موقناً بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره . (١) . ولاشك أن كلام هرقل هذا قد شاع بين كثير من الروم لأنه لم يتكلم به سراً وإنما تكلم به أمام وفد عربي وأمام أتباعه من الروم ، وكلام ملك كهذا لا يبدأ وتردده الألسنة ويشاع بين الناس ، من هذه الحادثة تبين لنا أن الروم بدأوا يحسبون بالخطر عليهم بعد أن كانوا غير آبهين للإسلام والمسلمين لأن الملك كان في يدهم وهم إحدى الدولتين المسيطرتين على العالم في ذلك الوقت ، لذلك أخذوا يديرون المؤامرات بطرق محكمة ضد الإسلام والمسلمين ويعتبر قتل عمرو الجذامي وقتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلاً على أن الروم في موجة خوف وعداء للإسلام والمسلمين أنستهم التقاليد التي كانت مرعية وأن حقدهم وعداوتهم للإسلام جعلتهم يقتلون عاملهم الذي أسلم ونسوا الولاء له .

مما سبق يتبين لنا موقف النصارى العدائي للإسلام وكيف كانوا هم البادئين بالقتال لذلك كانت غزوة مؤتة .

وسببها كما يقول المقرئ : (أن الحارث بن عمير الأزدي لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بصرى أخذه شرحبيل بن عمرو الغساني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذب الناس ، فأسرعوا وعسكروا بالجرف ، ولم يبين لهم الأمر ، فلما صلى الظهر جلس في أصحابه وقال : (زيد بن حارثة أمير الناس فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ،

(١) العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٣ - ٩٩

فإن أصيب عبد الله بن أبي رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم . (١)

وسار الجيش الإسلامي الذي كان قوامه ثلاثة آلاف مسلم حتى وصلوا مقتتل الحارث بن عمير ، وسمع العدو وبمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء في مائة ألف من الروم ، ومعه بهراء وواقل ولخمم وجذام في مائة ألف منهم ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب للرسول عليه السلام ونخبره بعدد عدونا فإذا أن يمدنا برجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضيه . فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم : والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة . ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإمسا شهادة ، فقال الناس : قد صدق والله ثم مضى المسلمون حتى كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب فانحاز المسلمون إلى موته فاقتلوا فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله حتى قتل فحملها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل ثم حملها عبد الله بن رواحة حتى قتل ، فحملها بعده خالد بن الوليد . (٢) واستشهد الأمراء الثلاثة في هذه الغزوة . ثم لم يكتف النصارى بذلك ولم يشبع حقدهم بما حصل في غزوة موته بل جمعوا جموعهم وجهزوا جيوشهم ثانية لقتال المسلمين ومنع الإسلام أن يصل إلى تلك المشارف لذلك أمر الرسول عليه السلام المسلمين بالاستعداد لرد كيد النصارى الذين يكيدون للمسلمين وأخبر المسلمين عن وجهته وهي السفر إلى تبوك لغزو الروم .

وسبب غزوة تبوك كما يرويها المقرئزي : هي : (أن أخبار الشام كانت بالمدينة عند المسلمين لكثرة من يقدم من الأسباط بالدرمك والزيت ، فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة

(١) امتاع الاسماع بما للرسول من الأنبياء والأموال والحق ، والمتاع - تقى

الدين أحمد بن علي المقرئزي جزء ١ ، ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ الطبري جزء ٣ ، ص ٣٩ - ٤٠

وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعامله . وزحفوا وقد موا مقدماتهم إلى

البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بخصم . (١)

لذلك أمر الرسول عليه السلام بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان الرسول عليه السلام قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخيراً يريد غير الوجه الذي يعتمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد المسافة وشدة الزمان ، وكثرة العدو والذي يعتمد له ليتأهب الناس لذلك أهيته . (٢)

ولما انتهى الرسول عليه السلام إلى تبوك أتاه يمينة بن زوبة صاحب أيلسة فصالح الرسول عليه السلام وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية وكتب لهم الرسول كتاباً .

كما أرسل الرسول عليه السلام خالد بن الوليد إلى إكيدر دومة رجل من كندة وكان ملكاً عليها وكان نصرانيا فأخذه خالد إلى الرسول عليه السلام حيث صالحه على الجزية . (٣)

وعاد الرسول عليه السلام منتصراً ومعه المسلمون إلى المدينة حيث دفع النصارى وأعوانهم الجزية وهم صاغرون ولم يقاتلوا الرسول عليه السلام والمؤمنين . يقول ابن تيمية : (وأما النصارى فلم يقاتل النبي عليه الصلاة والسلام أحداً منهم ، حتى أرسل رسله إلى قيصر والمقوقس ، والنجاشي وملوك العرب بالشرق والشام ، فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل ، فعمد النصارى بالشام ، فقتلوا بعض من أسلم ، فالنصارى هم الذين حاربوا المسلمين أولاً ، وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً ، فلما بدأ النصارى بالقتال أرسل محمد عليه السلام سرية أمر فيها زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة وهو أول قتال قاتله المسلمون بمؤتة من أرض الشام ،

(١) إمتاع الأسماع جزء ١ ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ هـ

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٤ ، ص ١١٨

(٣) سيرة ابن هشام ١٢٥ - ١٢٦ هـ

واجتمع على أصحابه خلق كثير من النصارى قيل إنهم مائة ألف ، واستشهد
أمراء الجند ، رضي الله عنهم واحداً بعد الآخر ، فأخذ الراية . . خالد بن
الوليد . (١)

ولم تنته أحقاد النصارى بعد ذلك حيث بلغ الرسول عليه السلام بتجهيز
الروم ثانية لغزو المدينة ، لذلك جهز جيش أسامة بن زيد وكان ذلك أثناء
مرض الرسول عليه السلام ، ولما قبض الرسول عليه السلام أمر الخليفة أبو بكر
بتيسير هذا الجيش ثم تتابعت الحروب مع النصارى بعد ذلك ولا تزال حتى
يوماً هذا لمحاولتهم منع الإسلام من الإنتشار ولصد الناس عن إتباعه حرب
سببها الحقد والحسد والكراهية للإسلام والمسلمين وصدق الله العظيم
حيث يقول : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل
عليكم من خير من ربكم .) (٢)

وقال : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من
عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق .) (٣)

يقول ابن كثير : (يحذر الله تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار
من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم
شتمون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم .) (٤)

وقال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .) (٥)
يبين الله حقد أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكراهيتهم للإسلام وأهله
وعدم رضاهم عنهم وإصرارهم أن يكونوا هوداً أو نصارى ولا يزالون على كرههم
وحسدهم للإسلام حتى يتخلى المسلمون عن دينهم وعقيدتهم ويتبعوهم
ولا يزال هؤلاء الكفار حتى هذا الزمان يحاولون محاولات عديدة لإخراج
المسلمين عن دينهم واتباعهم وأكبر دليل على ذلك حملات التبشير والتجويع

(١) رسالة القتال لابن تيمية من مجموع الرسائل النجدية ص ١٢٦-١٢٨ .

(٢) البقرة آية ١٠٥

(٣) البقرة آية ١٠٩

(٤) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١٥٣

(٥) البقرة آية ١٢٠

التي يقوم بها النصارى في إفريقيا وفي آسيا . والمدارس الأجنبية والمستشفيات الأجنبية التي ظاهرها خير وباطنها شر وهو القضاء على الإسلام والتباعد المسلمين ملتهم .

٢ - ادعواؤهم الكاذب بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً . قال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى .) (١) لقد ملأ الغرور والكبر قلوب اليهود والنصارى حيث اعتقد كل منهما أنه هو الذى سيدخل الجنة وما عداهم لا يدخلون وهذه أوهام كانوا يشيعونها بين الناس لكي يعتقد الناس أن دينهم هو الحق فيتبعوهم ولا يتبعوا الإسلام .

٣ - محاولة تشويه عقيدة الإسلام :

وذلك حينما دعاهم الرسول عليه السلام إلى الإسلام : قالوا له : يا ترى أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى ابن مريم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند الرسول عليه السلام ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ فقال عليه السلام : (معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني .) (٢)

٤ - إدهاء وفد نجران بأن عيسى إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة :

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (٣)

وقال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .) (٤)

وقال : (وقالت النصارى المسيح ابن الله .) (٥)

(١) البقرة آية ١١١

(٢) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٣٧٧

(٣) ، (٤) المائدة آية ٧٢ - ٧٣

(٥) التوبة آية ٣٠

فكذب الرسول عليه السلام وفد نجران في قولهم : عن عيسى بأنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة ودعاهم إلى المباهلة والملاعنة وهي التضرع إلى الله في الدعاء باللعن وغيره وأن تكون لعنة الله على الكاذبين فأبوا المباهلة
 ه - اتخاذ مراكز ضد الدعوة الإسلامية كما حدث عندما اتخذوا مسجد الضرار في المدينة المنورة :

حاول النصارى بالتعاون مع المنافقين اتخاذ مركز لهم في المدينة المنورة للإضرار بالمؤمنين ، ولتقوية أهل الكفر من المنافقين ، وغيرهم وستر المتكلمين الذين أرادوا الكيد للإسلام والمسلمين والتعاون مع أعداء الدين ، وذلك لكي يفرقوا بين المؤمنين ويعدوه لأعداء الدين الذين أرادوا محاربة الرسول عليه السلام والقضاء عليه وعلى المؤمنين وهوؤلاء هم أبو عامر وجنود هرقل ملك الروم . والحادثة كما يرويها الرازي وغيره من العلماء هي : كان أبو عامر الذي سماه الرسول عليه السلام الفاسق ، قد تنصرف إلى الجاهلية وترهب وطلب العلم ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لأنه زالت رياسته ، وقال لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، ولم يزل يقاتله إلى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وأبناوا مسجداً فإنسي ذاهب إلى قيصر وآت من عنده بجند فأخرج محمد وأصحابه ، فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ، وقالوا للرسول عليه السلام بنينا مسجداً الذي العلة والليله الممطرة الشاتيه ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعونا بالبركة ، فقال عليه السلام أنى على جناح سفر وإذا قد منا إن شاء الله صلينا فيه فلما رجع من غزوة تبوك سأله إتيان المسجد (١) ، فنزلت هذه الآية : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى .) (٢)

فدعا الرسول عليه السلام بعض القوم وقال : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وخرّبوه ، ففعلوا ذلك وأمر أن يتخذ مكانه كناسه يلقي فيها الجيف والقمامة .

(١) راجع تفسير الرازي جزء ٤ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ .

(٢) التوبة آية ١٠٧ .

الفصل التاسع

الرّد على عقائد النصارى المجرّفة
ومواقفهم ضدّ الإسلام

الفصل التاسعالرد على عقائد النصارى المحرفة ومواقفهم ضد الإسلام

لقد قد منا فيما سبق عقائد النصارى المحرفة، ومواقفهم ضد الإسلام والمسلمين .

ولقد بين القرآن الكريم هذه التحريفات ورد عليها وأبطلها كما قيض الله من العلماء المسلمين من أبطلها ورد عليها، كذلك بعض من النصارى المنصفين بينوا هذه التحريفات وردوا عليها، وسوف نقدم هذه الردود وهي كما يأتي :

١ - الرد على النصارى لإبطال التثليث .

لقد اجتمع في عهد قسطنطين الملك ثلاث مائة وثمانية عشر رجلاً، وضعوا الأمانة التي اتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الأرموسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل بها كتاباً بل هي مخالفة لجميع الكتب السماوية ومخالفة للعقل الصريح فقالوا فيها : (نوء من بآله واحد أب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ، ويرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المخلوق المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور الله ، إليه حق من إله حق ، مولود غير مخلوق مساوي الأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء وتأنس و الصلب على عهد بيلاطس البنطي وتآلم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب ، وأيضاً فيسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه ، وروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب مع الأب والإبن مسجود له وبمجد الناطق في الأنبياء واعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وإرجاء قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي آمين .) (١)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ج ١ ، ص ١١٥

فقولهم: (فالإله واحد ، خالق واحد ، رب واحد) هذا صحيح وحق لكن نقضوه بقولهم: (نوه من بالرب ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو للأب في الجوهر .) حيث أثبتوا إلهين هنا وأثبتوا روح القدس إلهًا ثالثًا مسجودًا له فبذلك صاروا يشبتون ثلاثة آلهة ويقولون : إنما نثبت إليها واحدًا وهذا تناقض ظاهر حيث جمعوا بين النقيضين .

يقول ابن تيمية : (قالت طائفة من العقلاء : إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى ، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ، ولهذا قال بعضهم لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً . وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وإمراته وإبنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وإمراته قولاً آخر وإبنه قولاً ثالثاً . (١))

وهذه ليست أمانة وإنما خيانة ، وليست ككل خيانة وإنما هي خيانة عظمى لأنهم خانوا الله ورسله حيث بدلوا وحرفوا ما أنزل الله .

إبطال التثليث بأقوال المسيح

- ١ - قوله عليه السلام في إنجيل يوحنا الباب السابع عشر الآية الثالثة (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته .) (٢) فبين عليه السلام أن الحياة الأبدية هي معرفة الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى رسول .
- ٢ - (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل) فاجابه يسوع : إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك وهذه هي الوصية الأولى .) (٣)

(١) الجواب الصحيح جزء ٢ ، ص ١٥٥

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ آية ٣

(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ آية ٢٨

فلم يقل عيسى عليه السلام : بأن أول الوصايا أن الرب واحد له ثلاثة أقانيم ، وإنما إله واحد لا شريك له .

٣ - (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله .) (١)

فبين عيسى عليه السلام أن الصالح هو واحد وهو الله عز وجل .

٤ - (ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لما شبقنتي) أي إلهي إلهي لماذا تركتني (فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح) (٢) فهذا القول ينفي ألوهية المسيح لأنه لو كان إلهاً لما استغاث بإله آخر ولا تمتنع العجز والموت عليه .

٥ - قول المسيح عليه السلام لمريم المجدلية : (لا تلمسيني لأنني لم أصعد إلى أبي ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم .) (٣)

فسوى بينه وبين تلاميذه وهم ليسوا أبناء الله حقيقة بل مجازاً وهذا القول على زعمهم قبل العروج بقليل وهو يثبت بأنه عبد الله وهو يتفق مع ما جاء في القرآن قوله : (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم .) (٤)

٦ - قوله عليه السلام : (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب .) (٥) فنفي عن نفسه علم القيامة كغيره من الناس وأثبتته لله عز وجل .

٧ - قوله عليه السلام : (إن أبي أعظم مني .) (٦) ففيه نفي لألوهيته لأن الله ليس كمثل شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه .

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٩ آية ٦ - ١٧

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٧ آية ٤٦ - ٥٠

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ ، آية ٧

(٤) المائدة آية ١١٧

(٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ آية ٣٢

(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ آية ٢٨

٨ - ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم نفسي حزينه جداً حتى الموت أمكثوا ههنا واسهروا معي . (١)
أيحزن الإله ويكتئب ، فهذا نفي للألوهية .

٩ - وقال عليه السلام في خطابه لتلاميذه : (ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح .) (٢)
فبين عليه السلام أن الله واحد وأنه أي عيسى معلم وليس إلهاً .

١٠ - لقد عبر المسيح عن نفسه في مواضع كثيرة من الأناجيل بأنه إبن الإنسان وأن ابن الإنسان يكون إنساناً وليس إلهاً فهذا نفي لألوهيته عليه السلام .

يقول الشيخ رحمة الله الكيرانوي : (فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالباً مجتمعة من إنجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام بعضها لا يدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم فاستنباط الألوهية منها مجرد زعمهم وهذا الاستنباط والزعم ليس بمعتدين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية ، وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى ومن بعض مواضع الإنجيل ففيها أيضاً لا اعتبار لرأيهم وبعضها أقوال يجب تأويلها عند هم أيضاً فإذا وجب التأويل فنقول لا بد أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأنى لهم ذلك ؟ فلاحاجة إلى نقل الكل بل أنقل الأكثر ليتضح منه للناظر حال استدلالهم ويقيس الباقي عليه .) (٣) .

والآن نورد بعض ما ذكره الشيخ رحمة الله في كتابه :
من إطلاق لفظ إبن الله على المسيح عليه السلام فذلك في غاية الضعف بوجهين أولاً :- لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق إبن الإنسان وبإطلاق

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ آية ٣٨ - ٣٩ .

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٣ آية ٩ - ١٠ .

(٣) إظهار الحق ج ٢ ، ص ٤٠ .

ابن داود .

ثانياً : لأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي لأن معناه الحقيقي باتفاق أهل اللغة في العالم هو من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال ههنا ، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب في شأنه وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح .
يقول مرقس : (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله .) (١)

ونقل لوقا قول القائد : (بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً .) (٢)

فاستبدل بدل لفظ ابن الله البار وهي بمعنى الصالح .

يقول المسيح عليه السلام : (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم أحسنوا إلى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسبونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات .) (٣)
فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح والعاطلين الأعمال الصالحة أبناء الله .

وقال المسيح لليهود : (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له : إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني أنتم من أب ، هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا بها ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذب وأبو الكذب) (٤) فليس الله والشيطان أباً حقيقياً لهم وإنما بالمعنى المجازي .

وقال يوحنا في إنجيله : (كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعاً يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله .) (٥)

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ آية ٣٩

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ آية ٤٧

(٣) إنجيل متى الإصحاح ١٥ آية ٤٤ - ٤٥

(٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨ آية ٤١ - ٤٢

(٥) إنجيل يوحنا الباب الثالث آية ٩

وقال أيضاً : (وكل من يحب فقد ولد من الله .) (١)
 وقال : (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب
 الوالد يحب المولود منه أيضاً .) (٢)

وقال : (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله .) (٣)
 فتدل هذه الأقوال على المجاز وليس حقيقة أبناء الله فالله لم يلد ولم يولد .
 يقول الله في سفر الخروج : (وتقول له هذا مايقول الرب إبنى بكرى إسرائيل) (٤)
 فلو كان إطلاق لفظ إبن الله موجباً للألوهية لكان إسرائيل إلهاً وليس عيسى
 لأنه البكر .

ومن استدلالهم على ألوهية المسيح قوله : (أنا والأب واحد) (٥)
 فقالوا هذا يدل على إتحاد المسيح بالله وهذا باطل بقول المسيح : (ليكون
 الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً
 فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني
 ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد .) (٦)

وقال أيضاً : (أنا فيهم وأنت في ليكونوا متكلمين إلى واحد .) (٧)
 فقوله : ليكون الجميع واحداً ، وليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، ويكونوا
 متكلمين إلى واحد تدل على إتحادهم وهذا ليس حقيقةً أنه متحد معهم
 وكذلك إتحاده مع الله ليس حقيقةً إذ لو كان حقيقةً لوجب أن يكون الجميع
 متحدين مع الله وليس المسيح عليه السلام : فالمقصود بالإتحاد بالله إطاعة
 أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة وما استدل به النصارى على ألوهية المسيح
 أنه خلق بلا أب وهذا القول باطل لأن آدم عليه السلام خلقه الله بلا
 أب وبلا أم فهو أولى بالألوهية من عيسى عليه السلام وجميع المخلوقات فسي
 بداية خلقها مخلوقة بلا أب وبلا أم فهي جميعها تكون آلهة وليس عيسى
 فقط وهذا بالطبع قول باطل وكذب وليس فيه شيء من الحقيقة .

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ، ٤ ، آية ٧

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح . ٥ آية ٢

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن آية ١٤

(٤) الباب الرابع من سفر الخروج

(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر آية ٣٠ (٦) (٧) إنجيل يوحنا الإصحاح

١٧ آية ٢١-٢٢ وآية ٣٣

ومما استدل به النصارى على ألوهية المسيح معجزاته ومنها إحياء الموتى، وهذا القول أيضاً باطل لأنه عيسى ليس الوحيد الذي له معجزات بل كل الرسل لهم معجزات أيدهم الله عز وجل بها ، وليس عيسى الوحيد الذي أحيا الموتى وإنما حزقيال أحيا الوفاً كما ورد في كتابه فهو أولى بالألوهية وإيلياء أحيا ميتاً كما ورد في سفر الملوك وكذلك اليسع أحيا ميتاً وأبـسراً الأبرص كما ورد في سفر الملوك فكلهم أحيوا الموتى بإذن الله وليس عيسى الذي أحيا فلماذا أثبتوا لعيسى الألوهية ولم يثبتوا لغيره من الرسل الذين لهم نفس المعجزات .

ومن الأدلة على نفي ألوهية المسيح قولهم : أن اليهود صلبوه . وتركوه حياً على الخشبة وقد مزقوا أضلعه وأنه كان يحتال ليهرب ويختفى منهم وأنه أظهر الجزع الشديد ، فلو كان إلهاً أو أن الإله حل فيه أو كان جزءاً من الإله حل فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه ؟ ولم يهلكهم جميعاً ؟ فهذا يدل على الكذب فلو كان إلهاً وقتل لبقى العالم بلا إله والإله الذي تقتله اليهود وهم أشد الناس ذلاً ودناءة فهو في غاية العجز ولا يستحق أن يكون إلهاً .

ومن الأدلة على بطلان ألوهية المسيح قولهم : أن عيسى عليه السلام كان كثير العبادة والطاعة ، فلو كان إلهاً كيف يعبد نفسه ؟ فالإله هو الذي تأله إليه العباد بالعبادة والطاعة وليس هو الذي يعبد نفسه فيتبين من ذلك قولهم الباطل بألوهية المسيح . (١)

٢ - ماجاء في القرآن ينفي ألوهية المسيح ويرد على المكذبين :

لقد بينا فيما سبق من أقوال المسيح ومن أحواله ، ومما يقبله العقل والمنطق ما ينفي ألوهية المسيح ويثبت الألوهية لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وبأن المسيح عليه السلام رسول كغيره من الرسل ، وسوف نذكر ماجاء في القرآن من آيات تبين بأن عيسى عليه السلام رسول ، وترد على الكاذبين الذين قالوا بأنه إله ، أو ابن إله ، أو ثالث ثلاثة .

(١) كتاب إظهار الحق الجزء الثاني ص ٢٥ - ٦١

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (١)
 فالنصارى يقولون : إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام ، فأقنوم الكلمة
 إما أن يكون ذاتاً أو صفة ، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلت
 في عيسى واتحدت بعيسى ، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول ،
 وإن قلنا أن الأقنوم عبارة عن صفة فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى
 غير معقول ، ثم بانتقال تقدير العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم
 خلو ذات الله عن العلم ، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً ، فحينئذ يكون الإله
 هو عيسى على قولهم ، فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول
 إلا أن حاصل مذهبهم ليس إلا ذلك .

والله إحتج على قولهم بقوله : (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك
 المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً .) (٢)

وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط ، والتقدير : إن أراد أن يهلك
 المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ، فمن الذي يقدر على أن يدفعه
 عن مراده ومقدوره أي من الذي يملك من أفعال الله ، ويقدر على دفع شييء
 من أفعال الله تعالى ومنع شييء من مراده .

فالله عز وجل هو صاحب الملك فهو مالك السموات والأرض وما بينهما ومن فيهما
 يخلق ما يشاء باختياره وإرادته وهو على كل شيء قدير حيث يخلق ما يشاء
 فتارة يخلق من الذكر والأنثى كما هو معتاد وتارة لا من الأب ولا من
 الأم كما هو في حق آدم وتارة من الأم كما هو في حق عيسى عليه السلام . (٣)
 قال تعالى : (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء وهو
 على كل شيء قدير .) (٤)

ثم رد الله على النصارى وبين كفرهم حيث قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم
 قاله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (٥)

(١) ، (٢) المائدة آية ١٧

(٣) تفسير الرازي جزء ١١ ، ص ١٩١

(٤) المائدة آية ١٧

(٥) المائدة آية ٧٢

وهذا القول لليعقوبية لأنهم يقولون : إن مريم ولدت إلهاً ، ولعل معنسى هذا المذهب أنهم يقولون : (أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى .

ولقد بين لهم عيسى فساد قولهم بالحجة القاطعة حيث قال لهم : (يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومال للظالمين من أنصار .) (١)
فعيسى عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فالجميع عبيد لله والله ربهم المستحق للعبادة وحده لا شريك له ومن يشرك به فجزاءوه جهنم خالد فيها وليس له نصير من دون الله ينصره .

ثم بين الله كفر الذين قالوا : بأن الله ثالث ثلاثة .

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة .) (٢)

هذا القول لبعض المفسرين حيث يقولون : أن النصارى أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة ، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى : (وأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله .) (٣) فقولهم ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة .

أما المتكلمون فقد حكوا عن النصارى قولهم : جوهر واحد وثلاثة أقانيم ، آب وإبن ، وروح القدس ، وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس إسم يتناول القرص والشعاع والحرارة ، وعنوا بالآب الذات ، وبالإبن الكلمة ، وبالروح الحياة ، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة ، وقالوا : أن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى إختلاط الماء بالخمير وإختلاط الماء باللبن ، وزعموا أن الأب إله والإبن إله والروح إله والكل إله واحد . وهذا القول باطل . ببديهة العقل ، فإن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثية ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً أو أظهر بطلاناً من مقالة النصارى . (٤)

(١) المائدة آية ٧٢

(٢) المائدة آية ٧٣

(٣) المائدة آية ١١٦

(٤) تفسير الرازي جزء ١٢ ، ص ٦٠

ورد الله على الكافرين من النصارى وبين لهم بأنه لا إله إلا الله وإن لم ينتهوا عن هذا القول سيصيبهم عذاب أليم يوم القيامة ، ومن كرم الله وجوده ورحمته يخلقه أنه يدعوهم إلى التوبة من هذا الذنب العظيم الذي قالوه والكذب الذي افتروه .

فإن تابوا فإن الله يتوب عليهم فإن الله غفور رحيم يغفر ذنوب التائبين قال تعالى : (وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .) (١) ثم بين الله عز وجل للكافرين بأن المسيح رسول كغيره من الرسل السابقين وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .

قال تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .) (٢)

يقول الرازي : بأن عيسى ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما جاءوا بمثلها ، فما أجراه الله على يديه من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى ، فقد أحيا الله العصى وجعلها حية على يد موسى وإن كان خلقه بلا أب خلق آدم بلا أب وبلا أم ، وأمه صديقة أي صدقت بآيات ربها بكل ما أخبر عنه ولدها وصدقت جبريل واجتهدت في العبادة لله عز وجل .

ويستدل على فساد قول النصارى من وجوه :

١ - أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهياً .

٢ - إنهما كانا محتاجين إلى الطعام والإله غني عن جميع الأشياء .

٣ - الإله هو القاد على الخلق والإيجاد ، فلو كان عيسى إلهاً لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير طعام وشراب . (٣)

(١) المائدة آية ٧٣ - ٧٤

(٢) المائدة آية ٧٥

(٣) تفسير الرازي جزء ١٢ ، ص ٦١ - ٦٢

قال تعالى : (إنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون .) (١)
يقول تعالى : (إنظر يا محمد كيف نوضح لهم الآيات ونظهرها ثم انظر
بعد هذا البيان والوضوح والجلء أين يذهبون ؟ وبأي قول يتمسكون وإلى
أي مذهب من الضلال يذهبون .) (٢)

ولقد رد الله عليهم مستنكراً وعلى كل من عبد غير الله من الأوثان والأصنام
ومن الأنبياء بأن كل ما عبدوه لا ينفعهم ولا يضرهم لأن الله هو الضار وهو
النافع وهو السميع العليم لأقوال عباده وأفعالهم ، ونهى أهل الكتاب عن
تجاوز الحد في تعظيم عيسى والمبالغة في إطرائه حتى أخرجوه من النبوة
إلى الألوهية وضاهم عن إتباع القوم الضالين الذين كانوا قبلهم والذين
أضلوا غيرهم وأخرجوهم إلى الضلال وأبعدهم عن طريق الإستقامة والإعتدال
كما هم خرجوا وبعدها عن الحق .

قال تعالى : (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله
هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا
أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .) (٣)
ثم رد الله على الذين قالوا : بأن المسيح ابن الله وبأن قولهم ليس
له دليل على صحته بل هو كذب وافتراء .

قال تعالى : (وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) (٤)
فرد الله عليهم مبيناً كذبهم بأن ما يقولونه ليس له أى دليل على صحته
بل هو كذب وافتراء يشابهون في ذلك ويمثلون من قبلهم من الأمم الضالّة
الذين ضلوا عن سواء السبيل .

قال تعالى : (ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون قول الذين كفروا من قبل) (٥)

(١) المائدة آية ٧٥

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٨٣

(٣) المائدة آية ٧٦ - ٧٧ .

(٤) التوبة آية ٣٠

(٥) التوبة آية ٣١

ولقد لعنهم الله لأنهم ضلوا عن الحق وعدلوا إلى الباطل .
قال تعالى : (قاتلهم الله أنى يوءفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
من دون الله وال المسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو
سبحانه وتعالى عما يشركون .) (١) ونحن إذا رجعنا إلى أصل
التوراة والإنجيل فإننا نجد هما يأمرانهم بعبادة إله واحد لا شريك له أهل الكتاب
من يهود ونصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث حللوا
لهم ما حرم الله وحرموا ما حلل الله فاتبعوهم وأطاعوهم فهذه عبادتهم
وكذلك عبدوا المسيح ابن مريم وما أمروا إلا بعبادة الله وحده لا شريك له
وهو الذي يحلل ويحرم وله التشريع وحده لا شريك له تنزهه وتقديسه عن الشركاء
والأنداد والأولاد .

ثم بين الله ما يريد الكفار من أهل الكتاب والمشركين وهو إطفاء نور الله
أى ما جاء به الرسول عليه السلام من عند الله وهو الحق والهدى والرشاد
ولكن لا يستطيعون لأن الله متم نوره ومظهره على سائر الأديان وناصره بالرغم
من كره الكفار لذلك والمشركين .

قال تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون .) (٢)

قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون . وقالوا آآلهتنا
خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عبد أنعمنا
عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل . ولو نشاء لجعلنا منكم لائكة فى الأرض يخلفون
وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم . ولا يصدنكم
الشیطان إنه لكم عدو مبين . ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة
ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعوه .) (٣)

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : (قال عليه الصلاة والسلام : يامعشر

(١) التوبة آية ٣٠ - ٣١

(٢) التوبة آية ٣٢ - ٣٣

(٣) الزخرف آية ٥٧ - ٦٣

قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير .) فقالت قريش : يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى عليه السلام كان نبياً وعيداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل إليه عز وجل قوله : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) أى يضحكون وقيل يتعجبون ويجزعون كيف ينههم عن عبادة الأوثان من دون الله والنصارى يعبدون عيسى وقالوا آلهتهم خير مما يدعوا النصارى ، وقيل بأنهم قالوا بأن محمد يريد أن نعبده كما تعبد النصارى ابن مريم وبأن آلهتنا خير منه ويعنون بذلك الرسول عليه السلام .

فرد الله عليهم : بأنهم ما قالوا إلا جدلاً ومراءً ، ليس يعتقد صحته ، فهم قوم خصمون . جبلوا على الجدال والمراء والخصام . ولقد بين الله بأن عيسى ليس إلا عبداً من عباد الله أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة وجعله دلالة وحجة وبرهاناً على قدرته سبحانه وتعالى ولو أراد الله لجعل الملائكة فى الأرض يخلفونكم فيها ، وأن الله سيبعث عيسى ثانياً ويكون من علامات الساعة ويكون إماماً وعادلاً وتبعاً للرسول عليه السلام ولا يأتى بشرع جديد فلا تشكوا فيها فإن القيامة واقعة وإن عيسى سيخرج قبل وقوعها ويكون من أشراطها ، واتبعونى فى ما أخبركم به هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان عن اتباع الحق إنه عدو بين واضح العداوة يريد أن يصدكم ويمنعكم من اتباع الحق .

وحيثما جاء عيسى بالمعجزات التى أيدته الله بها قال لهم : قد جئتمكم بالنبوة ولأبين لكم ما تختلفون فيه من الأمور الدينية فاتقوا الله باتباع أوامره واجتنبوا نواهيه وأطيعونى فى ما أمركم به من تقوى الله . (١)

ولقد بين عيسى بالحجة القاطعة بأنه عبد من عباد الله محبوب وبأن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادة الله وحده فالجميع عبيد من عباد الله ومحتاجون لله ومشركون فى عبادته وحده لا شريك له ، وهذا هو الصراط المستقيم الذى جاءهم به وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

(١) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ١٣٠ - ١٣١

قال عيسى لقومه : (فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .) (١)

فما قاله عيسى عليه السلام فيه إظهار الخضوع ، والإعتراف بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه بالباطل بأنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة لأن إقرار بالعبودية يمنع ماتدعيه جهال النصارى عليه ، ثم قال : (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه ، ثم أكد بقوله هذا صراط مستقيم . (٢)

ثم اختلف النصارى بعد ذلك أى بعد موت عيسى فمنهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يقول بأنه إله ابن إله أو ثالث ثلاثة ، قال تعالى : (فاختلف الأحزاب من بينهم) (٣) فتوعد الله هؤلاء المشركين الذين أشركوا عيسى مع الله بالعذاب الأليم فى نار جهنم خالدين .

قال تعالى : (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) (٤) وسوف يوبخ الله النصارى ويهددهم ويقرعهم على رؤس الأشهاد وذلك يوم القيامة حين يسأل عيسى أمام الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله هل هو قال لهم ذلك ؟

قال تعالى : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . ؟) (٥)

فيجيب عيسى عليه السلام بكل أدب وخضوع وتواضع لله عز وجل ، وينزّهه عما قاله الكافرون حيث لا ينبغي له أن يقول لهم ذلك القول ولا يحق له أن يقول مافيه كفر وجحود لله عز وجل فيقول عيسى عليه السلام (سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلتة فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا

(١) الزخرف آية ٦٣ - ٦٤

(٢) تفسير الرازي جزء ٨ ، ص ٥٩ - ٦٠

(٣) ، (٤) الزخرف آية ٦٥

(٥) المائدة آية ١١٦

الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . (١)

فيقول عيسى عليه السلام : إن كان صدر منه هذا القول فإن الله يعلمه لأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء لأن الله يعلم ما في نفس عيسى وما يضره وعيسى لا يعلم ما في نفس الله لأن الله هو علام الغيوب .
ويقول عيسى أمام الأَشهاد بأنه ما قال لهم : إلا ما أمره الله به وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وكان شاهداً على أعمالهم حين كان بين أظهرهم فلما هوفاه الله كان الله رقيباً على أعمالهم وشاهداً على كل شيء من أفعالهم وأقوالهم .

يقول ابن تيمية : (فإذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه أوفى تفسير كلامه أو تعدد تغيير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك ، وإنما هو رسول عليه البلاغ المبين .) (٢)

أما القول الثاني : وهو أن الله ثالث ثلاثة :

هذا القول تقول به فرق من النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية ، حيث يقولون : أب ، وابن ، وروح القدس ، ولا يقولون ثلاثة آلهة ، وهو معنى مذهبهم وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم ، وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة ، وذلك أنهم يقولون : إن الإبن إله والأب إله وروح القدس إله .

فأكفرهم الله بهذا القول حيث قال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) (٣) -

ورد الله عليهم وبين كذبهم حيث قال : (وما من إله إلا إله واحد .) (٤)
أي أن الإله لا يتعدد ، وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة وإن لم يصرحوا بذلك لفظاً ، وإن لم يكفوا عن هذا القول بالتثليث ليمسهم عذاب اليم . (٥)

(١) المائدة آية ١١٦ - ١١٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ٢٨١

(٣) ، (٤) المائدة آية ٧٣

(٥) تفسير القرطبي جزء ٣ ، ص ٢٢٤٧

قال تعالى : (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم .) (١)

٣ - الرد على النصارى القائلين بأن عيسى ابن الله :

الله هو الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي ، وقد سمي أباً لأنه في إعتقاد فلاسفة النصارى له ابن ، وهذا الابن هو المسيح عليه السلام .
حاشا الله عما يقوله الكافرون وتنزه عما يصفون وهو القائل في محكم كتابه :
(قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) (٢)
فالله عز وجل هو واحد في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته وهو الصمد الذي تقصده كل الخلائق لقضاء حوائجها وهو لا يحتاج لشيء في الوجود فهو واجب الوجود ، ولم يكن له ولد ولا بنت ولم يكن له أم ولا أب فهو الأول والآخِر والظاهر والباطن ، فليس له فرع ولا أصل وليس له معين ولا مثيل ولا شبيه ولا ند في هذا الكون .

قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً .) (٣)

ينكر الله على من زعم بأن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً ، فقد قالوا قولاً عظيماً تكاد لعظمته وهو له أن تتفطر السماء وتتشقق الأرض وتخر الجبال متساقطة مهدمة إعظاماً للرب وإجلالاً له لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد ولا صاحبة ولا كفء له بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .

وصدق القائل : وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد وما ينبغي ولا يصلح للرحمن أن يتخذ ولداً لأنه الصمد الذي لا يحتاج إلى الولد ولا إلى الزوجة بالكل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً فالكل عبيد لله ، وقد علم عددهم وأحصاهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً أي لا ناصر

(١) المائدة آية ٧٣

(٢) الإخلاص آية ١ - ٤

(٣) مريم آية ٨٨ - ٩٣

لهم ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم أحداً مثقال ذرة . (١)

وقال (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون .) (٢)
يقول تعالى منكرأ على من إدعى كذباً وزوراً بأن لله ولداً وهو الغني تقديس وتنزه عن ذلك فكل ما في السموات وما في الأرض ملك لله عز وجل وهو مالكها وكل ما في الوجود فهو فقير ومحتاج إلى الله الغني الصمد ، فكيف يكون له ولد وكل المخلوقات عبيد لله عز وجل ، هل عند هؤلاء الكافرين دليل وحجه وبرهان على ما يدعون كذباً ؟ . أيقولون على الله الكذب ؟ ثم توعد الله الكاذبين الذين افتروا عليه بأن له ولداً بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يملي الله لهم في الدنيا بالنعم ويستدرجهم بها ثم يذيقهم العذاب الشديد في نار جهنم بسبب كفرهم ونسبتهم الولد لله عز وجل .

قال تعالى : (قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع فني الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) (٣)

٤ - الرد على النصارى الذين قالوا بأن الله الإبن هو كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت إبناً للذات ، وصارت الذات أباً وكل منهما أقنوم قائم بذاته يدعى الأول الأب والثاني الإبن . (٤) :

يقول يوحنا في إنجيله : (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء كان به وبغيره لم يكن شيء مما كان . والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مطوياً نعمة وحقاً .) (٥)

(١) تفسير إبن كثير جزء ٣ ، ص ١٣٨

(٢) يونس آية ٦٨

(٣) يونس آية ٦٩ - ٧٠

(٤) الله واحد أم ثالوث ، ص ١٠٤

(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح واحد ، ص ٤٥

فهو يعتقد بأن الله الكلمة هو الله الإبن منذ بدء الخليقة، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر وهو الإبن الوحيد لله عز وجل .
 أما القرآن فيبين لنا ماهي الكلمة حيث يقول : (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .) (١)
 فالمسيح خلق بكلمة الله كما خلق آدم عليه السلام وكما خلق الكون وكل ما فيه بهذه الكلمة وهى كن فيكون يخلق الله بها مايشاء حتى تقوم الساعة قال تعالى : (كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .) (٢)

معنى الكلمة كما يرى علماء المفسرين فى الإسلام :

- ١ - أنه خلق بكلمة الله وهى قوله كن من غير واسطة الأب فلما كان تكوينه بمحض قول الله كن وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة الأب والبذر لا جرم سمي كلمة كما يسمى المخلوق خلقاً .
 - ٢ - تكلم فى الطفولة وآتاه الله الكتاب فى زمن الطفولة فكان كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً فهى كلمة بهذا التأويل . (٣)
 - ٣ - الكلمة : هى البشارة لأمه . (٤)
- فالكلمة ليست إلا بن كما يعتقد النصارى بل هذا كذب وافتراء لم يقل به نبي ولا رسول إنما قال به كذبة مفترين .

الرد على النصارى القائلين بأن الروح القدس هو الأتوم الثالث :

فهم يعتقدون بأن روح القدس هو الذي يمثل عنصر الحياة من الثالوث المقدس حيث يعتبر أتوماً قائماً بذاته وإلهاً مستقلاً . (٥)

(١) آل عمران آية ٤٥

(٢) آل عمران آية ٤٧

(٣) تفسير الرازي جزء ٨ ، ص ٣٥ - ٣٦

(٤) تفسير المنار جزء ٣ ، ص ٣٠٤

(٥) الله واحد أم ثالوث ص ١١٦

الله عز وجل هو الذي خلق كل المخلوقات في هذا الكون ولكنه أضاف خلق الروح إليه إضافة تشریف .

قال تعالى في حق آدم عليه السلام : (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) . (١)
وقال : (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (٢)

وقال : (وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون .) (٣)

فالله عز وجل خلق كل المخلوقات وخلق كل الناس فآدم وعيسى وكل إنسان نفخة من روح الله وليس أقنوماً قائماً بذاته ولا إلهاً مستقلاً كما يدعى النصارى وقال تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .) (٤)

فالروح هنا بمعنى النسمة التي تدب الحياة في الكائنات الحية وهي نفخة من روح الله وليست إلهاً مستقلاً .

وقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا .) (٥)
وقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره .) (٦)
وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (٧)

(١) ص آية ٧٢

(٢) التحريم آية ١٢

(٣) السجدة آية ٧ - ٩

(٤) الاسراء آية ٨٥

(٥) الشورى آية ٥٢

(٦) النحل آية ٢

(٧) المجادلة آية ٢٢

فما أنزله الله على أنبيائه من الوحي يسمى روحاً ويسمى نوراً وهدى . وكذلك القوة التي يرسلها الله لتأييد رسله وأنبيائه .
وقد جاء في القرآن جبريل عليه السلام بمعنى الروح .
قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين .) (١)

وجاء جبريل بمعنى روح القدس .

قال تعالى : (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (٢)
يقول ابن كثير : (وأيدناه بروح القدس) يعني أن الله أيدته بجبريل عليه السلام (٣)

قال تعالى : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) (٤)
فالروح هنا بمعنى الرسول الذي أرسله الله إلى مريم عليها السلام .
وهو جبريل عليه السلام . وليس أقنوماً قائماً بذاته كما يدعى النصارى .

٥ - الرد على قول النصارى بأن عيسى صلب تكفيراً عن الخطيئة :

يقول مرقس : (إن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فديه عن كثيرين .) (٥)

وقال يوحنا : (لأنه أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله ابنه للعالم ليدين العالم بل ليخلص العالم .) (٦)

(١) الشعراء آية ١٩٢ - ١٩٤

(٢) البقرة آية ٢٥٣

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٣٠٤

(٤) مريم آية ١٧ - ١٩

(٥) إنجيل مرقس للإصحاح العاشر ، ص ٧٦

(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث ، ص ١٤٩

ويرد القرآن عليهم :

١ - بأن عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه وألقى الشبه على واحد منهم فصلبوه ظانين أنه عيسى عليه السلام .
قال تعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .) (١)

٢ - والله عز وجل من عدله ورحمته أنه لا يؤخذ أحداً بذنب لم يرتكبه ولم يكن له أى دخل فيه كما قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى .) (٢) بل كل إنسان مسئول عن أعماله .

فقولهم : بأن المسيح بذل نفسه فدأ عن البشر ، قول كاذب لا يقبله العقل وليس له دليل بل هو من إختراعهم وزعمهم وأباطيلهم .

وأما قولهم : بأن المسيح إرتفع إلى السماء بعد صلبه وجلس بجوار السرب وسيأتى ليحاسب الناس وينجازهم يوم القيامة على أعمالهم ، فهذا أيضاً كذب لم يقل به المسيح عليه السلام ولا غيره من الرسل ، لأن الذي سيحاسب الخلائق يوم القيامة هو الله عز وجل وليس المسيح عليه السلام .

يقول الشيخ محمد عبده : (والله إننى لا أرى من عجائب أطوار البشر وقلوبهم للحقائق ، ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية في الأرض ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول جعلوها ديانة وثنية يتثليث غير معقول ، أخذوه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة إقتباساً مشوهاً ، ديانة شريعة سماوية ، نسخوا شريعتها برمتها وأبطلوها ، واستبدلوا بها بدعاً وتقاليد غريبة عنها - ديانة زهد وتواضع وتكشف وإيثار وعبودية جعلوها ديانة طمع وجشع وكبرياء وترف وأثرة واستعباد للبشر ، ديانة أصولها التي هم عليها مقتبسة من الوثنية الأولى لم ترد كلمة تدل على أن عقيدتها عن أنبياء بني إسرائيل ، ولكنهم زعموا أنها مستمدة من جميع كتب أنبياء بني إسرائيل ديانة نسبوها للمسيح عليه السلام وليس عندهم نص من كلامه في أصول عقيدتها التي هي التثليث ، وإنما بقي عندهم نصوص قاطعة من كلامه في

(١) النساء آية ١٥٧

(٢) فاطر آية ١٨

حقيقة التوحيد والتنزيه وإبطال التثليث وعدم المساواة بين الأبوالإبسن الذي أطلق لفظه مجازاً عليه وعلى غيره من الأبرار ومع أنه كان يعبر عن نفسه في الأكثر بإبن الإنسان . (١) ويرد المنصفون من اليهود والنصارى على خرافات أقوال النصارى مثل إسبنوزا- وشارل جينيبيز.

فيقول إسبنوزا : (لاشك في أن هذا الإختلاف في الأسس التي يقيم عليها الحواريون الذي كان سبباً لكثير من المنازعات والإنقسامات التي مازالت تعاني منها الكنيسة منذ زمن الحواريين ، لاشك أنها ستظل تعاني منها إلى الأبد حتى يأتي اليوم الذي ينفصل فيه الدين أخيراً عن التأمّلات الفلسفية ويقتصر على عدد صغير جداً من العقائد الشديدة اليسر التي دعا إليها المسيح نفسه . أما الحواريون فلم يستطيعوا ذلك لأن الناس كانوا يجهلون الإنجيل ، وعلى ذلك فلكي لا يصدّم الناس بشدة بهذه العقيدة الجديدة كيفها الحواريون بقدر إستطاعتهم مع روح عصرهم . (٢) أما شارل جينيبيز فيقول : (فالمسيحية إذن ديانة أنشئت - على أساس يهودي - من عناصر متباينة كثيراً ، وإن جمع بين أشناتها على سواء الأصل الشرقي : عناصر يونانية في جوانب كثير منها ، ولكنها أيضاً عناصر من آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ومصر .) (٣)

ويقول شارل جينيبيز عن الأناجيل : (وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة المتعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتصوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواء وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه .

ولم يقل عن نفسه بأنه إبن الله ، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين .

(١) تفسير المنار جزء ٦ ، ص ٩٣ - ٩٤

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٣٣٥ ، تأليف إسبنوزا ترجمة دكتور

حسن حنفي مراجعة دكتور فؤاد زكريا ، ١٩٧١ م .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها ٢٨٥

كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، إنها اللغة التي استخدمها بوليس ، كما استخدمها مؤلفا الإنجيل الرابع ، وقد وجدنا فيها معاني عميقة ، وعلى قدر كاف مسن الوضوح بالنسبة إليهما . (١)

ويقول موريس بوكاي : (بالنسبة للأناجيل فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص ، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على إصاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده . لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح : فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها . (٢)

وبهذا تتبع القرآن الكريم شبه النصارى ورد عليها رداً يخبرهم ، وقد احتذى النصارى حذو القرآن ، فنجد هؤلاء عندما تنورت عقولهم لا يستسيغون هذه العقيدة المحرفة فيتركونها إما إلى الإلحاد وإما إلى الإسلام .

٦ - الرد على مواقف النصارى تجاه المسلمين :

لقد كان الرد على النصارى يتفق مع أفعالهم التي كانت متنوعة فهم قد قاموا بإثارة الجدل والشبه ، واتخاذ مراكز في بلاد المسلمين ، وبقتل الرسل ثم بقتل من أسلم منهم ، ثم بإعلان الحرب على المسلمين .

ولقد كان الرد يناسب ما قاموا به من أفعال فمن حيث الحرب قد جبرت عادة النصارى وبخاصة في العصور الأخيرة أن يتهموا الإسلام بأنه انتشر بالسيف والمنتبع للتاريخ يجد أن النصارى هم الذين بدأوا بالإعتداء فسي القديم وفي الوسيط وفي الحديث ، فقد رأينا ذلك واضحاً في غزوة مؤتة حيث كانوا هم البادئين بالتحرش والعداء بالمسلمين . سواء كان على يد السروم أو أتباعهم من العرب الذين كانوا يحكمون تحت سلطانهم ويأتمرون بأمرهم .

(١) المسيحيين نشأتها وتطورها ، ص ١٣ - ١٤

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣١

وفي العصور الوسطى هم الذين أشعلوا الحروب الصليبية والتي استمرت قرنين من الزمان ، والتي انتهت بهزيمتهم .
أما في العصور الحديثة فكل ما وقع لبلاد المسلمين من شر كان بسببهم ولا يزال يحصل حتى الآن .

فهل بعد ذلك يقولون بأن الإسلام انتشر بالسيف !
هل كانوا يتوقعون من المسلمين أن يقفوا مكتوفي الأيدي يمدون رقابهم لمن يذبحهم ؟

إن ما حصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين من بعده كان دفاعاً ضد هؤلاء المعتدين الذين كانوا يمنعون الإسلام أن يصل إلى شعوبهم ليخلصها من عبادة الناس إلى عبادة الله ويخرجها من الظلام إلى النور ، وينصر المستضعفين الذين استعبودهم .

لذلك جهز الرسول عليه السلام الجيوش الإسلامية لرد إعتدائهم ولقتالهم إمتثالاً لقول الله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .) (١)

ففي هذه الآية دليل على أن النصارى لا يؤمنون بالله ولو ادعوا ذلك لأن الذي يؤمن بالله إيماناً مشوهاً حيث نسبوا لله الولد ، وجعلوه ثالث ثلاثة وحرموا ما أحله الله وأحلوا ما حرمه الله لا يكونون مؤمنين ولو ادعوا الإيمان ثم لم يؤمنوا باليوم الآخر . وما فيه من حساب وجزاء حيث يقولون : (إن كل معصية تغفر بالإتحاد بالمسيح وتناول العشاء المقدس .)

فكانت غزوة مؤتة ثم تبوك التي نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكانت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية التي تكلمت بالنصر والتوفيق وانتشر الإسلام حتى وصل إلى أوروبا . غرباً وإلى الصين شرقاً .

وأما بالنسبة لحسد هم للمسلمين وحقد هم عليهم فإن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله بالآلا يلقي إليهم بالآلا وأن يتوكل عليه في كل أمره ويعفو عنهم

(١) الحرب في الإسلام لا تقتصر على الدفاع عننا بل هي لإبصار أعدائنا المسلمين ولكن تكون أيضاً هزيمة لهم ولتتبع ذلك الإسلام وإنما لإزالة الطغرات للعدو
وهنا نستطيع أن نرى لماذا ذهبت الجيوش الإسلامية إلى الهند والبعير
لأنهم أرادوا أن يعرفوا الناس بالإسلام وأنه يعبد الله عز وجل لا غيره
يا رب

ويصفح حتى يأتي الله بأمره فهو القادر على كل شيء .
قال تعالى : (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء
قدير .) (١)

وأنه هو الذي يختص برحمته من يشاء من عباده لأنه صاحب الفضل العظيم
ومن فضله العظيم ورحمته أن أرسل الرسول عليه السلام بالإسلام وأنزل عليه
القرآن الذي فيه الخير والرشاد للإنس والجان .

قال تعالى : (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) . (٢)
ولقد رد الله على قولهم : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) (٣)
بأن هذه أوهام وتخيلات وطالبهم بالدليل على صدقهم في ما يقولون وما يدعون ؟
وهيئات أن يأتوا ببرهان أو دليل فهذه أماني تمنوها ، وتخيلات تخيلوها
وليس لها دليل من الصحة والواقع .

قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .) (٤)

لقد تحداهم الله بأن يأتوا بدليل على صحة ما يقولون ، ولا يزال هذا التحدي
قائماً حتى تقوم الساعة .

ولقد بين الله حقيقة الكفار وهي عدم الرضا عن المسلمين حتى يتبعوا
دينهم ويتركوا دين الاسلام لأن الحقد والكراهية قد ملأت قلوبهم والغرور
والكبر سيطر عليهم فرد الله عليهم بقوله : (قل إن هدى الله هو الهدى
ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من لست
ولا نصير .) (٥)

هذه آية سنّة بآية الجسد .

(١) البقرة آية ١٠٩

(٢) البقرة آية ١٠٥

(٣) ، (٤) البقرة آية ١١١

(٥) البقرة آية ١٢٠

يقول ابن كثير: (يقول جل ثناؤه وليست يا محمد اليهود ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، وقل لهم : إن هدى الله الذي بعثني به هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل .

يقول قتادة : هذه خصومة علمها الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليخاصموا بها أهل الضلالة ، وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة فإن الخطاب للرسول عليه السلام والأمر لأمرته . (١)

وحيثما حاولوا أن يشوهوا عقيدة التوحيد بقولهم : أتريد أن نعبدك يا محمد كما عبدت النصارى ابن مريم ؟ رد الله عليهم بقوله : (ما كان لبشر أن يوئتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون .) (٢)

ولقد رد الرسول على وفد نجران وأبطل كذبهم في دعواهم أن عيسى إله أو ابن إله وأنه ثالث ثلاثة ودعاهم إلى المباهلة لتبين الصادق من الكاذب . قال تعالى : (فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم . وأنفسنا وأنفسكم من نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .) (٣)

ولم يقبل النصارى المباهلة ورضوا بدفع الجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب بأنهم إن باهلوا الرسول عليه السلام اضطرم عليهم الوادي لأن محمداً نبي مرسل جاء بالفصل في أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم على أن يوئدوا في كل عام ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ، فصالحهم الرسول عليه السلام على ذلك . (٤)

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١٦٣ .

(٢) آل عمران آية ٧٩ - ٨٠ .

(٣) آل عمران آية ٦١ .

(٤) تفسير القرطبي جزء ٢ ، ص ١٣٤٦ .

وتأخذ من المباهلة أكبر دليل على أنهم لا يؤمنون بدينهم حق الإيمان لأنهم لو كانوا واثقين منه لقبولوا المباهلة دون النظر إلى النتائج ، ولكنه التعصب للباطل .

ولقد رد الله على النصارى الذين أرادوا إتخاذ مراكز ضد المسلمين، وأخبر الرسول عليه السلام بما يبيتونه في الخفاء، وبما يدبرونه من مكائيد ضد الإسلام والمسلمين هم وأعوانهم من المنافقين .
فبين الله كذبهم في إدعائهم بأنهم أرادوا الحسنى، ونهى الرسول عليه السلام عن القيام فيه، ويكفى من يشهد الله عليه بالكذب ذلاً وهواناً .

قال تعالى : (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون .) (١)
ثم بعد ذلك ينهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم كما ينهى جميع المؤمنين عن القيام في هذا المسجد ، ثم يضع الأسس التي يجب أن تراعى في إقامة المساجد وهي تقوى الله سبحانه وتعالى في كل عمل نعمله وخاصة المساجد، فيقول : (لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (٢) .

ثم يضع مقارنة بين بنائين أحدهما أسس على التقوى والأخر للإضرار وعدم التقوى، وإنهما لا يمكن أن يتساويا، فالذين يضعون بنيانهم للإضرار بالإسلام والمسلمين يبقى وبالإلزام عليهم . يقول الله عز وجل : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبه في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم .) (٣)

يقول سيد قطب رحمه الله : (هذا المسجد الذي إتخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكيده للإسلام والمسلمين ، لا يراد به إلا الإضرار بالمسلمين ، وإلا الكفر بالله وإلا ستر المتكافرين على الجماعة المسلمة الكائدين لها في الظلام ، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين . هذا المسجد لا يزال يتخذ في صورته تلاءم إرتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين تتخذ في صورة أوضاع ترفع

(١) (٢) المتوبة آية ١٠٧ - ١٠٨

(٣) التوبة آية ١٠٩ - ١١٠

لافتة الدين عليها لتترس وراءها وهي ترمي هذا الدين وتتخذ في صورة
تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدر القلقين الذين
يروون الإسلام يذبح ، ويمحق ، فتخدرهم هذه التشكيلات ، وتلك الكتب
إلى أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق . . . وتتخذ في صور شتى كثيرة .
ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزال الالفتات الخادعة
عنها وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها . ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار
على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

(١) في ظلال القرآن جزء ٤ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦

الفصل العاشر

المنافقون وموقفهم
من الإسلام

الفصل العاشرالمنافقون

تعريف النفاق :

المنافق في اللغة مأخوذ من النافق، والنافق إحدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه ، فإذا أتى من قبل القاصعاً ضرب الجربوع النافقاً برأسه فانتفق أي خرج وقيل مأخوذ من النفق وهو الرب تحت الأرض ويراد أن يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه .
أما في الإصطلاح فهو إظهار الإيمان وستر الكفر . (١)

يقول ابن كثير : (النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو نوعان :

- ١ - إعتقادي ، وهو الذي يخلد صاحبه في النار .
- ٢ - عملي ، وهو من أكبر الذنوب لأن المنافق يخالف قوله ، فعله ، وسره علانيته . (٢)

تمهيد :

من المعارضين للدعوة الإسلامية في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك في كل زمان ومكان المنافقون ، وهم الذين كانوا يظهرن الإسلام كذباً ويبطنون الكفر حقيقة ، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن صفاتهم السيئة وأعمالهم الحقيرة والذنيئة ضد الرسول عليه السلام وضد المسلمين لكي يأخذ المسلمون الحذر والحيطه منهم حيث يندسون بين المسلمين ، ويقتربون بالإسلام لكي يحيكوا المؤامرات ، والمكائد في الخفاء ولا يخلوا أي مجتمع من المجتمعات من أمثالهم ، وهوؤلاء أشد خطراً على الإسلام من الكفار الذين أعلنوا كفرهم جهاراً فعرفهم المسلمون وحذروا منهم .

نشأتهم :

لم يكن في مكة نفاق ولا منافقون ، وذلك لأن الإسلام في مكة لم تكن له دولة ولا قوة ، وكذلك لم تكن له عصابة يخشاها أهل مكة بل على المعكس كان

(١) لسان العرب مادة نفق .

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ، ص ٤٧

الإسلام مضطهداً ، وكان المسلمون مطاردين وكانت الدعوة كذلك مطاردة ولم يكن يدخل في الإسلام إلا الذين كانوا صادقين في إيمانهم مضحين فسي سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، ولكن حينما هاجر الرسول عليه السلام والمؤمنون إلى المدينة المنورة التي شرفها الله بهجرة المصطفى عليه السلام والتي انتشر فيها الإسلام إنتشاراً عظيماً وأصبح له قوة يحسب لها حساب فاضطر لمصانعتها عدد كثير وخاصة بعد غزوة بدر والتي كرم الله المؤمنين^{فيها} بالنصر على الكافرين ، فوجد المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول فرصة سانحة لهم وهي إظهار الإسلام كذباً وإخفاء الكفر حقيقة وهذه الفرصة هي المصالح المادية التي يحصلون عليها ثم الكيد والمكر بالإسلام والمسلمين . وكان المنافقون متعاونين مع كل أعداء الإسلام وبخاصة مع اليهود الذين عرفوا على مر التاريخ بالكيد والمكر والخبث ، فأخذوا يدبرون مخططاتهم الخبيثة ومكائدهم الحقيرة في الخفاء ضد الإسلام والتي كان القرآن يخبر الرسول عليه السلام عنها ويبين له خداع وكذب المنافقين ويوضح نواياهم أولاً بأول ، وقد سمى الله في القرآن سورة بإسْمهم وهي سورة (المنافقون) والتي بين الله فيها صفات هؤلاء المنافقين وأفعالهم ، ولقد تحدث كثير من سور القرآن عن المنافقين وهاهي آيات من سورة البقرة يصف لنا الله فيها المنافقين .

قال تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فسي الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .) (١)

هذه الآيات المباركات تبين لنا واقع المنافقين في المدينة المنورة وكان التاريخ يعيد نفسه حيث نجد هذه الصفات متكررة في هذا الزمان وهذه الصفات هي الكذب ، الخداع ، العناد ، الكبر ، اللؤم ، المكر ، السفه - التأمُر الجبن - الفساد - الاستهزاء - الضلال والانحراف .

موقف المنافقين من الإسلام والمسلمين :

لقد كان للمنافقين مواقف مخزية ، وحقيرة مليئة بالكيد والخبث والحقد والعداء للرسول عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ، وهذه المواقف المتعددة كانت طوال العهد المدني وسوف نتكلم عن بعض منها وهي :

١ - موقف الخداع والكذب :

كان المنافقون يظهرون الإسلام كذباً ويبطنون الكفر حقيقة لكي يخدعوا المؤمنين ، وحتى يدبروا مؤامراتهم في الخفاء والسر ، ونسوا أن الله مطلع عليهم ، ولكي يتركهم يتمادون في أعمالهم وخداعهم ، فيخدعون أنفسهم دون أن يشعروا .

قال تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .) (١) ومن مظاهر كذب المنافقين وخداعهم أنهم كانوا يظهرون المحبة للرسول عليه السلام ويحدثونه بكلام أحلى من العسل ولكن كانت قلوبهم مليئة حقسداً وبغضاً وضحينة للرسول عليه السلام وللمؤمنين .

قال تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .) (٢)

ومن كذب المنافقين إتخاذهم أيمانهم وقاية حيث كانوا يحلفون كذباً ليغترب المسلمون بهم ويصد قوهيم فيما يقولون .

(١) البقرة آية ٨ - ٩

(٢) البقرة آية ٢٠٤ - ٢٠٥

قال تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . إتخذوا أيمانهم جنسة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .) (١)

ورغم ما كان يخفيه المنافقون من الحقد والبغض في قلوبهم إلا أنه كان يظهر على ملامح وجوههم ، ومن كلامهم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خيالا ود واما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتوأمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الا نامل من الغيظ .) (٢)

ينهى الله عز وجل عباده المؤمنين من إتخاذ المنافقين بطانة يطلعونهم على أسرارهم والمنافقون يسمون جهدهم لمخالفتهم والضرر بهم بما يستطيعون من مكر وخديعة ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم . قال ابن مسعود والسدي : (هذا شأن المنافقين يظهرن للمؤمنين المودة وهم في الباطن بخلاف ذلك .) (٣)

ومن مظاهر كذب المنافقين وخذاعهم إظهار الإيمان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعد خروجهم من عنده يسارعون في العداوان والظلم ، وأكسل المال بالباطل .

قال تعالى : (وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون .) (٤)

(١) المنافقون آية ١ - ٣

(٢) آل عمران آية ١١٨ - ١١٩

(٣) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩

(٤) المائدة آية ٦١ - ٦٢

يقول ابن كثير : (وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمن في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر .) (١)

والسبب الذي جعل المنافقين يكذبون ويقسمون بالله بأنهم مؤمنون هو : خوفهم من المؤمن بأن يفعلوا بهم ما فعلوه بالمشركين لذلك أظهروا الإسلام تقية وأخفوا الكفر والحقد على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمن قال تعالى : (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمعون .) (٢)

لقد بين الله عز وجل كيف كان حالهم الجزع والفرع والهلع الذي جعلهم يحلفون بالله إنهم لمنكم ولو وجدوا حصناً يتحصنون به أو حزرًا يتحرزون به أو سرًا بأسرعوا إليه ذاهبين عن المؤمن لأنهم إنما يخالطون المسلمين كرهًا لا محبة وودوا أنهم لا يخالطون المؤمن ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزالون في عز ونصر ورفعته ، ولهذا كلما أسر المسلمون ساء ذلك المنافقين وودوا أن لا يخالطوا المؤمن لذا قال الله : (لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمعون .) (٣)

فهذه الآيات المباركات صورت خوف المنافقين من المؤمن .

٢ - موقف التثبيط والتخذيل وإشاعة الفشل بين المؤمن :

لقد حاول المنافقون تخذيل المؤمنين واضعافهمهم وبذر الخوف في قلوبهم وذلك بإشاعة الأقوال الكاذبة لكي يحطموا معنويات المسلمين ويوهنوا من عزائمهم ، ويفرقوا صفوفهم ، ولكن كان إيمان المؤمن قويا أقوى من مكائد المنافقين .

وقد بين لنا القرآن هذه المواقف التي قام بها المنافقون .

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٧٥

(٢) التوبة آية ٥٦ - ٥٧

(٣) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٦٤

قال تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر شيء؟ قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا .) هكذا كان موقف المنافقين يوم أحد حيث أخذوا يرددون قول : (لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا) وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين ويثبطوهم ويخذلوهم .

قال تعالى : (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قتل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين .) (١)

هذا القول كان يردده عبد الله بن أبي ريثم المنافقين وأصحابه وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين . وكان قولهم : (لو سمعوا مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل .) (٢)

من هذا القول يتبين لنا أن المنافقين كانوا قد أشاروا على المؤمنين بعدم الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً .) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً .) (٣)

هكذا كان موقف المنافقين يوم غزوة الأحزاب حيث أخذوا يقولون الأقوال الكاذبة ويشيعون الفشل وينشرون الخوف بين المؤمنين وذلك لكي يبعدوهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين وليوهنوا عزائمهم ، ويثبطوا همهم .

قال تعالى : (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً أشح عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور

(١) آل عمران آية ١٦٨

(٢) تفسير ابن كثير جزء ١، ص ٤٢٥

(٣) الأحزاب آية ١٢ - ١٣

أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير، أولئك لم يوءمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً . (١)

يبين الله لنا كيف كان المنافقون يعوقون المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله وذلك بدعوتهم للإستمتاع بالظلال والثمار معهم ، وتركهم القتال وترغيبهم في الجلوس للراحة والدعة ، وهم بخلاء عليهم بالمودة والشفقة (٢) قال تعالى : (وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً .) (٣)

تبين لنا هذه الآية موقف المنافقين أثناء الخروج للقتال يتباطئون ، وكذلك يبطنون المسلمين عن الخروج ويخذلونهم كما حدث أثناء خروج المسلمين إلى أحد ومعهم ابن أبي وجماعته المنافقون ثم بعد ذلك تولوا عن المؤمنين وعادوا إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذل عنهم عبد الله بن أبي ، سلول بثلت الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ما ندري على ماذا نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس فرجع يمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب وأتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يقول : (يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبئكم عند ما حضر من عدوهم ، فقالوا : (لو نعلم أنكس تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال ، قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإصراف عنهم قال : أبعدم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه .) (٤)

(١) الاحزاب آية ١٨ - ١٩

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٣ ، ص ٤٧٤

(٣) النساء آية ٧٢

(٤) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥

وكذلك ماكان من تخذيل المنافقين يوم تبوك وإرجافهم للمسلمين وتخويفهم قائلين لهم : (أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكانا بكم غداً مقرنين في الحبال .) (١)

ثم ماكان من إنسحاب ابن أبي وجماعته من غزوة تبوك بعد أن عسكر هو ومن معه نحو ذباب .

قال ابن إسحاق : (وضرب عبدالله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرب .) (٢)

ومن حاولتهم في التشييط قولهم للمؤمنين : (لاتنفروا في الحر) (٣) وذلك لأنه كان الخروج لغزوة تبوك في شدة الحر عند طيب الثمار والظل في المدينة فأخذ المنافقون يثنون المؤمن عن الخروج بتخويفهم من الحر ويجبون إليهم الجلوس في المدينة حيث الراحة والثمار والظلال وهذا ليس رحمة وشفقة بالمؤمنين وإنما تخذيل وتشييط وإحباط لهمهم وإبعادهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن هشام : (أن ناساً من المنافقين كانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي وكان بيته عند جاسوم يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم الرسول عليه السلام طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعلوا .) (٤)

موقف التجسس لأعداء الإسلام :

كان المنافقون يستترون ويتخفون بالإسلام حتى يستطيعوا تدبير مكائدهم ومخططاتهم ضد الإسلام والمسلمين ، ومن هذه الخطط التجسس على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين حيث كانوا يحضرون مجالس الرسول عليه

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٥١٩

(٣) التوبة آية ٨١

(٤) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٥١٧

السلام وغزواته حتى يستمعوا إلى أقواله ثم ينقلوها إلى الأعداء .
 قال تعالى : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين
 قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
 سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم
 هذا فخذوه وإن لم تؤمنوا فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله
 شيئاً .) (١)

لقد بين الله لرسوله عليه السلام بأن المنافقين يحضرون مجلسه ليسمعوا ما يقوله
 ثم ينقلوه إلى أعداء الإسلام والمسلمين ، وهذا شأن المنافقين قديماً وحديثاً
 التجسس للأعداء .

قال تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض
 قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون .
 أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون .) (٢)

قال الضحاك : (يعنى المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى
 الله عليه وسلم قالوا : آمنا .) وقال السدي : (هؤلاء ناس من اليهود آمنوا
 ثم نافقوا وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر الرسول
 صلى الله عليه وسلم وأمره فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر ، فلما أخبر الله نبيه
 صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون .) (٣)

وكان من مواقف التجسس إتخاذ المنافقين مسجد الضرار للإجتماع فيه لتدبير
 المؤامرات والتجسس ضد الإسلام والمسلمين .

قال تعالى : (والذين إتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين
 وأرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله
 يشهد أنهن كاذبات . لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم
 أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين .) (٤)

(١) العائدة آية ٤١

(٢) البقرة آية ٧٦ - ٧٧

(٣) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١١٥

(٤) التوبة آية ١٠٧ - ١٠٨

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير : أن الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا إثني عشر رجلاً من المنافقين بنوا مسجداً يضارون به مسجد قباء . وقد وصفه الله بأربع صفات وهي :

- ١ - ضراراً اتخذوه ليضروا به المؤمنين .
 - ٢ - وكفراً أي بالنبي صلى الله عليه وسلم .
 - ٣ - وتفريقاً بين المؤمنين أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين .
 - ٤ - وإرساداً لمن حارب الله ورسوله ، والمقصود به أبو عامر الذي سماه الرسول عليه السلام الفاسق ، وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لأنه زالت رياسته وحاربه يوم أحد ، وقال : (لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم .) ولم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج إلى بلاد الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابتوا لي مسجداً فاني ذاهب إلى قيصر ، وآت من عنده بجند ، فأخرج محمداً وأصحابه ، فبنوا المسجد وانتظروا بمجيء أبي عامر ليصلى بهم في ذلك المسجد .
- وأن المنافقين عندما بنوا ذلك المسجد لتلك الأغراض الفاسدة كان ذلك عند ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، وقالوا : يا رسول الله بنينا مسجداً لذي العلة والليله المطيرة والشامية ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعولنا بالبركة ، فقال عليه السلام : إني على جناح سفر وإذا قدمنا صلينا إن شاء الله فيه ، فلما رجع من تبوك سأله إتيانه فأخبره الله بكيدهم ونهاه عن الصلاة فيه حيث قال الله عز وجل : (لا تقم فيه أبداً .) (١)
- فدعا الرسول عليه السلام بعض القوم وقال لهم : (إنطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وخرّبوه) ففعلوا ذلك وأمر الرسول عليه السلام أن يتخذ مكانه كناسة يلقي فيها الجيف والقمامة . (٢)

(١) البقرة آية ١٠٨

(٢) تفسير الرازي جزء ١٦ ، ص ١٩٣ - ١٩٥

موقف الإعراض عن الجهاد والقتال في سبيل الله :-

كان المنافقون كما تقدم يحاولون ألا يشتركوا في القتال ، ويقوموا بالإعتذار بأعذار واهية ، أو ينسحبوا قبل بدء القتال كما حدث في غزوة أحد حينما انسحب ابن أبي وجماعته ، وقالوا : لو كنا نعلم قتالاً لاتبعناكم . أو كما حدث في غزوة تبوك حينما انسحبوا واعتذر من اعتذر منهم بأعذار واهية كاذبة ، وكانوا إذا اشتركوا في غزوة من الغزوات بغية التجسس ، أو إشاعة الفشل ، أو التفريق بين المؤمنين أو للفساد بين الناس أو طلباً للغنيمة وليس حياً في الجهاد في سبيل الله .

وكان الرسول عليه السلام إذا نادى للجهاد غشيم الخوف والحيرة والاضطراب كأنهم في غمضية الموت .

قال تعالى : (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ، فأولى لهم . طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم . فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . (١))

وقال تعالى : (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون . (٢))

يبين الله السبب الذي منع المنافقين من الخروج هو أنهم لم يتوقعوا سفراً قريباً ولا غنيمة قريبة حيث كان السفر إلى الشام التي تبعد عنهم والتي يشق عليهم السفر إليها بالإضافة إلى الخوف من الأعداء ، لذلك أخذوا يحلفون للرسول ويعتذرون وهم كاذبون .

قال تعالى : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لاتنفروا في الحرب) (٣)

(١) محمد آية ٢٠ - ٢٢

(٢) التوبة آية ٤٢

(٣) التوبة آية ٨١

من هذه الآياتيتين لنا كيف كان المنافقون يكرهون الجهاد في سبيل الله بالأموال أو بالنفس ، ويوصى بعضهم بعضاً بعدم الخروج في الحر حيث كان الجو صيفاً والجوشديد الحرارة والقيظ .

وليس المراد الخوف من الحر ، ولكن مرادهم هو عدم القتال وعدم مساعدة المسلمين ، وما كان الحر إلتاراً يسترون به ككل معاذيرهم التي اعتذروا بها والسبب الحقيقي أن العقيدة الإسلامية لم تملك قلوبهم بل كانوا من أعدائها ، ولم تكن لديهم القدرة والشجاعة ليظهروا كرههم ويتحملوا نتائجه فأصبح حالهم بين هوءلاء وهوءلاء .

موقف الإيذاء للرسول عليه السلام وللمؤمنين :

حاول المنافقون برئاسة ابن سلول إيذاء الرسول عليه السلام وصحابته يشتى أنواع الإيذاء ومن ذلك الإيذاء ما حدث في غزوة بني المصطلق حينما حدث نزاع بسيط بين المهاجرين والأنصار ، فغضب لذلك عبد الله بن سلول وقال : (أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدنا رجلاً ولا نبياً قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل) ثم قال لمن حضره من قومه : (هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أسكتكم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .) (١)

قال تعالى : (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل) (٢) وحينما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أذن في الرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه ليقضي على الفتنة التي أرادها ابن سلول ولكن لم يكتف هذا المنافق بذلك وإنما حاول أن يؤذي الرسول عليه السلام في أحب نساءه إليه وهي السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها حيث اتهمها كذباً وزوراً بالفاحشة مع صحابي جليل . من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٢٩١

(٢) المنافقون آية ٨

وتبدأ القصة كما ترويه السيدة عائشة فتقول : (كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودثونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فممت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرجل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمت عقدي فحسني ابتغاءوه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتطوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم ينقلن ولم يغشهن اللحم وإنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتمل وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأمت منزلى الذى كنت فيه فظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى فيينا أنا جالسة غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطىء يدها فركبتها فأنطلق يقودنى الراحله حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحو الظهيرة فهلك من هلك وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أبى اسلول فقد منا المدينة فاشتكىت بها شهرًا والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك . . . فقام الرسول عليه السلام من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى اسلول فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً . وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلى إلا معى ، فقام سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرک منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من أخواننا من الخزرج أمرت ففعلنا فيه أمرک .) (١)

ومن إيذاء المنافقين ما تحد ثوابه بغى غزوة تبوك حينما ضلت ناقة الرسول عليه السلام

فقالوا : (أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم بخبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟) فقال : (عليه السلام :) والله إنني لأعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا وقبيل حبيبتها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى أتوني بها ، فذهبوا وجاءوا بها . (١)

وكذلك من إيذاء المنافقين للرسول عليه السلام قولهم : أيظن أن يفتح قصور الروم وحصونها ؟؟ هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه على ما قالوا ، فقال : (على بهوءلاء النفر) فقال : (قلت كذا وكذا ، فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب قال تعالى فيهم) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أيا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزون (٢)

وكذلك كان المنافقون يؤذون المؤمنين بقولهم : ما أرى قراءنا هوءلاء إلا أرغبنا بطوننا ، وأكذبنا السنة ، وأجبنا عند اللقاء ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام فجاء المنافق يعتذر إلى الرسول عليه السلام قائلاً : إنما كنا نخوض ونلعب ومن ضمن إيذاء المنافقين للمؤمنين الإستهزاء والسخرية حيث كانوا يسخرون من الذين يقدمون صدقاتهم في سبيل الله قال تعالى : (والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم .) (٣)

يقول ابن عباس رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحشهم على أن يجمعوا الصدقات ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وقال : كان لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة وهذه الأربعة أقرضتها ربي فقال له الرسول عليه السلام : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت ، وجاء عمر بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدي الأنصاري بسبعين وسقاً من تمر الصدقة ، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة ، وجاء أبو عقيـل بصاع من تمر ، وقال : آجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لإرسال الماء إلى نخيله ، فأخذت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما لعيالي وأقرضت الآخر

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٥٢٢

(٢) التوبة آية ٦٥ - ٦٦

(٣) التوبة آية ٧٩

ربى ، فأمر الرسول عليه السلام بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاءوا بصدقاتهم إلا رياءً وسمعةً وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر مع الأكابر والله غني عن صاعه . (١)

ومن إيذاء المنافقين للرسول عليه السلام ما قام به رئيس المنافقين أثناء حصار بني قينقاع ، وكيف أغضب الرسول عليه السلام :

قال ابن اسحق : (فحاصروهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه أي (بنى قينقاع) فقام عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال يا محمد أحسن في موالي ، وكانوا خلفاء الخزرج ، قال : فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرسول عليه السلام : أرسلني ، وغضب حتى رأوا لوجهه ظللاً ، ثم قال : ويحك أرسلني ، قال ابن أبي : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربع مائة حاسر ، وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأحمر ، والأسود ، تحصد هم في غداة واحدة إني والله إمرءٌ وأخشى الدوائر ، قال : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هم لك . (٢)

وكذلك كان المنافقون يوءذون الرسول عليه السلام ويقولون : هو أذن .
موقف الموالاة لأعداء الله :

كان المنافقون يوالون أعداء الله من الكافرين ، ويعادون الرسول عليه السلام والمؤمنين ، ومن موالاتهم ما حدث أثناء حصار بني النضير فأرسل إليهم المنافقون قائلين لهم : (أن إشتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتهم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم .) (٣)
فأنزل الله قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتهم لننصركم .) (٤)

(١) تفسير الرازي جزء ١٦ ، ص ١٤٥

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٣ ، ص ٤٨

(٣) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٩١

(٤) الحشر آية ١١

ومن موالاتهم لهم كما تقدم ما حدث لبني قَيْنُقَاع حينما حاصرهم الرسول عليه السلام حتى نزلوا على حكمه، وتمكن منهم، فقام بن أبي للرسول عليه السلام وقال : أحسن في موالي ، وما زال يلح على الرسول عليه السلام ، وهو معرض عنه حتى قال له : هم لك . فأنزل فيهم قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون .) (١)

ومن موالاته المنافقين لأعداء الله ما تقدم من إتخاذهم مسجد الضرار ليكون مرصداً لأعداء الله، وتفريقاً بين المؤمنين .
والموالاتة تكون بالمال أو النصر، أو بالحب، أو التودد أو بالمودة، أو بالتأييد وهذه جميعاً قد مها المنافقون لأعداء الإسلام والمسلمين .

الفصل الحادي عشر

البرء على المنافقين

الفصل الحادى عشر

الرد على المنافقين

لقد ذكرنا صفات المنافقين المخزية ومواقفهم ضد الرسول عليه السلام وضد المؤمنين وهذه المواقف مليئة حقدًا وبغضًا وعداوة وكيداً ومكرًا وخبثاً للإسلام والمسلمين .

ولقد بين القرآن صفاتهم ومواقفهم السيئة وكان يفضحهم أولاً بأول ويرد عليهم كيدهم ومكرهم وخداعهم في آيات عديدة من القرآن الكريم .

لقد ذكرنا موقف الخداع والكذب وكيف كانوا يدعون كذباً أنهم مؤمنون بالله وباليوم الآخر وذلك لكي يخدعوا الرسول عليه السلام والمؤمنين ولكنهم نسوا بأنهم يخدعون أنفسهم دون يشعروا .

قال تعالى : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون .) (١)

فرد الله عليهم بأنهم لا يخدعون المؤمنين إنما يخدعون أنفسهم ، والسبب الذي دعاهم إلى الخداع هو المرض الذي في قلوبهم وهو النفاق فزادهم الله مرضاً على مرضهم ولهم عذاب أليم يوم القيامة نتيجة كذبهم على المؤمنين وخداعهم .

ومن كذب المنافقين أنهم كانوا يدارون مافي قلوبهم من كفر ، ويعلمون إسلامهم وشهادتهم بأن النبي عليه السلام رسول الله ، ويحلفون كذباً على ذلك ليصدقهم الرسول والمؤمنين .

قال تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله .) (٢)

فهم كانوا يشهدون باللسان وقلوبهم كاذب لأنهم لا يقصدون الحق ، وإنما يقولون ذلك للتقية وليخفوا أمرهم وحقيقتهم عن المسلمين فيرد الله عليهم

(١) البقره آيه ٩ - ١٠

(٢) المنافقون

مُشْتَبَّاهًا لَهُمْ وَمَوْكِدًا بِأَنَّهُ يَعْلَمُ بِأَن مُحَمَّدًا رَسُولُهُ وَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي مَا يَقُولُونَ مِنْ الشَّهَادَةِ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُمْ وَكَذِبَهُمْ وَخَدَاعَهُمْ لِذَلِكَ فَضَحَّهُمْ أَمَامَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال تعالى : (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ .) (١)
ثم بين الله كيف كان المنافقون يحلفون الأيمان الكاذبة ليتستروا تحتها وتكون لهم وقاية وجنة ليواصلوا كيدهم ومكرهم ويخدعوا بها المخدوعين فيهم وليصدوا غيرهم كما يصدون أنفسهم عن اتباع الإيمان .

قال تعالى : (إِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .) (٢)

فرد الله عليهم موبخاً لهم بقوله : (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

وبين الله ~~سبب~~ كذبهم وخداعهم وصدهم عن سبيل الله وسوء عملهم ~~هو~~ أنهم كفروا بعد الإيمان واختاروا الضلال ~~بعد~~ الهدى .

قال تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ .) (٤)
ولم يكتف هو ~~لا~~ بالكذب إنما أضافوا إليه الفساد والعناد وتبرير أعمالهم الفاسدة التي كانوا يقومون بها .

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ .) (٥)
فالمنافقون يبررون فسادهم بقولهم : إنهم مصلحون .

فرد الله عليهم بقوله : (أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ .) (٦)

فنجد أن الله هو الذي يتولى الرد عن المؤمنين ويدافع عنهم وينصرهم في كل زمان ومكان كما قال تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (٧)

(١) المنافقون آية ١ - ٢

(٢) المنافقون آية ٢

(٣) المنافقون آية ٣

(٤) المنافقون آية ٢

(٥) ، (٦) البقرة آية ١١ - ١٢

(٧) الروم آية ٤٧

وأما عن كبرهم وغرورهم وتعاليتهم واحتقارهم للمؤمنين فالله يبين قطعهم القبيح في القرآن حيث يقول : (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء .) (١)

فرد الله عليهم بقوله : (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون .) (٢) فكان هذا الرد من الله عز وجل رداً حاسماً وتقريراً حازماً عليهم ويوضح القرآن الصلة التي كانت بينهم وبين اليهود فهم لا يكتفون بالكذب والسفه والخداع والتعالي والتبرير إنما إضافة إلى ذلك اللؤم والمكر والكيد فسي الخفاء كما هو حال المنافقين واليهود في القديم والحديث .

والله عز وجل يبين الصلة والقربة بين المنافقين وأخوانهم اليهود . قال تعالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتهم لننصرنكم .) (٣)

فرد الله عليهم مبيناً لهم كذبهم قال تعالى : (والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون .) (٤)

ثم بين الله للمؤمنين حقيقة المنافقين واليهود وهي الخوف والرغبة ممن المؤمنين أشد من الخوف من الله فهم لا يفقهون بأن الله العزيز القوي الذي يجب أن يخاف ويرهب منه وليس المخلوق الضعيف .

قال تعالى : (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .) (٥)

فاليهود والمنافقون متصفون بالجبن وضعف النفوس لذلك اتفقوا على الدس والمكر والخداع للإسلام والمسلمين .

(١) ، (٢) البقرة آية ١٣

(٣) ، (٤) ، (٥) الحشر آية ١١ - ١٣

قال تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون .) (١)

فيرد الله عليهم بقوله : (الله يستهزئ بهم ويمد هم في طغيانهم يعمهون .) (٢)
فالله عز وجل يجعل المنافقين في ضلالهم يتخبطون بلاهدي ولا رشاساد ويملئ لهم حتى يتمادوا في الضلال والفساد ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .
ويخبرنا الله بأن هؤلاء المنافقين عدلوا عن الهدى والإيمان إلى الضلال والكفر وبذلوا الهدى ثمناً للضلال والكفر فاخترأوا الكفر والضلال برغبتهم واختيارهم وبذلوا له نفوسهم وأموالهم .

قال تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) (٣)

فلم يربحوا ولم يكونوا من المهتدين بل كانوا من الخاسرين الضالين لذلسك دعا الله عليهم بقوله : (فماربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .) (٤)
وبالفعل تحقق ما أراد الله فلم يربح المنافقون ولا اليهود بل خسروا وكانوا من الضالين الكافرين الخاسرين .

ويصور القرآن حيرتهم واضطرابهم في قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون .) (٥)

يقول ابن كثير : (أن الله سبحانه شبههم في إشتراهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى ولو كان ضياءً لما أبصر ، فلماذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون في إشتدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى واستهزأهم الغي على الرشد .) (٦)

(١) ، (٢) البقرة آية ١٤ - ١٥

(٣) ، (٤) البقرة آية ١٦

(٥) البقرة آية ١٧ - ١٨

(٦) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٥٣

فهم لم يعرضوا عن الإيمان من البداية كما أعرض الكافرون بل اختاروا الكفر بعد أن تبين لهم الإيمان وعرفوه فهم أضاءوا النار فلما أضاءت وكانوا في حاجة إليها لم ينتفعوا بها لذلك ذهب الله بنورهم وتركهم في الظلام والضلال والشك والحيرة والاضطراب والله عز وجل يصور حال المنافقين وماهم عليه من حيرة وخوف وقلق وشك واضطراب وذعر وفزع . قال تعالى : (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .) (١)

فهذه الآيات المباركات صورت لنا حال المنافقين بين لقاءهم للمؤمنين وخلوهم بالشياطين فهم مترددون حائرون بين الهدى والإيمان وبين الضلال والكفر بين النور وبين الظلام وهم في ذعر وخوف شديد كما قال تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم .) (٢)

وحذر الله منهم وبين بأنهم أعداء للرسول وللمؤمنين .

وقال تعالى : (هم العدو و فاحذرهم قاتلهم الله أنى يوفكون .) (٣)

فالله مقاتلهم حيث ما كانوا وأينما اتجهوا والدعاء من الله بمثابة الحكم وهو الذي يتحقق في النهاية إن شاء الله . فالله هو القادر على كل شيء وقضاءه لا مرد له وإرادته نافذة لا معقب لحكمه ولا راد لأمره وهو لا المنافقون إذا ماتوا على النفاق ولم يتوبوا فلا تنفع الشفاعة ولا الاستغفار لهم لأن الله لا يغفر لهم ولا يهديهم لأنهم فاسقون .

قال تعالى : (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين .) (٤)

وقال : (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين .) (٥)

(١) البقرة آية ١٩ - ٢٠

(٢) ، (٣) المنافقون آية ٤

(٤) المنافقون آية ٦

(٥) التوبة آية ٨٠

وقد بين الله للمؤمنين بأنه لا فائدة من خروج المنافقين إلى الغزوات معهم لأن ضررهم أكثر من نفعهم ولأنهم لو خرجوا مع المسلمين لم يزيد وهم قوة بخروجهم بل يزيد لهم إضطراباً وقوضى ولأوقعوا بينهم الفتنة والتفرقة والتخذييل وفي المسلمين من يسمع لهؤلاء المنافقين .

قال تعالى : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين .) (١)

وقد بين الله كيف كان نزول القرآن يزيد المنافقين كمداً على كمدهم ورجساً إلى رجسهم ويزيد المؤمن إيماناً على إيمانهم . وبأن المنافقين ماتوا على الكفر والضلال .

قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أزيد هذا إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون .) (٢)

وحيثما كان ينزل القرآن ينظر المنافقون بعضهم لبعض هل يراهم المؤمنون ويلتفتون ثم يتولوا عن الحق وينصرفوا فهذا حالهم في الدنيا لا يقبلوا الحق ولا يستمعوا إليه بل يعرضوا عنه .

قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون .) (٣)

صرف الله قلوبهم عن الحق والهدى فهم في ضلالهم يعمهون وذلك لأنهم عطلوا عقولهم عن الحق وعن الإيمان .

لقد رد الله على المنافقين الذين كانوا يتقاعسون عن الجهاد ويعتذرون بأعذار واهية ويحلفون الأيمان الكاذبه لكي يصدقهم الرسول عليه السلام ولكي يبرروا موقفهم السيء .

وأمر المؤمنين بعدم تصديقهم قال تعالى : (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فيبنيكم بما كنتم تعملون .) (٤)

(١) التوبة آية ٤٧

(٢) التوبة ١٢٤ - ١٢٥

(٣) التوبة آية ١٢٧

(٤) التوبة آية ٩٤ - ٩٥

والله عز وجل سيظهر أعمال المنافقين للناس في هذه الدنيا ويوم القيامة سيعيدهم ثانية ليخبرهم بأعمالهم السيئة ويجازيهم عليها العذاب الشديد فهو العليم الخبير الذي لا يغيب عن علمه شيء في الدنيا والآخرة فلا فائدة من الإعتذار ولكن اعملوا الأعمال الصالحة التي توافق قولكم وتصدقه ولقد أعلم الله رسوله والمؤمنين بما كان يعمله المنافقون وذلك لكي يحترسوا منهم والله عز وجل أمر الرسول عليه السلام بالإعراض عن المنافقين وإهمالهم فإنهم رجس يجب أن يبتعد عنهم ويجتنبهم ويحترقهم فإن جزاءهم يوم القيامة جهنم بما كسبت أيديهم من أعمال .

قال تعالى : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون .) (١)

يقول ابن كثير : (سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا توبنوبهم فأعرضوا عنهم احتقاراً لهم إنهم رجس أي خبث نجس بواطنهم واعتقاد اتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا .) (٢)

وأمر الله المؤمنين بأن لا يرضوا عن المنافقين لأنهم قوم فاسقون والله لا يرضى عنهم لأنهم خارجون عن طاعته إلى معصيته .

قال تعالى : (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين .) (٣)

والله عز وجل أخبر الرسول عليه السلام والمؤمنين بأن هؤلاء المنافقين مردوا على النفاق وبأن الرسول لا يعلمهم فهو هؤلاء تمرنوا واستمروا على النفاق والله عز وجل يعلم هؤلاء المنافقين ويعرفهم بأن الله سيعذبهم مرتين مرة في الدنيا بالقتل والسبي ، وقيل بالجوع وعذاب القبر ويوم القيامة يعذبهم العذاب الشديد في نار جهنم خالدين .

قال تعالى : (وهن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .) (٤)

(١) التوبة آية ٩٤ - ٩٥

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٨٣

(٣) التوبة آية ٩٦

(٤) التوبة آية ١٠١

يقول ابن عباس أن العذاب الأول حينما أخرج الرسول عليه السلام المنافقين من المسجد وفضحهم والعذاب الثاني عذاب القبر . (١)

ولقد أخبر الله رسوله والمؤمنين عن صفات المنافقين وهي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وكذلك البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله ونسيان الله حيث نسوا أو أمره وفسقوا عنها فرد الله عليهم بقوله : (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (٢) .

ثم أخبر الله بأنه أعد للمنافقين والمنافقات وكذلك الكفار نار جهنم خالدين مخلدين فيها فهي كفايتهم من العذاب وبأنه طردهم من رحمته ولهم عذاب دائم لا ينقطع .

قال تعالى : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبيهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم .) (٣)

وقد أخبر الله بأن المنافقين قد أعماه الطمع المادي عن كل عمل قيم، ولو أنهم رضوا بنصيبهم لكانوا حقيقين بما أعد الله للمؤمنين من الفضل .

قال تعالى : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوئتنا الله من فضله ورسوله أنا إلى الله راغبون .) (٤)

فقد كان المنافقون يعيرون على الرسول عليه السلام في تقسيم الصدقات ويتهمونه بعدم العدل في القسمة ويسخطون لذلك ويتذمرون . وقد أخبر الله بأن المنافقين ستكون أموالهم وبالاً عليهم حيث سيستدرجهم الله بهذه الأموال في الدنيا ثم بعد ذلك يعذبهم بها في الدنيا ويميتهم على الكفر .

قال تعالى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون .) (٥) .

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٦

(٢) ، (٣) التوبة آية ٦٧ - ٦٨

(٤) التوبة آية ٥٩

(٥) التوبة آية ٥٥

والمناققون لا يقبل الله منهم فدية ولا من الكفار يوم القيامة بل سيكون مأواهم ومرجعهم ومقرهم ومثواهم النار وبئس هذا المصير وذلك لأنهم أغتروا وتربصوا وإرتابوا وفتنوا أنفسهم . وخذعوها في الدنيا حتى جاءهم الموت بغتة وهم مخدوعون مغرورون بالأمانى والأوهام .

قال تعالى : (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا إنظرونا نقتبس من نوركم قيل يرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فغضب بينهم يسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ألم تكن معكم قالوا : بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وإرتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور . فالיום لا يوءخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير .) (١)

إن المنافقين كان غرضهم من البخل وعدم الإنفاق على المؤمنين هو أن ينقض المؤمنين عن رسول الله ويتركوه فرد الله عليهم بأن إطعام المسلمين لا يتوقف على المنافقين وإنما فضل من الله الذى بيده خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك حيث أعماهم حقدهم وبغضهم وكفرهم عن ذلك .

قال تعالى : (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون .) (٢)

وحينما اتفق المنافقون على إخراج الرسول عليه السلام من المدينة ذليلاً حيث اعتقدوا أن العزة لهم رد الله عليهم بقوله : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون .) (٣)

فالمناققون لا يعلمون أن الله له العزة وبأنه يعز الرسول والمؤمنين ويؤيدهم بنصرهم ويذل المنافقين والكافرين ويخذلهم . وذلك لأنهم ماقدروا الله حق قدره .

(١) الحديد آية ١٣ - ١٥

(٢) المنافقون آية ٧

(٣) المنافقون آية ٨

وحيثما كان المنافقون يستهزءون بالرسول عليه السلام ويعتذرون عن ذلك بأنهم كانوا يخوضون ويلعبون رد الله عليهم بقوله : (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين .) (١)

فإن الله عز وجل لم يقبل من المنافقين عذرهم واعتبرهم كافرين وسوف يعذب طائفة منهم يوم القيامة لأنهم مجرمون كافرون .

ولقد رد الله على المنافقين الذين كانوا يؤذون النبي ويقولون بأنه أذن بأنه أعد لهم عذاباً أليماً في نار جهنم خالدين فيها ولهم خزي عظيم في ذلك اليوم لأنهم **ح** (وا الله ورسوله .

قال تعالى : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم .) (٢)

وقال : (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم .) (٣)

والله عز وجل يسلي الرسول عليه السلام ويواسيه عما قام به المنافقون من استهزاء وسخرية وأذى وكيد ومكر وخداع ، ويزيل عنه الحزن قائلاً : (ومن يرد الله فتنه فلا تمنك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم .) (٤)

فإن الله عز وجل يبين ما أعد له للمنافقين من الخزي والذل والهوان إضافة إلى العذاب العظيم الذي سيكون يوم القيامة جزاءً للأعمال السيئة والحقيرة التي قاموا بها ضد الرسول عليه السلام وضد المؤمنين .

وحيثما اتخذ المنافقون مسجداً للضرار للكيد للإسلام والمسلمين وللأضرار بهم وللكفر بالله وسر الخونة المتآمرين على الإسلام والمتعاونين مع أعداء الله والمؤمنين ، أمر الله عز وجل رسوله عليه السلام بهدمه وإزالته غير عابئ بهم ، وهنا يتضح أمر الله بمقاومة أعداء الله باليد والقوة ، حيث قام الرسول عليه السلام بهدمه ، لذلك يجب مقاومة المنافقين ومن على شاكلتهم باليد ، وباللسان ، وبكل أنواع المقاومة حتى لا يستشري شرهم . ويجب أن تزال **أماكن** الضرر في الوقت الحاضر والتي تتمثل في المدارس الأجنبية ، والمستشفيات الأجنبية التي ظاهرها خير وباطنها شر حيث تهدف للقضاء على الإسلام .

(١) التوبة آية ٦٥ - ٦٦ (٢) التوبة آية ٦١ (٣) التوبة آية ٦٣

(٤) المائدة آية ٤١

لقد أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بعدم الصلاة على المنافقين إذا ماتوا وعدم القيام على قبورهم وذلك لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا على الفسق . قال تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون .) (١)

وأخبر الله عز وجل بأن المنافقين في أسفل دركات جهنم جزاء أعمالهم الفاسدة وبأنه لا ناصر لهم ولا ولي لهم من دون الله .

قال تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً .) (٢)

واستثنى الله التائبين الذين تابوا من النفاق وعملوا الأعمال الصالحة وأخلصوا أعمالهم وعبادتهم لله فسوف يجازيهم الله كما يجازى المؤمنين بالأجر العظيم وصحبة المؤمنين ومرافقتهم في الجنة .

ولقد رد الله على المنافقين الذين اصطنعوا حادثة الإفك حيث برأ السيدة عائشة رضوان الله عليها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة .

قال تعالى : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بئس هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون .) (٣)

ويرد الله على المنافقين الذين اتخذوا أعداء الله من الكافرين أولياءً ويبين ما أعد له الله لهم من العذاب الأليم الشديد جزاءً لأعمالهم السيئة ومولاتهم للكفار .

قال تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون .) (٤)

(١) التوبة آية ٨٤

(٢) النساء آية ١٤٥ - ١٤٦

(٣) النور آية ١١ - ١٢

(٤) المجادلة آية ١٤ - ١٥

وقال : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً .) (١) وقد أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام بمجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم وأخبره بأن مرجع ومأوى المنافقين والكفار جهنم وبئس هذا المرجع والمصير .

قال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير .) (٢)

والمتتبع لموقف القرآن الكريم من المنافقين يجد أنه يقف معهم وقفات أطول من وقفاته مع الكفار الصرحين بكفرهم ، ونلمس ذلك واضحاً مما ذكر في أوائل سورة البقرة من وصف الكفار والمنافقين ، فنجد أن ما جاء في شأن الكفار آيتان فقط وأما ما جاء في شأن المنافقين فإنه يبلغ ثلاثة عشر آية ، وذلك يبين لنا خطر المنافقين لأن الكفار معروفون بأنهم أعداء وأما المنافقون فلا يدرك أمرهم هل هم أعداء أم أصدقاء : هذا بالنسبة للظاهر أما بالنسبة للباطن فهم أعداء لا غير . من هنا كان خطر النفاق على الدعوة في كل عصورها شديداً . إن الإسلام قد تغلب على أعدائه حينما كانوا ظاهريين أما حينما اتخذوا لأنفسهم ستاراً هو الإسلام ، وأبقوا باطنهم خراباً يدبرون المؤامرات حينما فعل أعداء الإسلام هذا كانوا هم المرص الحقيقي الذي أصاب الأمة الإسلامية ، يعرف ذلك واضحاً من تتبع آثار الفرق الباطنية على مر العصور . أليس ذلك كله يرينا خطر النفاق على الأمة الإسلامية ، ويجعل من الواجب على الدعاة أن يعملوا لذلك حساباً ، ويصرفوا أكثرهمهم إلى تنقية المجتمع من هذه الفئات التي تعلن الإسلام وتبطن غيره والتسبي أخذت الآن تتشكل في أشكال متعددة ، فالذين ينطقون بالشهادتين ومع ذلك يفضلون حكم غير الله على حكم الله وأخلاقيات الأعداء على أخلاقيات الإسلام مدعين أن ذلك هو التطور والحضارة بماذا نسمى هؤلاء ؟ أليس هو شر أنواع النفاق . الباطنية فيما مضى ، والمنافقون من قبلهم كانوا يشككون في التكليف التي جاء بها الشرع فلا يودون الصلاة إلا وهم كسالى رءساء

(١) النساء آية ١٣٨ - ١٣٩

(٢) التوبة آية ٧٣

الناس وعند ما يخلو أحدهم بنفسه يتخلص من كل التكاليف وهو في الظاهر ينطق بالشهادتين ما الفرق بين هؤلاء ، وبين من ينطق بالشهادتين الآن ثم هو تحت ستار الحرية ينادى بحرية المرأة في جسدها وكذلك الرجل ، ولا يوءدي الفرائض ولا يلتزم بالأوامر ، أليس هو شر أنواع النفاق يظهر من جديد ؟ ثم ما فائدة ترديد الشهادتين بأطراف اللسان من غير أن تحتل قلبه وتسيطر على أعماله ؟ هل لو وقف المريض يردد اسم الدواء دون أن يستعمله هل يفيد شياً ؟ .

بماذا نسمى إنساناً ينطق بالشهادتين ثم هو يعيش في بيته كما يعيش الكفار ويتعامل مع مجتمعه كما يتعامل الكفار ويحتكم إلى قوانين الكفار ، فإذا ما ظهر الإسلام الحقيقي أمامه ينظر إليه نظرتة إلى كائن غريب لا يعرف عنه شيئاً . هذه مظاهر النفاق في العصر الحديث التي أصبح من الواجب على الدعاة أن يعدوا العدة لمقاومتها ، وينبهوا الناس إلى خطرها .

لِقَاءِ عَمْرٍو

الخاتمة

وبعد : فقد استطاع البحث بمنهجه الذي يلتزم به أن يأتي بالعديد من النتائج العلمية، لا أستطيع ذكرها كلها هنا، ولكن سأذكر نماذج منها .
فقد استطاع البحث في الباب الأول الذي تحدث فيه عن عناصر الإيمان أن يؤكد على حقيقة الإيمان ^{بالله} وأنه هو أساس العقيدة ، وروح الدين والأصل الأصيل والركن الركين ، وكل أركان العقيدة بعد ذلك متفرعة عنه ، ومضافة إليه ، وتابعة له .

فالقُرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها فيقول عز من قائل : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . . .) (١)

وهكذا كانت مهمة الأنبياء والرسل جميعاً هي هداية الناس إلى الإيمان بالله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢) .
فالرسل جميعاً وظيفتهم الأساسية لأقوامهم/ (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (٣) وقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٤)

فإذا عرف البشر ربهم على هذه الصورة ، وانتقى كل وهم باطل عن أذهانهم وفي مشاعرهم ، بقيت القضية الثانية التي يضل البشر بشأنها في جاهليتهم ، وهي الطريقة الصحيحة للعبادة ، فإن العبادة ليست فقط في الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له ، ولا في تقديم شعائر التعبد من صلاة ونسك ودعاء لله وحده دون شريك ، بل هناك أمر آخر : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون .) (٥)

(١) البقرة آية ٢٨٥

(٢) النحل آية ٣٦

(٣) الاعراف آية ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥

(٤) الانبياء آية ٢٥

(٥) الأعراف آية ٣

إنه لابد من إتباع ما أنزل الله وإلا فقد بطلت العبادة ولم يصبح المعبود إلهاً واحداً وإنما الإلهين إثنين ، واحد تقدم له شعائر التعبد وواحد يشـرع وتطاع تشريعاته من دون الله (وقال الله لاتخذوا إلهين إنما هو الله واحد) (١)

تلك هي المهمة الكبرى للرسـل جميعاً : أن يهدوا البشرية لإلهها الواحد ويدلوهم على الطريقة الصحيحة لعبادته . وبذلك تقوم حياتهم على قاعدتها الصحيحة : أفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية ، وتوحيد العبادة له في الاعتقاد وشعائر التعبد ، وإتباع ما أنزل من التشريع ، أي الحكم بما أنزل الله .

كما إنني بينت بعد ذلك وجوب الإيمان بأن الله أسماء وصفات وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهذا الإيمان لا يكون باللسان فحسب بل بالعمل بها وبما تقتضيه .

وتوحيد الألوهية بني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء فيها لغيره سبحانه . فالموءمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع ، وجميع أنواع العبادة بأشكالها .

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ، وليس العكس فإن توحيد العبد لله في ربوبيته لا يعني أنه يوحد في ألوهيته ، فقد يقرر بالربوبية ، ولا يعبد الله عز وجل ، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى .

ومن هنا كانت شهادة أن (لا إله إلا الله) متضمنة لجميع أنواع التوحيد فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته .

ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة الدين فقد كانت الشهادتان أول ركن من أركان هذا الدين .

ومن أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره .
ومن أجله خلقت الخليقة كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس
إلا ليعبدون .) (١)

أما الركن الثاني من أركان الإيمان فهو الإيمان بالملائكة . . وقد بينت ما يجب
أن يعتقد المؤمن بالنسبة للملائكة بأنهم موجودون مخلوقون من نور ،
وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم
التي أمرهم الله بالقيام بها .

فلا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال
في كتاب الله وسنة نبيه ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ، ومن أنكر
شيئاً من ذلك فقد كفر .

وأما حقيقة الملائكة ، وكيف خلقهم ، وتفصيلات أحوالهم فقد استأثر بها
الله سبحانه ، وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الإسلامية ، تناولت
العقائد الكونية ، والتعريف بها في حدود ما يحتاج إليه البشر ، ويصلح أحوالهم
في المعاش والمعاد وماتطيقه عقولهم ، فلم يطلعنا الله جل جلاله على جميع
المغيبات سواء منها ما يتعلق بجلاله وصفاته وأسمائه ، وما يتعلق بمخلوقات
الغيبية .

وقد بينت أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان بأن هذا الإيمان يجعله
يمتنع عن المعاصي قدر المستطاع ، ويقدم على التضحية في سبيل الله بالمال
والنفس ويتخذ من الملائكة قدوة له في الطاعة واجتناب المعصية . . الخ .

ومن أركان الإيمان : الإيمان بالأنبياء والمرسلين .
فيجب علينا أن نؤمن بأن الله بعث رسله إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم
بتبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته ، إن آمنوا به وبرسله وأطاعوه ، وإنذارهم
من غضب الله إن كفروا وعصوا . قال عز وجل (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين
ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا
بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون .) (٢)

(١) الذاريات آية ٥٦

(٢) الانعام آية ٤٨ - ٤٩

كما يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله عز وجل ، وإقامة دينه ، وتوحيده فـسـى الوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .

ويجب علينا تصديق رسل الله جميعاً ، وأن لا نفرق بين أحد منهم ، فمن فرق بين رسل الله ، فأمن ببعضهم ، وكفر بالآخرين ، كان من الكافرين بنص القرآن الكريم (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا) (١)

كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر فلم يكونوا من الملائكة ، ولم يبعث الله أنثى قال تعالى ، (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم .) (٢)

هذا ، وقد بينت حاجة البشرية إلى الرسل يرشدونهم إلى ما فيه الخير والصلاح ، وأن العقل البشرى عاجز كل العجز أن يصل وحده إلى الهداية الروحية والأمور الغيبية .

ومن أركان الإيمان : الإيمان بكتب الله عز وجل التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسوله . ويجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو تحريف البشر وصنع أيديهم .

ويجب علينا أن نؤمن بأن القرآن الكريم هو آخر ما نزل من عند الله وأن الله اختصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة ، ومنها أهمها :-

أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية وجاء موثقاً ومصداقاً لما جاء في الكتب السابقة . وأنه هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) (٣) وهذه مزية متفرعة عن مزية

(١) النساء آية ١٥٠ - ١٥١

(٢) الأنبياء آية ٧

(٣) الحجر آية ٩

أخرى ، وهى أن القرآن أنزله الله على رسوله محمد للناس كافة ، وليس خاصاً
بقوم معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة .

إن الكتب التي نزلت قبل القرآن ، قد ضاعت نسخها الأصلية ، ولم يبق
في أيدي الناس إلا تراجمها أما القرآن فإنه لا يزال محفوظاً بسوره
وأياته وكلماته وحركاته ، كما تلاه جبريل على رسول الله ، وكما تلاه رسول الله
على صحابته .

وقد بينت كيف حفظ الله القرآن الكريم ، وكيف حصل التحريف في الكتب
الأخرى بالأدلة القاطعة ، بما تضمنته هذه الكتب من العقائد الفاسدة ،
والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه ، ورسله الكرام .

وقد بينت في الفصل الخامس معنى الإيمان باليوم الآخر ، وقلت إن معناه
بصورة إجمالية هو الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، وأخبر به رسوله ،
مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعث والحشر والصحف
والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار ، وما أعد الله
لأهلها جميعاً .

وقد أهتم القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا الركن لما له من بالغ
الأثر في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به له أشد الأثر في توحيد
الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ، وقد ذكرت أدلة
الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له كما جاءت في القرآن الكريم . لما في
ذلك من الفائدة للإنسان في كل زمان ومكان .

وفي الفصل الأخير من الباب الأول تكلمت عن الإيمان بقضاء الله وقدره
وقلت إن هذا الإيمان هو أحد أركان العقيدة الإسلامية ، فمن كفر بقضاء
الله وقدره خرج من دين الله .

وبينت أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر ، خيره وشره ، حلوه
ومره . ويقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله القديم ، والإيمان بمشيئة
الله النافذة وقدرته الشاملة .

وقد بينت كيف أبطل القرآن احتجاج الكفار بقدر الله ومشيئته على
شركهم وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه .

كما أوضحت كيف أبطل القرآن حجة المتذرعين بقدر الله على فعل المعاصي . . قوله تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون) (١) وقد بينت أثر الإيمان بالقضاء والقدر في عقيدة المسلم ، لهي تسكب في قلب المؤمن السكينة ، وتفيض على نفسه الطمأنينة .

أما الذي فقد الإيمان بهذه العقيدة فنصيبه ضياع السعادة ، وتمزق الأعصاب ، وضنك العيش ، وتوتر الأعصاب في الدنيا ، والخلود في النار والعذاب المهين في الآخرة . وأوضحت أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يناق الأخذ بالأسباب . فالمؤمن يأخذ الأسباب ويتوكل على مسبب الأسباب دون إسقاط أو تفريط .

أما الباب الثاني : من أبواب هذه الرسالة والذي جعلته للحديث عن المعوقين للدعوة الإسلامية وموقف الإسلام منهم . فقد قدمت فيه للحديث عن ديانة العرب وضلالاتهم وانحرافاتهم الشركية ، ومدى حاجتهم للهداية الربانية .

وبينت حتمية الصراع واستمراره بين الحق والباطل والخير والشر والنور والظلام . وكيف وقف الشرك معانداً ومكابراً لاتلين له قناة أمام نور الإيمان ، وما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والإضطهاد هو والذين آمنوا معه ما لا يحتمله إلا من أمده الله بمدد من عنده .

وأوضح لي أن الصراع بين الوثنية والإيمان أمر لا بد منه عبر تاريخ الإنسانية الطويل مع أنبيائها ودعاتها ومصلحيها . وفي ذلك تعليم وعبرة وموعظة وذكرى لكل من يتصدى لإعلان كلمة الحق ، ورفع راية لا إله إلا الله .

وإن استعراضنا للعقائد الوثنية ، والوقائع التاريخية ليؤكد حتمية هذا الصراع مصداقاً لقوله تعالى : " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " . (٢)

(١) الأعراف آية ٢٨

(٢) البقرة آية ١٩٠

ولقد تبين لي من خلال دراستي للمعوقين للدعوة سواءً أكانوا مشركين أو من أهل الكتاب اليهود أو النصارى . . إن هدفهم جميعاً واحد هو القضاء على الإسلام والمسلمين ، فقد أعلن الله سبحانه عن وحدة الهدف عند هؤلاء جميعاً تجاه الإسلام والمسلمين بقوله في أهل الكتاب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (١) فقوله في هدف أهل الكتاب (ولن ترضى) وقوله عن هدف المشركين (ولا يزالون) ينبيء عن قوة الإصرار على هذا الهدف واستمراره حتى قيام الساعة .

غلب يقف الصراع العقائدي بين المسلمين وهؤلاء المعوقين أبداً ، وقد أبان الحق سبحانه عن مكونات ضمائرهم بقوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .) (٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى الطبيعة العدوانية في المشركين وأهل الكتاب ضد أهل الإيمان ، وأنهم لن يتركوا المسلمين وحالهم بل يبدؤونهم بالحرب والقتال والإعتداء دائماً .

قال تعالى : (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) (٣) .

وقد أبان القرآن عن حقيقة موقف أهل الكتاب من المسلمين ، وما يكونونه للمسلمين من حقد وحسد وعداوة وبغضاء في العديد من السور والآيات .

ولقد استنفذ اليهود في مناصب الدعوة الإسلامية كل ما جيلوا عليه من اللؤم والمكر والفساد والخديعة والتآمر والوقيع ، فقد تأمروا مع المشركين ومع المنافقين للإيقاع بالمسلمين والقضاء عليهم من الداخل والخارج .

وقد كشف القرآن الكريم عن عدائهم الشديد ومكرهم ، ونية الشر والكيد والغيبض والبغض فيهم ضد المسلمين ، ونهى الله عن مولاتهم والإختلاط بهم فقال عز من قائل :-

(١) البقرة آية ١٣٠

(٢) البقرة آية ١٠٩

(٣) التوبة آية ١٣

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دوتكم لا يآلئونكم خيلاً ود واما عنتم
قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر .) (١)

وقد عرض القرآن صورة للتضامن والتحالف الوثيق بين أهل الكتاب والمنافقين
كأثر من آثار التآمر الموطن بينهما ضد الإسلام والمسلمين : قال تعالى :
(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب
لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتهم لننصركم
والله يشهد إنهم لكاذبون) (٢)

وتأمر أهل الكتاب مع المشركين للقضاء على المسلمين (ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء
أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له سبيلاً) (٣)

وخلاصة القول : إذا نحن راجعنا التقريرات الربانية عن المشركين
وأهل الكتاب (يهود ونصارى) وعن المنافقين وجدنا أن الأهداف النهائية
لهؤلاء جميعاً تجاه الإسلام والمسلمين هي بعينها بل تكاد تكون بألفاظها
ما يجعل طبيعة مواقفهم من الإسلام واحدة .

وتدل الآيات القرآنية بصياغتها على ما يجب أن تكون عليه طبيعة
العلاقات الدائمة بين المسلمين وأعداء الدين جميعاً . . فقد جمع في آية
واحدة المشركين وأهل الكتاب فقال (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب
ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم .) (٤)

وهكذا يتضح لقارئ هذا البحث أن ملة الكفر واحدة في معتقداتها
ومواقفها وأهدافها سواء أكانوا من المشركين أم من اليهود والنصارى أم من
المنافقين ، فجميعهم أهل كفر وضلال وانحراف عن الحق ، وموقفهم هو الصد
عن سبيل الله ، ومحاربة من آمن بالله بكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة ،

(١) آل عمران آية ١١٨ - ١٢٠

(٢) الحشر آية ١١

(٣) النساء آية ٥١ - ٥٢

(٤) البقرة آية ١٠٥

وهد فهم هو إطفاء نور الله، واستئصال شأفة من آمن بالله لا يرعون في ذلك عهداً ولا ميثاقاً، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة . والتاريخ كله شواهد على عداوتهم الظاهرة وما دبروه ويدبرونه من كيد ومؤامرات للقضاء على الإسلام والمسلمين في كل آن وحين فهم جميعاً أعداء الدين الإسلام (هم العدو و فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١)

وعلى الجملة . . فرسالتى تعد محاولة للعودة بالدراسات الاسلاميية إلى البساطة والوضوح ، وذلك بالتعويل فيها قبل كل شىء على النصوص، وجعل ماسوى ذلك من المراجع مفاتيح لما يمكن أن يستغلق فهمه، ومصاييح لما يمكن أن تخفى معرفته أو يدق سببه . فقد اختفيت وأخفيت العلماء وراء النصوص التي تركت لها وحدها فرصة التعبير عن كل ما جاء في هذا البحث من حقائق ومعتقدات .

فالله أسأل أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع، وأن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه . . إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول .

سميرة محمد عمر جمجوم

مَأْمُورَةٌ لِلصَّادِقِ وَاللَّامِعِ

قائمة المصادر والمراجع

هذه أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها :-

١ - كتب التفسير وعلوم القرآن :-

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - إلتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت .
- ٣ - إعجاز القرآن . الباقلائي ، تحقيق السيد احمد صقر .
- ٤ - البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، بيروت .
- ٥ - تفسير الفخر الرازي الشهير (بالتفسير الكبير) . الإمام محمد فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران .
- ٦ - تفسير القرآن الحكيم الشهير (بتفسير المنار) . السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، القاهرة .
- ٧ - تفسير القرآن العظيم . ابن كثير ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٨ - تفسير القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، مكتبة الشعب ، القاهرة .
- ٩ - المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم يحيى الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني .
- ١٠ - مناهل العرفان في علوم القرآن . الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، دار احياء الكتب العربية .
- ١١ - في ظلال القرآن . سيد قطب ، الطبعة السابعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٢ - كتب الحديث الشريف :-

- ١ - سنن ابن ماجه . مطبعة عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ،
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٢ - صحيح البخارى . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيره بن بردزبه البخارى .
- ٣ - صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة .
- ٤ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى . الإمام احمد بن محمد بن حجر
العسقلانى ، إخراج وتصحيح وإشراف محب الدين الخطيب ، المطبعة
السلفيه ومكتبتها .

٣ - كتب السير والتاريخ والعلوم الأخرى :

- ١ - البدايه والنهائيه . الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن
كثير ، دار الفكر ، بيروت .
- ٢ - تاريخ الطبرى . محمد بن جرير الطبرى .
- ٣ - التعريفات ، على بن محمد الشريف الجرجانى .
- ٤ - السيرة النبوية . الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن
كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابى الحلبي ،
القاهرة .
- ٥ - السيره النبويه . أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تقديم وتعليق طه
عبد الرؤوف سعد ، دار الجبل ، بيروت .
- ٦ - الكامل فى التاريخ . ابن الاثير ، مطبعة ذات التحرير ، مصر ،
١٣٠٣ هـ .
- ٧ - إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان . ابن القيم الجوزيه .
- ٨ - إمتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والاموال والحفده والمتاع .
المقريزى . القاهرة ، ١٩٤١ م .

- ٩ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ١٠ - شفاء العليل ، ابن القيم الجوزيه .
- ١١ - الله يتجلى في عصر العلم . مجموعة من الأساتذة المتخصصين الغربيين . ترجمة الدكتور الدر داس عبد المجيد رحمانه .
- ١٢ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر . ابن الجوزي ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد .

٤ - كتب العقيدة والعلوم الاخرى :

- ١ - إظهار الحق . الشيخ رحمة الله بن خليل الكيرانوى ، إخراج وتحقيق عمر الدسوقي ، عنى بطبيعة ومراجعته عبد الله بن ابراهيم الانصارى ، الدوحة ، قطر .
- ٢ - أعلام النبوة ، أبو الحسن على محمد الماوردى الشافعى ، دار الكتب العلميه ، بيروت .
- ٣ - الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان .
- ٤ - الأصنام . أبو منذر هشام بن محمد السائب الكلبى ، تحقيق احمد زكريا .
- ٥ - الإفتخام لأفئدة الباطنيه الطغاة . يحيى بن حمزه العلوى ، تحقيق فيصل بدير ، مراجعة الدكتور سامى النشار ، منشئة المعارف ، الاسكندرية .
- ٦ - الإيمان والحياة . يوسف القرضاوى .
- ٧ - التوراة السامرية . تحقيق الدكتور احمد السقا .
- ٨ - الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح . أبو العباس تقي الدين ابن تيميه ، مطابع المجد التجارية .
- ٩ - الوحدانيه مع دراسة في الأديان والفرق . بركات عبد الفتاح دويدار ، مكتبة النهضة العربية .

- ١٠- المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جينير . ترجمة الامام الدكتور عبد الحلیم محمود ، دار المعارف . بيروت .
- ١١- الفصل فى الملل والأهواء والنحل . ابو محمد على بن احمد بن حزم الظاهري ، وبهاشة الملل والنحل للامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت .
- ١٢- الكتاب المقدس (اى كتب العهد القديم والعهد الجديد) ترجم من اللغات الأصلية ، دار الكتاب المقدس فى العالم العربى ، بيروت ، ١٩٦٦م .
- ١٣- الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد الكيلانى ، مصطفى البابى الحلبي ، القاهره .
- ١٤- مجموعة الرسائل النجدية - أبو العباس تقى الدين ابن تيميه .
- ١٥- مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ، ابن تيميه - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد قاسم - مكتبة المعارف بالرباط - المغرب .
- ١٦- المواقف . عضد الدين الإيجى ، شرح السيد الشريف .
- ١٧- النبوات ، أبو العباس تقى الدين ابن تيميه .
- ١٨- الله واحد امثالوث . محمد مجدى مرجان ، دار النهضة العربيه .
- ١٩- دره تعارض العقل والنقل . ابن تيميه . دار الكتب الوطنيه . القاهره ، ١٩٧١م .
- ٢٠- دلائل النبوه . الحافظ الكبير أبو نعيم احمد عيد الاصبهاني ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٢١- (اسبينوزا) رسالة فى اللاهوت والسياسه . ترجمة وتقديم الدكتور/ حسن حنفي ، مراجعة الدكتور فؤاد زكريا ، القاهره ، ١٩٧١م .
- ٢٢- شرح العقائد النسفيه . سعد الدين التفتازانى .
- ٢٣- شرح العقيدة الأصفهانية . ابن تيميه ، تقديم حسنين مخلوف .

- ٢٤ - شرح العقيدة الطحاوية . علي بن علي ابي العز الحنفي ، أخرج
أحاديثها محمد ناصر الالباني ، المكتب الاسلامي ، دمشق .
- ٢٥ - محاضرات في النصرانية . محمد أبو زهره ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر
العربي .
- ٢٦ - مناهج الأدلة في عقائد الملة . ابن رشد
- ٢٧ - نقض تأسيس الجهمية . ابن تيمية ، تصحيح وتكميل محمد بن عبد
الرحمن قاسم .
- ٢٨ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . شمس الدين محمد
بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .

٥ - كتب اللغة :

- ١ - لسان العرب . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،
دار صادر ، بيروت .
- ٢ - قاموس الكتاب المقدس . طبعة مجمع الكنائس الأدنى ، الطبعة
الثانية ، بيروت .
- ٣ - القاموس المحيط . محي الدين بن يعقوب الفيروز آبادي .
- ٤ - معجم الفاظ القرآن الكريم . مجمع اللغة العربية .

وهناك مراجع اخرى مثبته على هوامش الصفحات .

والله ولي التوفيق

العلم امر سراج

الفهرسرقم الصفحةالموضوع :

١

المقدمه

الباب الأول :

٨

الفصل الاول : الايمان بالرسول

١٧

- التوحيد

٢٧

- توحيه الألوهيه

٢٩

- توحيد الاسماء والصفات

٣٠

الفصل الثاني : الملائكة

٤٢

- الجن

الفصل الثالث :

٤٩

الايمان بالكتب

٥٦

الفصل الرابع : الايمان بالرسول عليهم السلام

٦٠

- تعريف النبي والرسول

٦٥

- صفات الأنبياء والمرسلين

٧٣

- محمد صلى الله عليه وسلم

٨٣

- وجوه اعجاز القرآن

٨٩

- المعجزات الحسيه

الفصل الخامس :

٩٢

اليوم الآخر

الفصل السادس :

١١٩

القضاء والقدر كما ورد في القرآن

الباب الثاني :الفصل الأول :

١٣٩

الوثنيون وعقائدهم

تابع الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع:

	<u>الفصل الثاني : وسائل الوثنيين في المعارضة</u>
١٤٩	ومواقفهم ضد الاسلام
	<u>الفصل الثالث:</u>
١٦٦	الرد على الوثنيين
	- رد القرآن على المشركين الذين
١٧٨	أنكروا البعث
	<u>الفصل الرابع :</u>
١٨٧	اليهود
١٩٤	- تعريف اليهود للتوراة
	<u>الفصل الخامس:</u>
٢٠٣	اليهود وموقفهم من الاسلام
	<u>الفصل السادس:</u>
٢٢٣	الرد على يهود
	<u>الفصل السابع :</u>
٢٥٨	المسيحية
٢٦٢	- الأناجيل المعتبرة عند النصارى
٢٦٦	- رسائل الرسـم
٢٧٠	- عقيدة النصارى في الله عز وجل
	<u>الفصل الثامن :</u>
٢٧٦	موقف النصارى من الاسلام والمسلمين
	<u>الفصل التاسع:</u>
	الرد على عقائد النصارى المحرفة
٢٨٤	ومواقفهم ضد الاسلام
	<u>الفصل العاشر:</u>
٣١٢	المنافقون
	وموقف الاسلام منهم

(٣٥٢)

تابع الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع:

الفصل الحادى عشر:

٣٢٨

الرد على المنافقين

٣٤١

الخاتمة

٣٥٠

قائمة المصادر والمراجع

—————

المدسة والقرية